



من القوائد التي استقرت عن
استنساخه للبحرية الحازنة
استعمالها في صنع مصابيح
كهربائية للمعدن. وتراه
فوق هذا جالساً يقص أحد
هذه المصابيح سنة ١٩٢٨

الذي يصن الجير شمال الفاري
وستنضم إلى جبهه وكلاهما من
أرجح المستنسخين الكهربائيين
وقد عرف كل منهما «بسلجر»
الكهربائية» سنة ١٩٦٢

أديسن بدون في أحد دقار
ملاحظات على تجاربه في البحث
عن نبات يحل محل السلك الطبيعي

أما أديسن حياته كاستنسل عادلاً من
عمال التلغراف وذلك سنة ١٨٦٠
ومعه أن نحواً من ستين سنة انقضت
عليه الآن فإنه لا يزال قادراً إلى يوم
رسالة تقرأه بالفرقة مورس



أديسن وهو في الحادية والتمانين من عمره يتلقى ذوسا في
استقطار السلك من هازي فيرستون صاحب مصانع السلك
المشهور ومعه أحد مساعديه. صورت سنة ١٩٢٨



فما المداية وقد نقش عليه «لقد
أنا طريق التقدم مستنساخه»

صور لاديصن في مواقف مختلفة
تقلا عن مجلة العلم العام الاميركية

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٦٥

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الرابع من المجلد الخامس والسبعين

١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ — ٢٩ جادى الاولى سنة ١٣٤٨

قائمة للمقتطف

للمر أركيت

مقومات الامم في نظر العلم اصول الوطنية ونشوءها كيف يعمل العلماء الشعور القومي

نظر الاستاذ هكسلي الى مسألة الاقوام البشرية نظرة عالم بالحيوان . فطبق على النساء والرجال الاساليب التي جرى عليها في درس الكلاب والطيور . وكان يذهب الى ان الرجال والنساء الذين يدعون أنهم جنس خاص من البشر قائم بنفسه منفصل عن غيره . يجب ان يصفوا بصفات جسدية تمكن العالم بالاجناس من معرفتهم اذا اختلطوا بجمهور من الناس مختلفي الاجناس . « فالقومية » في نظره ليس لها مكان ما في نظام حيواني . والامة في رأيه ليست الا مجموعة من الناس تربطهم بعضهم ببعض الارض التي يقطنونها واللغة التي يتكلمونها والسياسة والتقاليد التي يجرون عليها . ولا يستطيع أن تنظر اليها كجنس مستقل نظراً علمياً أما الرأي الذي اريد ان اعرضه على القارئ فاكثر مرونة من رأي هكسلي المتقدم الذي وضعه سنة ١٨٧١ واكثر منه مماشاة لمذهب النشوء . ولما كان هذا المذهب الجديد ينطبق على سكان القارات العالمية فعلياً ان نطوِّق الارض بنظرنا لئلا نرى تفرق الشعوب والاجناس فيها التي انقسم اليها الجنس البشري

ولانستطيع ان نفعل شيئاً افضل من الجري على آثار هكسلي لان التقسيم الجنسي الذي وضعه في العقد السابع من القرن الماضي لم يفقه تقسيم آخر في نظري دقة ووضوحاً. فلنستبج الحوادث التي افضت بهكسلي الى هذا التقسيم في سنة ١٨٦٢ كان هكسلي يعد كتابه المشهور الذي عنوانه «مكان الانسان في الطبيعة». فكان حتماً عليه ان يحقق نسبة المجمعتين القديمتين اللتين كانتا قد وجدنا قبيل ذلك وهما جمجمة زنجيا التي وجدت سنة ١٨٣٣ في بلاد البلجيك وجمجمة نيبتدرتال التي عثر عليها في المانيا سنة ١٨٥٧ فكان عليه ان يتناول اجناس البشر الحية بالدرس والبحث ليرى هل يجد فيها اخداً لصاحبي هاتين المجمعتين. وهكذا نرى هكسلي سنة ١٨٦٢ وهو في السابعة والثلاثين من عمره مكباً على درس منتظم لاجناس البشر. فأصبح بذلك من علماء الاثنولوجيا (تفرق الاجناس البشرية) وبسرعة الرجل الذكي قبض على ناصية الموضوع وادرك ادراكاً شاملاً اهم الحقائق التي ينطوي عليها تفرق الاجناس البشرية كما ترى من العبارة التالية المقتبسة منه قال :

ارسم خطأ على الكرة الارضية من الشاطئ الذهبي في غرب افريقية الى مراعي التار في تركستان نجد ان في الطرف الغربي من هذا الخط تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استطالة في الرأس وبروزاً في الفك وجعودة في الشعر وسمرة في البشرة هؤلاء هم الزنوج الحقيقيون وفي الطرف الآخر تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استدارة في الرأس وارتداداً في الفك وسبطاً في العمر وصغرة في الجذع هؤلاء هم التار والكامك. فطرفا هذا الخط الوهمي هما قطب الاثنولوجية المتقابلان

وبعد ما رسم هكسلي هذا الخط الوهمي وقطبيه في مقدمة صورته الاثنولوجية رسم خطأ آخر يخرق الكرة الارضية من بريطانيا الى استراليا قاطعاً الخط السابق في الشرق الادنى وماراً بالهند. ففي طرف هذا الخط من جهة بريطانيا تقطن الشعوب الشقراء وفي طرفه الاسترالي سكان استراليا الاصليون

اجناس البشر

وجرياً على هذه الخطة التي اتها هكسلي سنة ١٨٦٥ قسم سكان الارض الى احد عشر جنساً او الى احد عشر «توعاً دائماً من الجنس البشري» اذنا جرينا على تيمره الذي كان يؤثره. فكل جنس من هذه الاجناس كان خاصاً ببقعة من الارض يقطنها او ظل محصوراً فيها من اقدم الازمنة الى زمن التاريخ الحديث. فلنمر سراً بالاقسام الاساسية التي وضعها هكسلي وهي : (الاول) الاسترالي (الثاني) التسامي (الثالث) النجريتو او شعوب الباسفيكي الشبيهة بالزنوج (الرابع) الامفيزي ويطلق على الشعوب البحرية التي تقطن

جزائر الباسفيك واريخيل ملقاً وجانباً من مدغسكر (الخامس) سكان اميركا الاصليون المتشرون فيها من رأس القرن بجنوب اميركا الجنوبية الى سواحل لبرادور (السادس) الاسكيمو (السابع) الشعوب المغولية — المنتشرة من تبت الى اليابان ومن تونكين بالهند الصينية الى بلاندا في شمال اسوج وزوج (الثامن) الزنوج (التاسع) البوشمن . واخيراً الشعوب التي تقطن غرب آسيا وكل اوربا وهؤلاء قسمهم الى قسمين اولهما وهو (العاشر) من اقسامه العامة، الشرقي المنطقة الشمالية وثانيهما او (الحادي عشر) السمر في المنطقة الجنوبية او منطقة البحر الايض المتوسط . وكانت الشعوب التي تقطن جنوب الهند مصدر حيرة كبير للاستاذ هكسلي ولكنه بعد لا ي وضعهم مع سكان استراليا في صف واحد

ولنعد النظر الآن في المقياس الذي يجري عليه هكسلي حين تقسيم الشعوب الى الاجناس الآف ذكرها — وهو مقياس يجري عليه العلماء في علم الحيوان . ذلك ان كل فرد في كل طائفة يجب ان يتصف بالصفات التي تمتاز بها طائفته عن غيرها من الطوائف . فاذا كانت الاقسام التي وضعها هكسلي حاسباً ان كل واحد منها ممتاز عن الآخر وأخذ مائة شخص من كل طائفة منها وعرواً جميعاً من ثيابهم واختلط حابهم بنا بلهم وجب ان يكون من السهل على العالم الاثنولوجي ان يعرف كل فرد منهم وان يضعه في الطائفة التي ينتمي اليها اصلاً . فكل جنس من اجناس البشر تستطيع ان تعرف افراده حال رؤيتهم هو جنس تقي قلباً وقالباً (مائة في المائة) في سلم الاختلاف الجنسي . ولكن اذا صحّ مذهب النشوء وجب ان نجد شعوباً خليطة متدرجة في الصفات الجنسية التي تفرق بين جنس وآخر

على ان هكسلي عدل نظره الى تفرق الاجناس الجغرافي لاسباب جمّة . فقد بدأ بمباحثته وهو ينتظر ان يثبت له ان شكل الجمجمة هو المقياس الاساسي الذي يبنى عليه تفريق الناس الى اجناس . فخاب نظره في ذلك اذ وجد ان صفات الجمجمة انما هي صفات لها مقام ثانوي من هذا القبيل . ووجد ان من الشقر من يكون مستطيل الجمجمة او مستديرها . ومن المغول من هم كذلك . وتحقيق ان الصفات التي عليها يبنى التفريق بين الشعوب انما هي الصفات السطحية كون البشرة وشكل الشعر . وانا اضيف الى هاتين الصفتين سمات الوجه التي يصعب قياسها ولكنها لا تنحرف على احد

الفرد والجنس

وقد اخذ العلماء في هذا العصر يلقون النور بمباحثهم على الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس البشرية . فلدينا الآن ادلة مقنعة تشير الى ان نمو الجسم وظهور الصفات الجنسية

المتخلفة فيه يتوقفان الى حد بعيد على التركيب الفسيولوجي الذي مركزه في الغدد — الغدد الصماء و عدد الافراز الداخلي . فهذه الغدد تفرز مفرزات تدعى « هرمونات » لها اثر كبير في السيطرة على نمو الاعضاء . والعجب كل العجب اننا لم نكشف عن وجود نظام مسيطر على النمو كهذا النظام من قبل لانه كان معروفاً من اقدم الازمنة الى الآن ان خصى الفتيان (اي ازالة الخصيتين وهما من غدد الافراز الداخلي والخارجي معاً) له اكبر اثر في تغيير اتجاه النمو . فهذه العملية تنشئ رجلاً له صفات كأنها صفات جنس مستقل هو الخصى . فلدينا الآن ادلة ثابتة على ان الخصيتين فضلاً عن توليد الخيوط المنوية تفرز مفرزات داخلية تدور مع الدم في كل الجسم ولها اثر كبير في ضخامة الجسم وطول الاطراف وتكوين العظم وقوة العضلات ونحن العنق وحجم الفكين وشكل الاتق والحيين ونمو الشعر ونعومة البشرة وهذه الصفات هي الصفات التي يمتاز بها جنس من البشر عن جنس آخر . ففي جسم الخصى اُبلغ مثل على فعل هذا التركيب الحيوي الذي يغيّر صفات الجسم التي يمتاز بها . فاذا شئنا ان ندرك شيئاً من الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس الجديدة فلنول وجوهنا شطرها التركيب الحيوي الذي يسيطر على النمو ولنحاول فهمه

التجمع والانزعال

من المسلم به ان اكثر الاجناس البشرية المعروفة الآن نشأت في احوال بمائة للاحوال التي يعيش فيها سكان استراليا الاصليون الى يومنا هذا . فهذا الجنس من البشر مقسم الى قبائل كل قبيلة تعيش في منطقة معينة من ارض الصيد والقنص واضحة المعالم والحدود لا تعدوها الى غيرها . فاذا عدت القبيلة الحدود الى منطقة جيرانها حسب هذا تعدباً وعليها حينئذ اما ان تلجأ الى القتال او ان يولي رجالها الادبار ويتراجعوا الى منطقةهم . فالغيرة والمقاومة التي تفصل بين قبيلة واخرى تعزلان كل قبيلة عن جارتها . ولكن قوى اشد فعلاً من هذه العواطف تربط كل قبيلة بارضها . فابناء كل قبيلة يتكلمون لغة واحدة ويحرون على طائفة واحدة من العادات والمعتقدات والتقاليد ولهم مصالح مشتركة وهم فوق كل ذلك ذوو قرى . فكل فرد من افراد القبيلة متصل بارضه اتصالاً عاطفياً قوياً . فاذا بعد عنها تاق الى العودة اليها . واذا حف بارضه خطر ما اثار فيه انفعالا عقلياً قوياً اساسه ثورة العاطفة وهذا الانفعال يعرف بالوطنية . هذا الانزعال هو العامل الاقوى في تكوين صفات جديدة يمتاز بها فريق من البشر دون فريق آخر . وعليه فهو سبيل الطبيعة الممهّد لتوليد الاجناس البشرية

نظام القبائل هو سبيل الشعوب الى التجمع والانزال وهذا الانزال لا مندوحة عنه للافعال الفزيولوجية حتى تخلق صفات جديدة يتألف من مجموعها مميزات الاجناس الجديدة

والآثار التي تدل على وجود نظام القبائل في القدم تعثر عليها في كل انحاء العالم وكانت لاتزال باقية الى عصرنا في «الخاخذ» اسكتلندا. وقد كان هذا النظام عامماً يشمل جميع بلدان الارض عصوراً متطاولة. فدماع الانسان نشأ في الزمان الذي كان فيه نظام القبائل سائداً. ان كل قوى العقل والشعور فيه وكل انفعالاته نشأت نشوءاً يمكنها من قضاء مطالب النظام الاجتماعي السائد حينئذ ومن طريق الصدفة اسدت هذه القوى يداً الى الارتقاء البيولوجي العام

ومن العوامل الطبيعية التي ساعدت الشعوب على التجمع في بقع معينة والانزال عن غيرها الحوائل الطبيعية التي لم يقو عليها الانسان في مهد العمران كسلاسل الجبال كجبال الحملايا مثلاً — والصحارى الشاسعة المقفرة كالصحراء الكبيرة — والبحار الواسعة كالأوقيانوس الاثنتيني

واقسام الارض مناطق يقطن كل منطقة منها قبيلة خاصة نظام لا ينفرد به الانسان بل تجري عليه الحيوانات اللبونة العليا كذلك. ولكن في احوال خاصة تتحول الغرائز التي تربط الحيوان بارضه الى ضدها فتحمله على هجرتها في طلب ارض اخرى. فطائفة الغرائز الاولى زرع النوع في ارضه وتولد فيه الصفات التي يمتاز بها عن غيرهم والطائفة الثانية تحمله على التوزع والانتشار. والمدونات التاريخية لا تتركنا في ريب ما من اتصاف الانسان بهاتين الطائفتين من الغرائز. على ان الهجرة كانت عاملاً ثانوياً من عوامل النشوء ليس لما مقام كبير في نشوء الانسان ولولا الانزال لما تسنى لجماعة من الناس ان ينشئوا جنساً جديداً وهناك عامل آخر من عوامل الانزال هو ذلك الانفعال الفطري الذي نطلق عليه اسم الشعور الجنسي. فكل الحيوانات تعرف بفطرتها الحيوانات التي من نوعها. وهي كذلك تعرف الحيوانات التي ليست من نوعها. وهذه المعرفة الاخيرة يصحبها في الغالب الشعور بفقور شديد. فالشعور الجنسي يبقى كامناً في صدور الرجال والنساء ما زالوا برونون ويحيثون بين ابناء جنسهم. ولكنهم متى عدوا حدود المنطقة الخاصة بهم الى منطقة فيلة اخرى او جنس آخر تتيقظ في نفوسهم عواطف فطرية قوية هي اصول الشعور الجنسي. وفي بعض الاحوال قد تؤجج هذه العواطف في صدورهم نار التحمس والانفعال ويخرج بها من ميدان الحكمة الى ميدان التهور. واني انظر الى هذا الشعور الجنسي كاسلوب

من اساليب النشوء للاحتفاظ بنقاء الجنس ومنعه عن الاختلاط بالاجناس الاخرى حتى لا يفقد مقومات شخصيته . فما يثور في صدور البشر من عناصر الغضب له في الغالب اصل بيولوجي وفائدة بيولوجية

التزاوج والجنس الخلية

كان هكسلي يميل الى ان يحسب الاجناس الخلية المتوسطة بين الاجناس الصافية ناشئة عن التزاوج . ولكن اذا كانت افعال النشوء سارية في الخلق منذ فجر البشرية واذا كانت لازال تفعل في جسم الانسان وعقله وجب ان نجد اجناساً متوسطة بين الاجناس الصافية نتيجة لازمة للتغير الطبيعي من غير ان نلجأ الى مذهب التزاوج لتعليل وجودها . ان مذهب النشوء اذا صح تطبيقه على الموضوع الذي ننظر فيه ، يقضي بوجود اجناس في كل درجات التفاوت والاختلاط بين الاجناس الصافية . وهذا ما مجده . لذلك اختلف علماء الانثروبولوجيا في عدد الاجناس البشرية الاساسية . فذهب هكسلي اولاً الى وجود احد عشر جنساً ثم هبط بالعدد الى اربعة . وبدأ الاستاذ هيكل باثني عشر جنساً في سنة ١٨٧٣ وجعلها اربعة وثلاثين جنساً سنة ١٨٧٩ واخيراً رأى وجوب الاعتراف بوجود ١٧ جنساً اصلياً و ٢٩ جنساً فرعياً ان عدد الاجناس يتوقف على درجة الاختلاف بين الاجناس التي تتخذها مقياساً انا لا اقول ان التزاوج لم يحدث قط في الماضي ولا هو حادث الآن على الحدود الفاصلة بين بلدان الاجناس المختلفة . ففي بعض الاماكن بلغ التزاوج حداً بعيداً . ولكن بعد كل ذلك نجد ان التزاوج ليس الا عاملاً ثانوياً في نشوء الاجناس . اتنا لا نستطيع ان نعلل به حالة الاجناس البشرية ولكننا بمذهب النشوء نستطيع ذلك فقد بلغنا الآن درجة من العلم يجب معها ان يفهم كل المشتغلين بالمباحث الانثولوجية ان كل سعي لتقسيم البشر الى اجناس يجب ان يقوم على اساس نشوي . ففي انحاء الارض نجد شعوباً ممتازة كل الامتياز عن غيرها وفيها يستطيع العالم ان يعرف كل فرد من افرادها ويعينه للجنس الخاص به اذا رآه في قوم خليط . ثم هنالك اجناس هي على درجة تسعين في المائة من الصفاء اي انك اذا عرضت على عالم مائة فرد منها في خليط من الناس لم يستطيع ان يعرف اكثر من تسعين فرداً منهم اتكالا على ظهور الصفات الخاصة التي يمتاز بها جنسهم عن غيره من الاجناس . وهكذا نجد اجناساً على درجة ثمانين او سبعين او ستين من الصفاء فهذه الطوائف من الناس كلها اجناس بالمعنى البيولوجي الحقيقي . كلها درجات في سلم النشوء

الزراعة

وحين نعلم الى البحث عن القوى التي قضت على نظام القبائل الذي كان سائداً في اوربا في العصور القديمة يجب ان نرجع الى الشرق الادنى في العصور السابقة للتاريخ المدون . في بقعة من الشرق الادنى كشف عن الفن الذي تقوم عليها الحضارة الحالية اعني الزراعة . فالقبيلة او طائفة القبائل التي وفقت الى هذا الاكتشاف سبقت جاراتها وتفوقت عليها فزاد عدد ابناءها لما زاد مقدار الطعام الذي تنتجه الارض . ولم يلبث ان ضاقت المنطقة الخاصة بهم عن ان تسعهم فاخذوا في الانتشار . فالمذهب القائل بان الشرق القوقاسي هو مهد الحضارة متفق وكل الحقائق العلمية المثبتة لدينا . ومن هذا الشرق اخذ الناس يتدفقون موجة اثر موجة الى اوربا . فزال الحدود الفاصلة بين مناطق القبائل الخاصة ونظام القبائل القديمة الذي جرت عليه الطبيعة لخلق الاجناس الجديدة اصابه احتلال وتشويش . ولكن هذا النظام لم يزل كل الزوال . فان العلماء الى الساعة يعلمون ان اوربا لا تزال مقسمة الى مناطق ففي الجنوب تقطن شعوب مستطيلة الرؤوس سمراء البشرة وفي الشمال شعوب مستطيلة الرؤوس شقراء البشرة وفي المناطق المتوسطة بين الشمال والجنوب تقطن شعوب متفاوتة الدرجة من حيث استدارة رؤوسها ولون بشرتها . فالحضارة قد شوشت نظام الطبيعة النشوي في كل المنطقة القوقاسية

الحرب

واجال هكسلي نظره في سكان بريطانيا فادرك ، وهو العالم بعلم الحيوان ، انهم سكان اوربا ، خليط من الاجناس المختلفة وان القومية البريطانية مزيج من الاجناس القاطنة اوربا سمراء وشقراء لذلك حمل حملة شعواء على كل من يدعي انفصال القومية البريطانية عن سائر القوميات الاروپية قائلاً ان الذين تتألف منهم هذه القومية جنس خاص منفصل عن بقية الاجناس الاروپية . ومذ اعرب الاستاذ هكسلي عن رأيه هذا ثارت الحرب الكبرى الدامية فكشفت عن الميول الفطرية الاصيلية في الطبيعة البشرية واطلقت لها العنان . وبعد ما وضعت الحرب اوزارها هبت القوميات الصغيرة تطالب بكيانها المستقل جرياً على مبدأ تقرير المصير فاقبل رجال السياسة على عملهم وهم يحسبون ان بين ايديهم مسائل سياسية لا مشاكل بيولوجية . واذا صح المذهب الذي بسطته في نشوء الاجناس وجب ان تعالج مسألة القوميات معالجة بيولوجية نشوءية . ان حركة المطالبة باستقلال القوميات الصغيرة سببه ثورة الذكري في طبيعة الانسان لنظام القبائل القديم . ففوجو الحرب انطلقت الميول الفطرية التي كانت كامنة في صدور البشر بعد ما ازال عنها القتال طلاء الحضارة الحديث



يوسيل النور الكهر بائي

بروميتيوس واديصن

اخذا النار والنور من الآلهة فاضاء بها طريق العمران

قلب صفحات التاريخ باحثاً عن شخصية حقيقية او خرافية تضعها وشخصية اديصن في كفتي ميزان فلا يستقر بك النوى الا وقد طويت الوف السنين راجعاً الى جاهلية اليونان فتقف في خرافاتهم وسير ابطالهم على قصة البطل بروميتيوس الذي سرق النار من الآلهة لينحها للناس لانها كانت في رأيه اعظم النعم . فهو في نظر بعض الكتاب الاقدمين « مفقد المعرفة على البشر » بل هو « مكوّنهم ومعلمهم »

قيل : ونظر اروس آله الحب الى الارض وقد اكتست حلة سندسية ترح في ربوعها انواع الاحياء على اختلافها فرأى ان يغدق عليها من الغرائز ما يمكنها من التمتع باطياب الحياة فدعا اليه اصغر ابناء اياپيثس — وها بروميتيوس واپيميثيوس — وعهد اليهما في توزيع العطايا الالهية على الكائنات الحية واوصاهما بان يخالقا كائناً سامياً ويغدقا عليه الهبات حتى يسود الكائنات الاخرى (الانسان) فطلب اپيميثيوس الى اخيه ان يتولى هو المنح ففعل فلما انتهى من الاغداق على الكائنات السفلى نفذ كل ماله فيه من الهبات العلوية ولم يبق لديه ما يهبه للانسان . فأخذا كتلة من الطين وصنعا منها هيكلًا وقد اشار هوراس الى ذلك بقوله : « وحوّل بروميتيوس الجواهر الفردة الى دلفان بشري » ثم طلبا الى اروس ان ينفخ فيه روح الحياة والى ميزقفا الآلهة الحكمة ان تهبه نفساً . فلما رأى بروميتيوس صنع يديه موضعاً للفخر اراد ان ينعم عليه بقوة لا يشاطره اياها كُنْ على الارض فتعلو به فوق كل الكائنات وتقربه من مقام الآلهة

ولكي يفعل ذلك لم يجد قوة اعظم من قوة « النار » . ولكن « النار » كانت من المزايا التي تملكها الآلهة دون غيرها ، وكان بروميتيوس يدري ان الآلهة لن تقبل ان تتم بها على الانسان واذا فاز بها احد خلصة عوقب معاقبة السارق . فتأمل المسألة طويلاً واخيراً عزم ان يفوز « بالنار » او يموت في طلبها . وفي احدى الليالي الظلماء قصد الى جبل اولبوس مقر الآلهة ودخل مخدعها من غير ان يشعر به احد وقبض على مشعالٍ مضيء واخفاه في

ان السرمهمفري دايشي اثبت في مطلع القرن التاسع عشر ان التيار الكهربائي الحاصل من عمود قاطاني مؤلف من الف خلية يحدث قوساً من النور اذا اجري في عمودين من الكربون مفصول احدهما عن الآخر قليلاً . هذا هو نور القوس الكهربائي الاول . ولكن استنباط السرمهمفري دايشي ظل مطويّاً حتى استنبط المولد الكهربائي واشتغل فراداي بالموضوع فها وافت سنة ١٨٧٠ حتى كان الدكتور شارل برش والمستر ادورد وستن قد جعلوا

الانارة بنور
القوس الكهربائي
صناعة راجحة في
اوربا وامريكا

هنا دخل

اديصن الميدان

وبسرعة الرجل العبقري الذي يخرق ستر الغيب بصره النافذ رأى ان نور القوس الكهربائي لا يجدي نفعا في توسيع نطاق الانارة الكهربائية حتى تعم البيوت والمدارس والمعامل . وصناعة النور الكهربائي لا تتسع ولا تتقن الا اذا راجت ولا تروج الا اذا عمت الا ما كن التي تقدم ذكرها . لذلك صرف اديصن نظره عن نور القوس الكهربائي واخذ يبحث عن طريقة تمكنه من الانارة بالكهربائية بطريقة اللعان اي بامرار تيار كهربائي في سلك من مادة معينة

صدره ورحل طرباً جذلاً بما قسم له من النجاح . فلما وصل الى الارض انعم بالكنز على الانسان فاخذه وجعل يستعمله في ثبات من الاغراض . اما ما حدث بعد ذلك وكيف اكتشف الآلهة سرقة بروميتيوس وكيف عاقبه وكيف خلصه هرقل لحواشي في تاريخ اليونان الخرافي لا متسع لتبسط فيها هنا

نحن لا نقول ان اديصن علم البشر كيف يستضيئون . ان المصاييح التي كانت

نفية باحترق

زيت من الزيتون

او دهن من

الادهان يرجع

نارنحها الى العصر

الحجري . فقد كان

رجال ذلك العصر

يحرثون الادهان الحيوانية في قطع مجوفة من الحشب للاستنارة بها . وكان الرومان يحرثون زيت السمك او غيره من الزيوت الحيوانية في مصاييح من الطين المشوي . وقد كان القصد من اصطياذ الحيتان في العصور الماضية الحصول على زيتها للاستضاءة به . وكان الصينيون يصنعون مصاييحهم الجميلة ويشعلون فيها زيوتاً نباتية

كذلك لاندعي ان اديصن هو اول رجل وضع نوراً كهربائياً باطلاق المعنى . فقد جاء في مدونات المعهد الملكي البريطاني



المدالية التي ضربت للاحتفاء بيوبيل النور الكهربائي

فيحمي السلك لمقاومته للتيار فيحمر^{*} ويبض بالحرارة ومتى ابيض^{*} يسطع منه نور باهر يحفظ الابصار. وقد كان مسألة النور الكهربائي اعقد المسائل التي اشتغل اديسن بحلها. فانه لما شرع يبحث في هذا الموضوع لم يكن يعرف شيء تقريباً عن النور الكهربائي مما تلزم معرفته. لذلك لما فاز اولاً بصنع المصباح الكهربائي الاول على مثال المصاييح المستعملة الا ان عرضت له مصاعب كثيرة وجب تذليلها قبل الفوز بجعل الانارة الكهربائية عملاً تجارياً راجحاً. وادى من الذين يرون ان تصور الاختراع سهل على نوع ما واخرجه من التصور الى الفعل اخرجاً علمياً قد يكون سهلاً ايضاً. ولكن الصعوبة كل الصعوبة في اخراجه من التصور الى الفعل اخرجاً تجارياً حتى يشيع استعماله ويربح منه صانعه فيغري بموالاته اتقانه.

ان قصة مباحث اديسن واعوانه التي افضت الى اكتشاف النور الكهربائي الالامع (نستعمل لفظة لامع هنا بمعنى *incandescent*) وضع المصباح الكهربائي الاول تكاد تحسبها من بنات الخيال اوحديث خرافة لو سمعها. كانوا لا يعبأون بمرور الزمن ولا باوقات الطعام حتى ولا بالنوم لان اكبابهم على خلق شيء جديد كان قد اوقظ كل قوة من قواهم العقلية والعصبية. فانفقوا نحو ثمانية آلاف جنيه قبلما تمكنوا من صنع مصباح ينير متى اتصل بالدورة الكهربائية. ولما اناروه ظل^{*} منيراً اربعين ساعة متوالية. ولكن السلك السريع الانكسار الذي استعملوه اولاً لم يف بمطالب التجارة اذاً ما الفائدة من مصباح ينير اذا كانت اقل هزة تصيبه فنت سلكه وتذروه. لذلك اخذ اديسن يكربن كل شيء تقع عينه عليه. وفي مدونات الخاصة تقع على السماء بعض الاشياء التي كربنها محاولاً ان يصنع منها سلكاً للمصباح الكهربائي لا يكون سريع التكسر والتفتت، فاذا راجعها وجدت بينها كل انواع الورق على اختلاف درجاتها من القوة والثخانة وكل^{*} انواع الخيوط حتى الاسلاك التي يستعملها الصيادون في اصطياد السمك. وانواع الخيوط النباتية كخيوط جوز الهند وتيلة الكتان والسلولويد وغيرها كثير. امن انواع الاخشاب والنباتات. ولما خطر له ان يجرب خيوط الخيزران بث^{*} العيون والارصاد في اليابان وجنوب اميركا وغيرها من البلدان الذي يزرع فيها الخيزران فبعثوا اليه بكل اصنافه وكانت نحو ستة آلاف صنف فجرب تجاربه فيها حتى وصل الى افضلها ويقال انه انفق في هذا السبيل عشرين الف جنيه او اكثر.

وبعد ما صنع المصباح الكهربائي الالامع وجب عليه ان يبدع نظاماً كهربائياً جديداً يمكنه من توليد الكهربائية وتوزيعها وتقسيم التيار حتى ينير به حيث يشاء المصاييح الصغيرة والكبيرة على السواء فاقدم على هذا العمل غير هيّاب مع ان علماء من مقام الاستاذ تدل كانوا يهزؤون به.. وبعد ذلك اخذ النور الكهربائي يرتقي ويستحسن وخصوصاً في صنع السلك

الذي فيه فصنع سنة ١٩٠٤ من معدن الاسميوم ثم من معدن التنتالوم ثم من معدن التنسنتن في تاريخ العلم والعمران مستبطات اعظم من النور الكهربائي اثرأ في احوال الشعوب الاقتصادية كالسكك الحديدية والبواخر والتلغراف والتليفون وغيرها . ولكن استنباط النور الكهربائي اللامع الرخيص الثمن احدث ثورة في عادات الناس واسلوب معيشتهم . فقد اشترك هذا النور مع المطبعة في اطلاق العقل البشري من القيود التي كبّل بها والقضاء على الخرافات والمخاوف التي كانت تظلم امامه طريق الفكر فاعده لعملة العظيم وهو تأييد سيطرة الانسان على الارض . وعلاوة على ذلك بدد غياهب الظلام من المدن فقضى بذلك على مراتع الجناة وبدّ أجل العمل امام العمال الفقراء . وقد مكنت الانوار الكهربائية الساطعة طائفة العلماء من درس طبائع المكروبات على لوحة المكركوب وابداع الطرق لمكافحتها واتقانها

نكتب هذه الكلمات ونشوة الفرح تهزنا لان العالم المتمدن باسره شعوبه وحكوماته ومعاهده وصحافته تشترك اليوم في الاحتفال بعيد النور الكهربائي الحسيني . ان البطة التي يشعر بها اديصن اليوم لا تفوقها غبطة اخرى على الارض . فقد ابدع من دماغه التبر شيئاً يظل يذكر مقروناً باسمه مازال العمران الحالي قائماً . شيئاً افاد العمران فائدة مازالت تنمو حتى صارت الاموال المثمرة في صناعات الانوار الكهربائية والصناعات المتصلة بها تفوق الحصر — فقد بلغت الاموال التي ثمرت في هذه الصناعات في هذه السنة وحدها ١٤٠ مليوناً من الجنيهات . واذا اضفت الى ذلك ابواب العمل العديدة التي فتحت للعمال في اعمال شريفة مفيدة اتضح لك فضل هذا الرجل الشيخ الذي ما زال حتي الساعة يشغل كل يوم ما لا يقل عن خمس عشرة ساعة مع انه قد اوفى على الثانية والثمانين . وهو على مقامه وشيخوته لا يأقف من ان يتلقى درساً عن اصغر الناس . همّة تنجّل الشبان ودعة فيها ابلغ عظمة للتكبرين ! لقد اصبح اسمه مقروناً باسماء الابطال الخرافيين لما نسج حوله من القصص والحكايات ولكنه يفوقهم براعة وابداعاً . ومع ذلك فهو حي يرزق ولشبان العصر في اكابه على العمل ودعته واحتقاره للابهة الفارغة واجلال العالم له لافرق بين قوم وقوم ودين ودين اعلى مثل للرجولة الحقّة التي تقوم على اثنين من الخلق الكريم والفائدة العامة فالتقطف الذي وجد قبلها وجد نور اديصن الكهربائي وما زال منذ اربع وخمسين سنة يذيع مستبطات اديصن ومناقبه يضم صوته الى جوق الاصوات المرتفعة اليه في هذا اليوم بالكثير والشكر والدعاء

٢١ أكتوبر ١٩٢٩

فؤاد صروف



إلمامة تاريخية ساذجة

بعصر أبي بكر الصديق

بقلم الدكتور أحمد فريز رفاعي

— ١ —

قصة ظريفة لا اتذكر تماماً أين قرأتها ، ثم لا اذكر الفاظها وكلماتها ، كلاً ما اذكر كانها ومؤلفها ولكنني اذكر شيئاً واحداً واذكره جيداً ذلك انني تأثرت بها وكان تأثيري بها عظيماً وبلغاً وعميقاً . . لأنها كانت ساذجة والعقول الساذجة تحب ما هو ساذج وتأثر بما هو ساذج . ثم هي تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصوير الحق واختلاف الناس في تصوير الحق . . والحق نسبي كما تعلم ولا يستطيع العلم مهما كان قوياً وناضجاً ، ومهما كان دقيقاً او كاملاً ، ان يزعم انه وصل الى الحق الكامل غير المنقوص ولا المتبور

قصتي التي رأيت ان استفتح بها حديثي معك ، والتي زعمت لك انها ظريفة ، وزعمت لك انها ساذجة ، ثم زعمت لك انها تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصوير الحق واختلاف الناس في تصوير الحق — هي عن عيمان سبعة اجتمعوا بفيل ، فرأى كل ان يصف الفيل للأخر ، واعتقد كل انه مصيب لباب الحق وسدرة الصواب فيما هو واصف وفيما هو متكلم . ولماذا لا يعتقد انه مصيب الحق والصواب وهو لا يتكلم الا بما يحس انه الحق والصواب لقد وصف الاول الفيل بانه كجذع النخلة لأنه أمسك بيده ساق الفيل وساق الفيل بجذع النخلة شبيهة ومثلية ووصف الثاني الفيل بانه كالأفعى لأن أمسك بيده خرطوم الفيل ووصفه الثالث بانه كالخائض لأن يده وقعت على جفائه وابن الرابع الا وصفه بالمروحة لأنه عثر على اذنه وابن الخامس غير السادس والسادس غير السابع وكل استمسك برأيه ودافع عن وصفه . وكل آمن بحقه وكذب بحق غيره تلك قصة لا تعدو ما نقع فيه كل يوم ومن زعم انه بصير بكل صحيح ، ثاقب النظر في كل امر ، وانه ليس بعرضة لأن يصيبه الباطل ولو « رشاشاً » ولا اقول عن يمينه او يساره فأخشى ان يكون حاله كحال احد السبعة الكرام ولكننا نرجو ، وهذا كل ما نملكه في ميدان العلم ، وفي ميدان كتابة التاريخ وقد اصبح

فرعاً من العلم ، وفي كتابة التاريخ الاسلامي وهو اشق فرع في تاريخ هذا العلم ، لانه لم يخضع بعد الخضوع العلمي الصحيح . . . لم يخضع بعد للمشرحة ولم يدعن بعد للتحليل — رجو — ونحن نؤمن بقصتنا — ان نستوعب وصف السادة السبعة ، ونجمع من وصفهم شيئاً يقربنا في مجموعه مما هو حق ومما هو صواب

اجل رجو ان يكون لنا من اقوال الشيعي وغير الشيعي ، والاموي والعباسي ، والخارجي وغير الخارجي ، ما ينكب بنا عن ضلالة الامعان مع هذا او ذاك . كما نرجو ان يكون ايماننا بضرورة البحث عن الحق في شتى نواحيه ، مدعاة للقرب منه وامداداً لتذليل صعابه وازالة عقابه . . . ولو نسبياً . . . ولو خطوة واحدة الى الامام . . . في سبيل تفهم هذا التاريخ المجيد العظيم

— ٢ —

وليس من جديد عليك يا صاح ، أن تعلم غير معلم ، ان التاريخ النافع المجدي هو ما كان نافعاً مجدياً للانسانية . وللانسانية عامة . ذلك لانك تعلم ما كان من أمر تلك المحاضرات التي ألفت في مؤتمر « الترية والممدن » الذي عقد في تورنتو عام ١٩٢٣ ثم تعلم ما كان من أثرها في تطور التاريخ . . . وفي تطوره الى وجهته « الانسانية » العامة لا « الاممية » الخاصة فيما بعد كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم اثر ولز في « تبسيط » التاريخ واثر « لدوج » في تجديد التاريخ . . . اما تبسيط التاريخ فبأن يكون سهلاً معقولاً ، واما تجديده فبأن يكون رائعاً أخاذاً كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم ان صاحبة « الجلالة » المطبعة التي هي الوالدة الشرعية لصاحبات « الجلالة » ان شئت ، أو « السمو » إن أحببت — الصحافة ، والمكتبة ، والحرية ، والمدينة — هذه الوالدة الجليلة الشأن تلد فيما تلد — او بعبارة اصح واقرب الى الدقة — تخلق فيما تخلق — نواحي من الاقتناع قوية . وتترك بالفعل نواحي من العظمة قوية . ثم تعمل من وراء ما تقدم على نشء الايمان بالعظمة ، وإذاعة التخلق باخلاق العظمة ، والايمان بصفات العظمة ، لانها خير منظار مكبر للقليل من صفات العظمة فبالك بكثيرها واخيراً ليس من جديد عليك ان تعلم ان الرأي العام بعد الحروب يندفع في تيارات من المبالغات . ثم يراجع سريعاً في المناقصات . . فهو بين مدٍّ وجزر في المعتقدات والاثر والحياة معتقدات وآثار

تلك هي اعتبارات اربعة هي « في ذهنك » بلا ريب وابنت تدرس معي تاريخ عصر ابي بكر بروح « الانسانية » العامة لا « الاممية » الخاصة ، وبجدة البساطة الحديثة التي لا تحفل بتفقدات الوقائع والحروب . وانت تدرسه غير عازب عن فكرك ان عظمة الماضي كانت عظمة ساذجة لم تسنح عليها صاحبة الجلالة المطبعة بشيء من نياشينها وسمتها ، ولم تل من

زينة الدعاية وطلاوة الاذاعة وبريق النشوة البطولة المكتسحة ما امامها . وتدرسه معي وانت متحصن بما تقدم من الاعتبارات ، غير ناس بالطبع الاعتصام من تيارات المبالغات والمناقصات

— ٣ —

« جيوفاني بايني » عقلية ايطالية ماردة . ذهبت في الشهوات مذهباً حاداً ينطبق كثيراً عليها قول الحريري « ايها السادر في غلوائه ، السادل ثوب خيلائه ، الجاح في جهالاته ، الجانح الى خزعبلاته » ولكن هذه الشخصية الماردة في شهواتها وكفرياتها وفلسفاتها ونظرياتها وزندقتها وتألهاها إنقلبت بعد بوتقات الحن ومصاهر التجاريب الى شخصية ورعة نعمة في الورع . شخصية مثقفة تقيّة متبلة ينطبق عليها في مرحلتها الاخيرة وصف عدي بن حاتم في احد معاصري أبي بكر « يقول عدلاً ويحكم فصلاً ، تفجر الحكمة من جوانبه ، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدعة ، طويل الفكرة ، يحاسب نفسه اذا خلا ، ويقلب كفيه على ماضى ، وكان وكان وأقسم لقد رأيته ليلة ، وقدمت في محرابه وأرخى الليل سرباله يبكي بكاء الحزين ، فكأنني الآن اسمعه وهو يقول : يا دنيا إليّ تعرضت أم اليّ أقبلت ، غرّني غيري لحن حنك ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها »

وإذا كان « جيوفاني بايني » أصبح خير من كتب عن المسيح بعد حياة كفر وزندقة ، وأصبح الورع المؤمن بعد حياة شهوة واستهتار . . فالأم كالأفراد كفر فإيمان ، وإذا كان نابليون بونابارت كان واعظاً في اوليات ايامه لآخيه يوسف . وكان زاهداً في كل شيء قبل جوزفين وبولين فانه انقلب فجأة الى ما انقلب اليه من نقيض الى نقيض كذلك الحال في الكثير من العرب بعد ايمانهم وبعد متربهم وعوزهم ، وبعد يبايهم الى محضيرهم ، وبعد خيامهم الى آطامهم . . . فلترجع معي . . الى نظرية المبالغات والمناقصات ، والمناقصات الى المبالغات . . ولكنك ستقول إن الفكرة او العقيدة هي التي تفعل هذا كله . وهي الى ان « تتركز » تمر بتلك التيارات . وانت محق بلا شك . وحروب الردة تجزم بانك محق بلا شك . وحروب الردة كانت بوتقة لتجديد الاسلام ، وكان مصهراً لخلق العرب خلفاً جديداً

— ٤ —

يقول كارليل في كتابه القيم « الابطال وعبادة البطولة » في معرض كلامه عن البطل في صورة نبي : « هل رأيته قط - معشر الاخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد ديناً عجيباً . . . ! والله إن الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب . . . ! فهو إن لم يكن عليمًا بخصائص الخير ، والحيس والتراب ، وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه بيت ، وإنما هو

تل من الانقاض ، وكشب من اخلاط المواد الى ان يقول « . . . ! ما الرسالة التي اداها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول . . . ! كلا ، ما محمد بالكاذب ، ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة ، قد تفتطرها قلب الطبيعة . . . فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع »

ولست أدري يا صاحبي هل كان كاتب الانسانية « كارليل » قد اطلع على كل جزئيات حياة بطاله « محمد » ؟ هل كان قد اطلع على كل ما ناله من اذى وتشريد ؟ هل كان قد اطلع على فقره يافعاً وصغيراً ، وزهده شيخاً وكبيراً ، وحكمته وسداده مبشراً ونذيراً ؟ هل كان قد اطلع على ما كان بينه وبين عتبة بن ربيعة حينما قال له : « إنك قد اتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جمعهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبثت به بألهمهم ودينهم ، وكفرت به من مضي من آباءهم ، فاسمع مني اموراً لعلك تقبل منها بعضها . . . فقال له رسول الله . . . قل يا أبا الوليد . . . قال « إن اردت بالذي فعلت مالا جمعناه لك ، او شرفاً سودناك علينا ، فلا نقطع امرأ دونك ، وإن كان يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه . . . قال . . . « افرغت يا أبا الوليد . . . قال نعم فاستمعته آيات من سورة السجدة وسجد . . . فقام عتبة الى اصحابه بغير الوجه الذي ذهب به ، فقالوا ما وراءك يا أبا الوليد . . . قال ورأيت اني سمعت قولاً ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة . . . اطيعوني يا معشر قريش ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبأ . قالوا . . . « سحرك يا أبا الوليد . . . ؟ » قال لتجمع اشراف كل قبيلة عند ظهر الكعبة ، ونبعث اليه ، ففعلوا ف جاءهم حتى جلس اليهم ، فقالوا انا والله ما نعلم رجلاً من العرب ادخل على قومك الذي ادخلت ، الى آخر ما قاله عتبة . . فقال ما بي ما تقولون . . « ما جئت بما جئت ، لا طلب اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن بعثني الله اليكم رسولا ، وانزل علي كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ماجئكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي اصبر لا امر الله حتى يحكم بيني وبينكم » أجل . لست ادري شيئاً من هذا ، ولكنني اجزم بأن « كارليل » على حق ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب . . . وان الرسالة التي اداها محمد حق صراح ، وانه قطعة من الحياة تفتطرها قلب الطبيعة . . . ! ثم اجزم لك ان القاضي عياض وشراح القاضي عياض « وميور » و« أميل درمنن » . . . وعشرات الرواة والمؤلفين كانوا على حق في تفنيهم بصفات رسول الاسلام وباعت دولة الاسلام . كما اجزم لك ان

من يقول « السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه .. ويقول .. اغتم خساً قبل خمس : شيا بك قبل هرمك ، ومحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .. ويقول .. طوبى لمن شغله عييه عن الناس ، وطوبى لمن انفق من مال اكتسبه في غير معصية .. ويقول .. ضع المعروف الى من هو اهله ، ولن ليس اهله .. » اجزم ان من يقول ذلك ثم من كان من صفاته التي هي على غرار واحد وطراز واحد ومن معدن واحد انه كان « سهل الخلق ، لين الجانب ، دائم الفكرة ، متواصل الاحزان ، طويل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة يخزن لسانه إلا في ما يعنيه ، كلامه فصل لا نذر ولا هذر . لا يذم أحد ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجي ثوابه ، مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصبر .. نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء ، تنام عيناه ولا ينام قلبه .. يتفقد اصحاباً ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، أفضل الناس عنده أهمهم نصيحة ، وأعظم الناس عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة ، يرفد صاحب الحاجة ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه .. يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم .. يمر بالصبيان فيسلم عليهم .. واذا اتقى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس .. » اجزم ان من تكون هذه بعض صفاته — لا فضلى حسناته — لا بد وان يكون عظيماً في اثره ، صادقاً في رسالته ، متقفاً لامته . ولا بد وان يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان ، وهدى وإيمان

وكيف لا يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان ، وهدى وإيمان ، وقد تأدب القوم فيه بأدب القرآن ، وليس من قصدنا ان نتحدث اليك عن اعجاز القرآن وقد قرأت ما كتبه الاوائل والاواخر من الزمخشري والرازي والجرجاني والرماني والواسطي والعسكري وابن رشد والباقلاني والرافعي وغيرهم

اجل تأدب القوم بأدب القرآن ، ومشت في عروقهم روح الايمان . حتى رأينا النساء كالرجال في التضحية في سبيل الوطن ورفعة شأنه ، ولعلك قد قرأت في السير ما كان من صفة بنت عبد المطلب ، وقد شهدت بعينها تمثيل المشركين في واقعة أحد بسيدنا حمزة عم النبي ، وكانت هند وصاحباتها قد جدعنه ، وبقرن عن كبده ، ولا كتبها ولم تسفها فلما رأى النبي ذلك في حمزة ، وأقبلت اخته صفة أشار عليه السلام على ابنها الزبير ليردها حتى لا ترى ما حلَّ بأخيها ، فلقبها واعلمها .. فقالت .. وهي الكسيرة القلب ، الدامية الفؤاد ، ولكنها المترعة الايمان ، القوية العقيدة ، الخالصة الاخلاص .. قالت : « بلغني انه مُثل بأخي ، وذلك في الله قليل ، فما ارضانا بما كان من ذلك لأحسبن ولا صبرن ! »

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، ولعلك تذكر ما كان من قوم عطشى من جند المسلمين في تلك الايام ، يجودون بارواحهم في سبيل الله وسبيل الوطن قد طلب احدهم ماء فأتى بالماء . . . وإذ بالثاني قد طلب الماء وإذ بالثالث قد طلب الماء . . . وإذ بفريقهم قد طلب الماء ، فأثر كل أخاه على نفسه واستقبل الموت في سبيل انسانيته وبره وإثاره !

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، فلماذا لا يفوز جند قليل على جند كثير ، ولماذا لا ننظر من كل قائد من قواد العرب في تلك الايام إن يصيح في جنده قائلاً مقالة عبد الله بن رواحة . « انتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به . . . ! »

يقول توماس كارليل : « ان عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلاداً كريمة ، وكأنما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق ، فكان ثمت شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم ، وكأنه يبسط من قسوة قلوبهم مزاج من الدين والدمائة ، كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء ، وقيعان ذات أمواه ، وأكلاء » وإن كارليل لو وقف على اعجاز القرآن بقدر ما تفهم أسرار عبقرية محمد لكان بسعنا الكثير المطرب من شجي كلامه وعذب مشوره عن مبلغ تطور الخلق العربي تطوراً إلى خير الانسانية في عصرنا الذي تتكلم عنه . . . ذلك العصر الذي كان من أولى مميزاته الايمان العميق والاخلاص العميق ولا غرو فان محمداً وصحابة محمد كانوا على ايمان واخلاص والاخلاص كما يقول كارليل عن البطل في صورة نبي : « هو أول خواص الرجل العظيم كيفاً كان . . . ! »

إذن فليس بغريب ان نشاهد من أبي بكر وصحابة أبي بكر قيامهم جميعاً قومة رجل واحد ، بدافع الايمان والاخلاص ، لحرب الردة ، ولبسط سلطان الاسلام ، لا للقتال والسجال ، ولا للفتح أو طلب المال ، وإنما في سبيل الايمان ، وفي سبيل تحرير بني الانسان

—٦—

ولكنك تطالبني الآن بالتحدث اليك في الردة من حيث كونها بوتقة صهر بها الاسلام وخرج منها قوياً مذاعاً ، ونال من بعدها نجاحاً مؤزرًا . وأنت تعلم ان الردة في مجملها امتاع فريق من العرب كبير عن اداء فريضة الزكاة باعتبارها نوعاً من الاتاوة ، وفاتهم انها نوع من المعونة والرحمة والعطف من غنيهم لفقيرهم ومن قويهم لضعيفهم . وتعلم ان تيار الردة كان قوياً وجباراً في قوته حتى كاد يكتسح الاسلام اكتساحاً ، لولا انه دين الله ولولا ان هد للمرتدين مثل أبي بكر فرماهم بشجعان العرب وفرسان الهزاهز وابطال المواقع أمثال خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، وشرحيل بن حسنة ، والمهاجر بن أبي أمية ،

وحذيفة بن محصن، وعرجة بن هرثمة، وسويد بن مقرن، والعلاء بن الحضرمي، وطريقه
 ابن حازم، وعمرو بن العاص، وخالد بن سعيد والمثالث من أمثالهم وفي بساطتهم
 تعلم هذا وتعلم من الطبري وغير الطبري النصوص التي كتبها أبو بكر لأمر كل بعث
 والجماعة المرتدين في كل قطر، وقد هالك طبعاً أن نيران الفتنة قد التهمت في كل صقع من بلاد
 العرب، وهالك طبعاً أنه إلى جانب هذا الارتداد الجزئي ارتداد أوسع نطاقاً وأبلغ خطراً
 هو ادعاء النبوة عند الكثيرين ممن يصح أن يتحدث في أمرهم معك تفككة ودعابة. يند أني
 الآن أريد أن أتحدث اليك في شيء جزئي هو الآخر ولكن له معناه وله فلسفته وله
 درسه وله تهذيبه. . . ذلك الشيء هو انفاذ أبي بكر الصديق لحش أسامة بن زيد، وأعتقد
 أنك ستوافقني بعد وقوفنا على ذلك الشيء الجزئي فنؤمن معاً بضرورة نجاح أصحاب هذه
 الدعوة الإسلامية، لما لهم من مميزات خلقية من عزيمة حذاء، وهمة شماء، وإرادة مضاء
 أجل سأحدثك عن أسامة وبطولة أسامة وهو لم يزل بعد في طراوة إهابه وعنفوان شبابه،
 وهو جدير باعجابك وتقديرك لأنك معجب بنا بليون وبطولة نابليون وهو لم يزل بعد كأسامة في
 طراوة إهابه وعنفوان شبابه. . . ولكنني أعلم حبك للنصوص التاريخية لأن رسميات ذلك
 العصر ومما هو شبيهه بالرسميات مما يقع من قلبك الكبير موقع التقدير والاحلال. . . ولست
 في حاجة أن أذكرك أن نية رسول الله كانت منصرفة إلى أن يبعث بأسامة وجيش أسامة
 لتأديب بعض العصاة والخارجين، ولست في حاجة لأن أقول لك أن المنية قد عاجلت
 الرسول دون انفاذ هذه البعثة، وأن ارتداد المسلمين والذهول الذي استولى على المؤمنين
 بوفاة نبيهم لم يحولا بعد مما ستحدثك به النصوص والرسميات، والمصادر الشبيهة بالرسميات
 يحدثنا الطبري عن مشيخته عن عاصم بن عدي: أنه قد نادى منادى أبي بكر من بعد
 الغد من متوقفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستم بعث أسامة إلا يقيين بالمدينة أحد من
 من جند أسامة إلا خرج. . . ويحدثنا بأن أبا بكر قد خطب هذا الجند بما سجده في أخبار
 السنة الحادية عشر. . . ثم يحدثنا الطبري بأن الحسن بن أبي الحسن البصري قد قال
 مانصه: ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم
 وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد، فلم يجاوز بهم آخر الخندق حتى قبض رسول
 الله صلعم، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر: أرجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه بأذن
 لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل
 رسول الله، وانتقال المسلمين أن يخطفهم المشركون. . . ! فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى
 أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر: لو حفظني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به

رسول الله صلعم ، قال : فان الانصار امروني ان ابلغك وانهم يطلبون اليك ان تولي امرهم رجلا اقدم سناً من اسامة ، فوثب ابو بكر وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر فقال له ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلعم وتأمرني ان انزعه ! فخرج عمر الى الناس فقالوا ما صنعت فقال : امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله ! ثم خرج ابو بكر حتى اتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش ، واسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر ، فقال له اسامة يا خليفة رسول الله والله لتركبن او لا تزلن ، فقال والله لا تنزل ووالله لا اركب ، وما على ان اغبر قدمي في سبيل الله ساعة . . ان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة حتى اذا انتهى قال ان رايت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ثم قال : يا ايها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ولا تغلوا ، وتغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا ولا تغفروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لما كلة ، وسوف تمر بآقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام فاذا اكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون اقواماً قد فخصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاحققوهم بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله اه

وانك بلا ريب ستلفت نظري يا صاح الى قوة ارادة ابي بكر المثلة في قوله « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله » ، وستشير الى بما في تصميم ابي بكر على امره اسامة من احترام ارادة الرسول ، وستذكرني بأدبه في مشيته ، وايمانه في خطوته وادبه مع قادته ستلفت نظري الى ذلك كله مما يجب على ان اذكره واتدبره واما انا فأرى في عتقي بعد ان فهمت ما ترمي اليه من تبيان رسوخ ابي بكر واستصعاده للخطب وتقديره للكفايات واحترامه لحقوق الامير وهو الخليفة دونه استئذانه في النزول له عن احد رجاله عمر بن الخطاب — اما انا فأرى من قبلي ان الفت نظرك، سيما في ايماننا هذه وجيلنا الراهن وحروبنا الحاضرة الى ما تضمنته وصيته لجنده من ضروب الانسانية وآداب المقاتلة اليس كذلك ؟

احمد فريد رفاعي



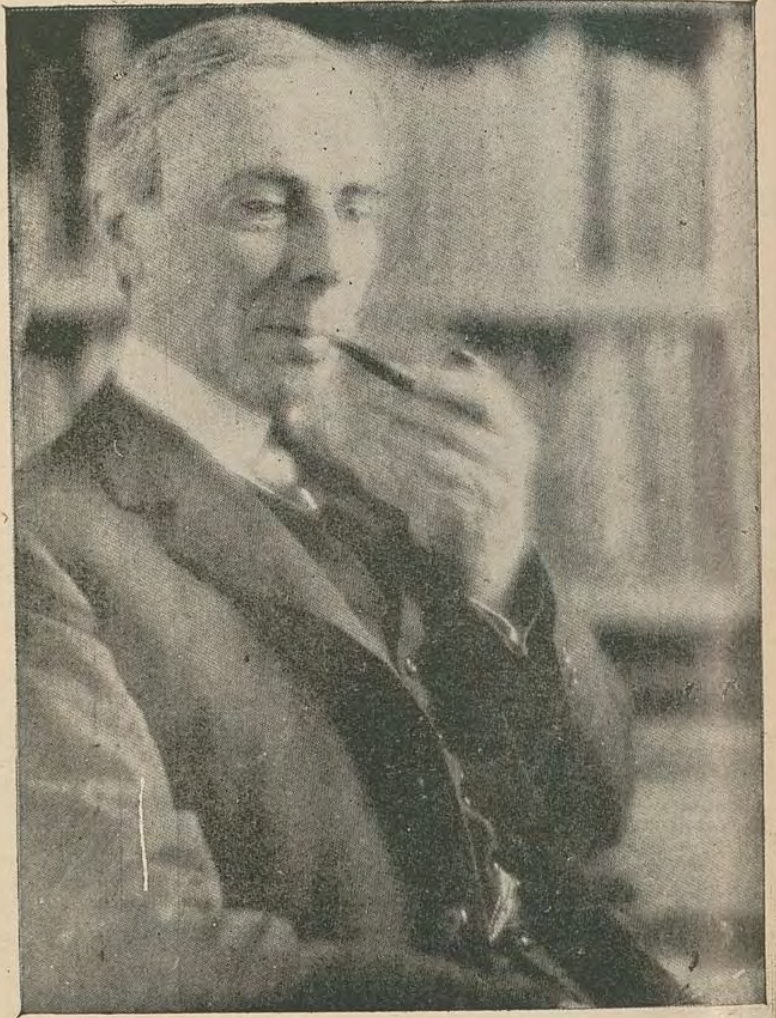
شترزمان

رجل الواجب

كان الدكتور شترزمان يعرف خطورة المرض الذي يهدد حياته وكان يعلم من اطبائه انفسهم انه لن يعمر اكثر من ثلاث سنوات ابتدأت في الشتاء الماضي وكان منذراً بانه لن يأتي على آخر هذه السنوات الثلاث الا اذا اعتزل مهام منصبه وانصرف الى الاهتمام بمعالجة صحته. ولكنه لم يحفل بانذار اطبائه ولم يكثرث لتفاقم مرضه لاستخفافاً برأي اجمع اطباء عليه أو استهتاراً بالآلام مرض اشتدت وطأته، بل رغبة منه في المضي في عمله وعدم مغادرة ميدان الجهاد قبل الوصول الى آخره لا حباً بمنصب أسمى بصيرته أو شغفاً بشهوة وهنت امامها حكمته ولكن تأدية لواجب كان لا يفتأ يشعر بوجود تأديته ارضاء لنداء ضميره وراحة لصوت وجدانه — فاني لما حظيت بمقابلته في مكتبه بوزارة الخارجية في برلين في آخر شهر يونيو الماضي اخذ يحدثني عن امنية قديمة كان يظن ان المنية تمهله من الوفاء ما يكفي لتحقيقها وهي امنية زيارة مصر لمشاهدة اعلامها وآثارها وتمتيع النفس باعتدال اقليمها. فقد قص عليّ رحمه الله يومئذ انه عزم على الحجى الى مصر اربع مرات لامرة واحدة وحدث في مرة منها انه اشترى تذكرة السفر وتأهب للرحيل فعلاً ولكن اعمالاً مستعجلة طرأت عليه في تلك المرة كالأعمال التي كانت تطرأ عليه في كل مرة فمنعه عن السفر. وهنا سكت لحظة ثم حذق اليّ وقال « واطن انكم ترون معي ان الواجب يجب ان يقدم على كل اعتبار آخر في هذه الدنيا ». وقد ظل هو يقدم الواجب على كل اعتبار آخر الى ان ادرسته المنية وهو مكب على معالجة شؤون بلاده الداخلية والخارجية فقضى شهيد الواجب وكان حقاً على المانيا ان تبكيه كما بكته وعلى صحافة العالم ان تراثيه كما رثته وحسبه فخراً بعد ثمانين ان تقول عنه صحيفة « الديلي هيرالد » الانجليزية « من كان يقول لما وضعت الحرب العظمى اوزارها اتنا سبكي سياسياً ألمانيا بعد عشرين سنوات كما نبكي الدكتور شترزمان الآن »

السياسي والزعيم

وقد كان الدكتور شترزمان من اصحاب الرأي القائل بانه ينبغي على السياسي ان يختلف اختلافاً عظيماً عن الزعيم بخططه والوسائل التي يتعين عليه ان يتوسل بها لتحقيق اغراضه كي ينهض بالمهام الملقة على عاتقه بما يعود بالمنفعة على بلاده وبالرفاهية على ابناء وطنه. فيينا



برتراند رسل
الفيلسوف الإنكليزي المشهور

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٢٨٩



رأس جمال لغوزمان



شترزمان وتوقيعه

نحت الصورة التي أحدها الى الإبتداء كاتب هذا المقال

الزعيم مضطر في احوال شتى الى مراعاة رغائب انصاره
وتكييف تصرفاته بما يطابق شعور شعبه لئلا يحرم من
عضده أو يفقد شيئاً من ولائه يتعين على السياسي ان
يكون نافذ البصر بعيد النظر فيتنبأ بمصير الحوادث
وعواقبها ويعمل في كل ظرف من ظروفها بما يكفل
تحقيق النتيجة النهائية على ما تقتضيه مصلحة بلاده
وسعادة شعبه ولو أدى هذا المسلك في بادئ الأمر
الى نقد خططه والنفور من سياسته

وفي الواقع انه لم يكن في الدكتور شترزمان شيء
من تلك القوة المغنطيسية التي تجذب الجماهير اليها فكان
يفتقر والحالة هذه الى اول صفة من الصفات الجوهرية

اللازمة للزعامة الحقيقية. فقد كان ربعة القامة ممتلئ الجسم اصلع الرأس كبير الوجه متنفخ الخدين
أشقر الحاجبين والشاربين اخن الصوت قليلاً. وقد تبين لي من كلامه معي انه ليس المانيّاً
بشكله فقط ولكنه الماني بطبعه وبحديثه ايضاً فانه كان في حفاوته غير متصنع وفي جلسته
وحركاته غير متكلف وكان حديثه بسيطاً صريحاً لا تجد فيه اثرًا للتزييق والتمنيق وكان
لا يعرف من المجاملة الا ما تقتضي به آداب المجاملة — فرجل كهذا وان كان لا يستطيع
ان يصير زعيماً الا ان من شأنه ان يكتسب حلاً ثقتك باقواله لانك تطمئن فوراً الى
صراحته وترتاح الى بساطته. فلا غرو اذا كان قد عرف كيف يفوز بثقة ساسة
الحلفاء حتى حملهم على الموافقة على دخول المانيا في جمعية الامم واشتراكها في معاهدات
السلم واهمها معاهدة لوكارنو. وكان يعد مسألة قبول المانيا في سلك جمعية الامم
أكبر مرحلة خطتها المانيا بعد الحرب العظمى في سبيل استرداد المقام الذي كانت تتبوأه
قبلاً في عالم السياسة الدولية ولذلك كان يعلق فوق مكتبته نص التلغراف الذي ارسله اليه
السكرتير العام لجمعية الامم ليبلغه فيه نبأ قبول المانيا في سلكها. غير انه اذا كانت الثقة التي
كان الدكتور شترزمان يولدها في نفوس عارفيه وسامعيه قد خدمته أجل خدمة في الاتفاق
مع الحلفاء على تسوية مشا كل المانيا الخارجية فان تعلقه برأيه القائل « بان ينبغي على السياسي
ان يختلف عن الزعيم بخططه وتدابيره » اضره حيناً من الزمن وكاد يفضي الى اغتياله في
وقت من الاوقات أي قبل ان يدرك الالمان حقيقة مرمى سياسته ويقدرّون نتائجها حق قدرها.
ويقول كبار الكتاب الاوربيين ان هذه الصفحة في حياة شترزمان هي اعظم صفحات سيرته وأغرها

[اتج للاستاذ كريم ثابت
ان يسافر في هذا الصيف
الى اوربا لموافاة « المقطم »
باناء الرحلة الملكية فانهز
هذه الفرصة وقابل اقطاب
السياسة في البلدان التي زارها
امثال السنيور موسولينى والمسيو
ماساريك والدكتور شترزمان
والدكتور بينش وغيرهم وقد
واقانا بهذا المقال عن وزير
المانيا الكبير على ذكر وفاته في
الشهر الماضي]

لوكرنو

فانه لما تقلد الدكتور شترزمان منصب وزارة الخارجية في حكومة بلاده من نحو سبع سنوات رأى ان المانيا لا تستطيع ان تجاهد في سبيل استرداد المقام الذي كان لها قبل الحرب العظمى في اسواق العالم التجارية ما لم يسد جوفها الهدوء والسكينة وذهب الى ان هذا الوطر لا يدرك الا اذا سويت العلاقات بين المانيا والحلفاء تسوية نهائية على اسس العدل والانصاف سواء كان ذلك من الوجهة السياسية أو من الوجهة المالية والاقتصادية. فاذا تم لالمانيا اجراء هذه التسوية كما تمنى غدت في حالة تستطيع فيها ان توجه كل جهودها الى استرداد ذلك المقام المنشود . ولما ايقن ان هذه السياسة هي الخطوة الرشيدة التي يجب عليه انتهاجها لمصلحة بلاده قرر المضي فيها مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة وتضحية وأخذ من ذلك الحين يتحين الفرصة الملائمة للشروع في تحقيق خطته الى ان كانت اوائل سنة ١٩٢٥ فأرسل الى دول الحلفاء مذكرة سياسية قال فيها انه يقترح ابدال الضمانات العسكرية التي اتخذها الحلفاء في بلاد الرين وعلى حدود المانيا باتفاقات دولية تعقد بين الفريقين ثم ختم مذكرته بقوله انه في الاستطاعة ايضاً البحث في عقد ميثاق لتأييد السلم تشترك في امضائه الدول التي ترغب في احلال الوفاق محل الشقاق . فكان لهذه المذكرة وقع عظيم في بلدان الحلفاء ولاسيما لندن ووشطن وفي باريس نفسها فاغبط شترزمان بوصوله الى النتيجة التي كان يسعى اليها وهي ان يثبت لشعوب تلك البلدان حسن نية المانيا واستعدادها للتعاون معها على تعزيز السلم في اوربا . وكان من نتيجة المساعي التي بذلها بعد ذلك ان قرر وزراء الخارجية البريطانية والفرنسية والاطالية والالمانية الاجتماع في لوكرنو للبحث في مشروع الميثاق الجديد الذي اقترح الدكتور شترزمان عقده ولكن الجانب الاكبر من الشعب الالمانى لم يدرك في بادىء الامر الغاية الحقيقية التي يصبو اليها الدكتور شترزمان ويسعى بكل قواه اليها فانكر سياسة « المسألة » انكاراً شديداً حتى ان بعض شعب الكتلة الوطنية ذهب الى اتهامه بالتساهل في حقوق البلاد فهاج عليه الرأي العام ورماه بالخيانة العظمى وحملت عليه الصحف المناوئة لسياسته حملة شعواء زادت في اثارة الخواطر حتى ان ولاية الامور خشوا على سلامته فاحاطوه برجال الحفظ والبوليس السري في غدواته وروحاته وكنتموا مواعيد اسفاره وتقلاته — كل ذلك والدكتور شترزمان مصر على المضي في السياسة التي اعتقد ان فيها مصلحة المانيا مهما كلفه الامر مع ان الجرائد كانت قد بلغت يومئذ في التهجم عليه وطلبت محاكمته امام محكمة الدولة العليا فلم يبال بهذا الاتهام الشنيع اكثر من مبالاته بصحته

ولما ذاع في المانيا نبأ انعقاد مؤتمر في لوكارنو لامضاء الميثاق الجديد الذي عرف بميثاق لوكارنو اشتد هياج الوطنيين الالمان بخاف ولاية الامور عاقبته فأمسكوا عن اعلان موعد سفر الدكتور شترزمان الى لوكارنو وأحاطوا محطة سكة الحديد بالحرس ومنعوا الناس من دخولها وبثوا رجال البوليس السري في القطارات يفتشون مركباتها ويراقبون ركبها وقبل ان يغادر الوزير مدينة برلين بوقت قصير اكتشف ولاية الامور مؤامرة سياسية لاغتياله فأبى ان يرجى سفره غير انه لما وصل به القطار الى الحدود السويسرية رضي ان ينزل منه وان يستأف سفره مع سائر المندوبين الالمان الى لوكارنو بالسيارات

جمعية الامم

وأفضى امضاء ميثاق لوكارنو الى دخول المانيا جمعية الامم مع موافقة الدول على التحفظات التي ابدتها فاطمان الجمهور الالمانى الى سياسة وزير خارجيته بعض الاطمئنان فلما اعلن بعد ذلك ان المانيا تنهز فرصة انتظامها في سلك الجمعية لتتجاهر بانها ليست مسؤولة عن تبعات الحرب زالت المخاوف التي كانت تساور الجمهور وبدأ يرتاح الى سياسة وزيره فلما خطا خطوته الثالثة طالباً اعادة النظر في مسألة التعويضات وعقبها بخطوته الرابعة طالباً وضع حد لاحتلال الحلفاء للبلاد الالمانية المحتلة انقلب سخط الجمهور عليه الى الرضاء عن سياسته والثناء عليها اذ ادرك الالمان في تلك الساعة ان وزيرهم المحنك لم يكن بقل عن اكثرهم تحمساً ووطنية واخلاصاً وانما اراد ان يأخذ سياسة الحلفاء باللين والحسن ليحقق اغراضه في جو يسوده الوفاق والوئام . فاجلوه واحبوه وبدأوا يقابلون بعض صفاته بالصفات التي امتاز بها بسمارك الكبير . وصفوة القول ان الدكتور شترزمان اصبح من ذلك اليوم يعتبر منقذ المانيا من المشكلات الخطيرة التي واجهتها بعد الحرب العظمى واكتسب في قلوب الالمان منزلة لم يعهد مثلها من قبل الا بسمارك الكبير

ولما كان الدكتور شترزمان قد اهتم بمسألة دخول المانيا لجمعية الامم ذلك الاهتمام الكبير عن لي ان اسأله هل يعتقد ان الجمعية ستوفق الى تحقيق غايتها فأجاني بقوله :

« ان مهمة جمعية الامم مخفوفة بالصعاب ولكن كل حب للانسانية يمتنى نجاحها ولا شك في ان الجمعية قد تقدمت تقدماً محسوساً يبعث على الارتياح وعندي ان جمعية الامم تسدي الى الدول خدمة جليلة تضاف الى الغاية الكبرى التي تسعى لها وذلك انها تتيح لساسة الدول المشتركة فيها فرصة الاجتماع بعضهم ببعض حول طاولة واحدة فيتجادلون اطراف الحديث في مقام متساو وفي جو يسوده السلام والصفاء فتساعد تلك الاحاديث في كثير من الاحيان

على حل مشكلات وإزالة التباسات قد يتفاهم أمرها اذا ظل كل فريق قابلاً في عقرب داره ولا يسعى الى الوقوف على وجهة نظر غيره وآرائه ولا يعنى هو من جهته ببسط وجهة نظره والادلاء بفكاره. وصفوة القول اني اعلق شأنًا خطيراً على مثل هذه الاجتماعات والمحادثات لاعتقادي انها كبيرة الفائدة بعيدة الاثر وأرى ان السياسة ليست علماً موضوعاً له اصول ثابتة وقواعد معينة بل هي مرهونة بحكم الاحوال وعندي ان الوقت يعالج احياناً مسائل خطيرة تعجز جبابرة العقول عن معالجتها قبل حلول الاوان الطبيعي لحلها. فالسياسي الماهر هو الذي يعرف كيف يعطي الزمان حقه حتى اذا فعل الوقت فعله عرف كيف ينهز الفرصة ويستفيد من الانتظار في الاوان المناسب «

علمه وأدبه

وأرى ان هذا البحث الوجيز في سيرة الدكتور شترزمان لا يكتمل الا اذا تناول بعضاً من نواحيه الشخصية ومن ذلك ان عارفيه يقولون ان ميله الفطري الى العزلة عن الناس والايجاز في الكلام بدأ يتجلى فيه منذ نعومة اظفاره فانه كان وهو حدث لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يفرّ من المجتمعات والمنتديات ليخلو بنفسه في زاوية من زوايا بيته فيمضي الساعة تلو الساعة في المطالعة او التأمل والتفكير حتى ان اهله ما عدا والدته كانوا يعنفونه على هذا السلوك الشاذ. اما والدته فكانت الشخص الوحيد الذي ادرك حقيقة خلقه وشكله بعطفه ورعاه بحنانه

وجاء ذكر الرياضة البدنية في حديث الدكتور شترزمان معي فقال انه لا يمارس ضرباً من ضروب الرياضة ثم ذكر فجأة انه يمتق الملاكمة مقتاً عظيماً فسأله مبتسماً عن سبب مقته لها فأجاب بقوله « لا اعلم . وكل ما اعلمه هو اني اكرهها . واني افضل الا داب عليها » وقد كان رحمه الله من المولعين « بحجوتي » الشاعر الالماني الكبير وكان يخلتس دائماً اوقات فراغه ليعكف على المطالعة في كتاباته ومنظوماته وقد وجد من نحو ستين الوقت الكافي رغم مهامه الكثيرة ليعد محاضرة شائعة عنه القاها في النادي الذي ينتسب اليه على مسامع جمهور من الادباء الالمان . وكان من المعجبين ايضاً بشكسبير وقد ظلّ حتى السنوات الاخيرة يحضر بانتظام كل محاضرة تلقى عنه في برلين وكان لكتابان « ما كولي » منزلة رفيعة في نفسه لا يقل عنها اعجابه بمؤلف « فولتير » المسمى « محمد »

كرم ثابت



دراسة من درر الفلسفة الحديثة

كيف تكونت عقيدتي الفلسفية

لبرتراند رسل

الفيلسوف الانكليزي المشهور

وقعت الرسالة التي وضعها محرر هذه المجلة في تحليل جمهورية افلاطون وقماً حسناً لدى جمهور القراء فطلبوا الاستزادة من هذه المباحث الفلسفية. وفيما نحن نعد العدة لبحث من هذا القبيل طلعت علينا احدى المجلات الاميركية بمقالة للفيلسوف الانكليزي المعاصر برتراند رسل يسط فيها عقيدته الفلسفية واصولها. فرأينا ان نقلها الى القراء لان ما تحتوي عليه من الآراء يماج المشكلات التي يعاها العمران في العصر الحاضر. وقد قال في مطلعها « ان نظري الى الكون والحياة كنظر سائر الناس وليد الحوادث والايام قدر ما هو وليد الطبع الموروث » وقال احد الكتاب المشهورين في برتراند رسل ما يأتي : انه فيلسوف متصوف. والفلاسفة كالصوفيين يرون رؤى اعلى ان اصحاب الرؤى ليسوا اضعف القوى التي تسير هذا العالم ولا هم اخمل الناس فيما يبذلونه من السعي لرفع مستوى الحياة». قال :

الدين

اما فيما يتعلق بالمعتقد الديني فيظهر ان الذين تعهدوا تريتي الدينية لم يسلكوا اقوم السبل ليغرسوا في نفسي التسليم باصول المعتقد المستقيم الرأي من غير تساؤل عن صحتها او زود في الاخذ بها. فقد كان ابي وامي من احرار المفكرين ولكن امي توفيت لما كنت في السنة الثانية من عمري وتبعها ابي في السنة التالية فلم اعرف آراءها الدينية الا بعد ما بلغت دور الشباب. وبعد وفاة والدي اخذتني جدي وغيت بتنشئي وتهذيبي وقد كانت من اتباع المذهب البرسييتاري الاسكتلندي ولكنها انقلبت وهي في السبعين من عمرها واعتقت مذهب « الموحدن » (اليونيتاريان) وكانت تسير بي كل يوم احدى الى الكنيسة فكنا نذهب في الاحد الاول الى كنيسة المقاطعة وهي « ايسكوبالية » وفي الاحد التالي الى كنيسة اخرى تابعة للمذهب « البرسييتاري » وكانت هي في البيت تعلمني اصول المذهب « الموحد ». على اني لم انشأ على حسابان كل ما تحتويه التوراة صحيحاً بحرفه ولا ان اعتقد

صحة العجائب والعذاب الأخير. ولا ازال اذكر معلماً سويسرياً قال لي ذات يوم، وكنت في الحادية عشرة من عمري « اذا كنت داروينياً فاني اشفق عليك اذ يتعذر ان يكون الانسان داروينياً ومسيحياً في آن واحد ». لم اكن في ذلك العمر اعتقد انه يتعذر الجمع بين الاثنين في حين نفس واحدة على انه كان قد اتضح لي حينئذ اني لو خيّر بين الاثنين لاخترت ان اكون داروينياً. ولكنني ظلت اوّمن باصول المعتقد الموحد حتى بلغت الرابعة عشرة اذ تملكنتني عاطفة التدين حتى اخذت عليّ مذهباً وصرت شديد التوق الى معرفة امر واحد هو: هل هنالك سبب كافٍ لاقناعي بان الدين صحيح؟ وقضيت السنوات الاربع التالية من عمري في التفكير والتأمل في هذا الموضوع. ولم اكن استطيع ان افتح احداً من ذوي بما يجول في ذهني لثلاً أوّله. وكانت تتنازعني نزوات من الالم المبرح لما كنت اشاهده في نفسي من تداعي اركان الايمان وضرورة السكوت عليه. واول المعتقدات التي نبذتها عقيدة « الارادة الحرة » ذلك اني كنت احسب حينئذ ان كل حركات المادة حتى المادة التي يتركب منها جسم الانسان خاضعة لنواميس الحركة الدينامية وانها لذلك لا يمكن للارادة الانسانية ان تؤثر فيها. والمعتقد الثاني الذي نبذته معتقد « الخلود » ولكنني لا استطيع ان اذكر الآن ما كانت الاسباب التي حملتني على نبذه. وظللت اوّمن بوجود الله لان التدليل على وجوده بدليل « السبب الاول » كان في نظري لا يدحض. ولكنني قرأت سيرة الفيلسوف جون ستيورت ملّ لما بلغت الثامنة عشرة من العمر فظهر لي ما في هذا الدليل من الضعف وعليه تخليت عن كل المعتقدات التحكمية المسيحية. ولشدّ ما كانت دهشتي حين وجدني اسعد حالاً واهناً معيشة من حين كنت اغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني

ولما بلغت هذه الرتبة من مراتب التفكير انتظمت في سلك جامعة كمبرج حيث وجدت للمرة الاولى اناساً يستطيعون ان احدثهم في شؤون تهمني. في كمبرج درست الفلسفة واصبحت من اتباع الفيلسوف هيغل وبقيت كذلك ثلاث سنوات. وبعد خروجي منها قضيت بضع سنوات في درس علوم متفرقة فقضيت شتائين متوالين في برلين ادرس علم الاقتصاد السياسي. وفي سنة ١٨٩٦ حضرت الطلبة في جامعتي جونز هبكنز وبرن مور الاميركيتين في موضوع « الهندسة غير الاقليدية » ثم قضيت زمناً بين هواة الفن في فلورنسا وقرأت « بايتر » و« فلور » من امراء الادب في العقد الاخير من القرن التاسع عشر. واخيراً اعتزلت في بيت بالريف عازماً على الاشتغال بوضع كتاب كبير في « مبادئ الرياضيات » كانت مطامحي منذ صرت في الحادية عشرة من عمري تتجه اليه

الرياضيات

كنت في الحادية عشرة حين حدث لي حادث كان له أكبر اثر في حياتي . ذلك ان اخي — وهو في الثامنة عشرة حينئذ — اخذ على عاتقه تعليمي هندسة اقليدس فكان فرحي بذلك لا يوصف لانه كان قد انتهى الي ان اقليدس يبرهن ما يقول فأُملت ان احصل من وراء درسه على معرفة راسخة . ولن انسى ما خمرني من خيبة الامل حين وجدت ان اقليدس يبدأ بالاوليات وهي امور مسلم بها . فلما قرأ اخي الاولية الاولى لم ار سبباً يحملني على التسليم بصحتها فقال اخي « اذن فلا فائدة تجني من التماهي في هذا الدرس » ولما كنت نواظراً الى درس الهندسة سلمت بصحتها جدلاً ولكن اعتقادي ان في مكان من الكون يستطيع الحصول على معرفة ثابتة صدم صدمة عنيفة . ان ميلي هذا الى الكشف عن معرفة راسخة كان محور كل عملي ومصدر وحيه الاعلى الى ان بلغت الثامنة والثلاثين من عمري . وكان من الواضح حينئذ ان الرياضيات هي اقرب العلوم الى قدس المعرفة الراسخة . لذلك غنيت باصول الرياضيات وتعمقت فيها . وفي السنة الثامنة والثلاثين من عمري شعرت اني قد بذلت كل ما استطيع بذله في هذا الميدان مع اني كنت لازال بعيداً عن محجتي « الحقيقة المطلقة » لا بل ان النتائج التي اسفرت عنها مباحثي حملتني على الارتياب في علم الحساب وهو رب لم يتطرق اليّ قبلاً . وقد كنت معتقداً ولا ازال ان الطريقة التي جريت عليها هي اقرب الى المعرفة الحقيقية من كل الطرق المعروفة ولكن المعرفة التي أفضت اليها ليست الا معرفة تقريبية وليست معرفة مدققة كما يبدو لاول وهلة . وشعرت حينئذ اني لا اميل الى وقف نفسي على المجردات بعد ما بذلت في سبيلها كل ما في وسعي من غير تحقيق غرضي . وبعد ما أملت مع الاستاذ هويتهد وضع كتاب « مبادئ الرياضة » بقيت ثلاث سنوات متوالية متردداً فيما اتجه اليه من المباحث والاعمال . وكنت حينئذ ادرس في كمبردج ولكنني أبقت اني لا اريد ان استمر في عملي هذا الي ما شاء الله . وكنت بحكم الاستمرار لا ازال مشغولاً يبحث المنطق الرياضي ولكن ميلاً خفياً تولاني الى تغيير الموضوع برمته

الحرب

ولنثبت الحرب الكبرى فعلت من غير ظلم من الريبة او التردد ماذا علي ان افعل . لم اشعر في حياتي قط كما شعرت حينئذ ان كل كيان مصوب الى عمل كما كان مصوباً الى عمل الدعاية السلمية التي قمت بها في اثناء الحرب . ولا اذكر اني ترددت في اي عمل آخر اقل من ترددي في هذا العمل . ولاول مرة في حياتي وجدت شيئاً يشغل طبيعتي باسرها . ذلك ان اشتغالي بالمجردات من قبل كان قد ترك غرازي الاجتماعية دون ما يكفيها مع اني كنت قد افسحت

لها المجال من حين الى آخر في كتابة المقالات والقاء الخطب السياسية وخصوصاً فيما يتعلق بحرية التجارة واصوات النساء. وكانت التقاليد الارستقراطية التي درجت عليها في صغري تحملي على ان اشعر شعوراً فطرياً بوجوب القيام بالتبعة الملقاة على عاتقي فيما يتعلق بالشؤون العامة. والفطرة الوالدية التي لم تكن محققة في تحقيقاً شخصياً حينئذٍ حملتني على ان اغضب وانفر لمنظر شبان اوربا يخدعون ويساقون الى المجزرة لا كفء الشهوات الشديدة التي تكسح صدور كبارهم. واستقامتي الفكرية منعتني عن تصديق الخرافات التي اتخذتها الدول المتحاربة سبباً تسوّغ به اثاره الفتن. والواقع ان المفكرين الذين صدقوا هذه الخرافات كانوا قد تخلّوا عن عملهم الصحيح لينعموا بالشعور انهم واحد من القطيع. وهذا في نظري كان عملاً غير شريف. لانه اذا كان للمفكر عمل في المجتمع فعمله الاحتفاظ بحكم هادئ مجرد حين ثورة العواطف والشهوات ولكني وجدت ان اكثر المفكرين لا يثقون بفائدة العقل الا في ايام السلم وأثار في شعور العامة في شهور الحرب الاولى عناية علمية وان تكن مؤلمة. فجعلت اراقب الجمهور فأتضح لي ان اكثر المتخلفين في الوطن كانوا يطربون لانباء الحرب مما يدل على تأصل البغض وضعف المحبة في الطبيعة الانسانية المهدبة باساليب العصر. وشاهدت كذلك الفضائل السامية كالاقتصاد والاجتهاد والروح العامة تستغل لتعظيم الخطب بحمل اصحابها على بذل اقصى ما عندهم من النشاط والقوة في سبيل التثقل والتدمير. فتولاني جزع من فناء الحضارة الاوربية. ولو استمرت الحرب سنة اخرى لكنت تقوضت اركانها وغفت معالمها. والشعور بالامن والضمان الذي امتاز به القرن التاسع عشر زال ولكني ظلمت معتقداً بفائدة المثل العليا التي كنت ارعرعها وأغذيها في نفسي. وافضى اليأس في طائفة كبيرة من شبان العصر الى معتقد قوامه التشاؤم والاحتقار ولكن اليأس لم يتولني ولذلك بقيت اعتقد وما زلت ان السبيل المؤدي الى اصلاح الاحوال لا يزال مفتوحاً

كل تفكيري في الموضوعات السياسية والاجتماعية والادبية في اثناء الخمس عشرة سنة الاخيرة نشأ عن الشعور الذي تملكني في ايام الحرب الاولى. فبعد بحث قليل اقتنعت ان درس المصادر السياسية، على فائدته، لا يصل بي الى قرار المسألة. لان الشهوات العامة ايّدت الحكومات كل التأييد في كل الخطوات التي خطتها على طريق الحرب. كذلك اقتنعت باني لا استطيع التسليم بان اسباب الحرب هي اسباب اقتصادية دائماً لانه وضع لي ولغيري ان الذين كانوا اشد الناس حماسة في تأييد الحرب كانوا اكثر الناس عرضة لخسارة اموالهم فيها ومجرد اغفالهم ذلك دليل على ان شهواتهم الناتجة شوّشت عليهم تفكيرهم المالي الصافي من الخطأ. ان هذه الشهوات هي المصدر الحقيقي للرغبة في الحرب. وليس القول باسباب

الحرب الاقتصادية — في في ماعدا بعض الاحوال الخاصة كالشركات الصناعية الكبيرة —
الاعمال لا يُلجأ اليه لتسوية الحرب . ان الناس يريدون الحرب فيقتنعون نفوسهم بانها في
مصلحتهم . فالمسألة المهمة اذاً هي المسألة السيكلوجية . لماذا يريد الناس ان يحاربوا؟ هذه المسألة
تضي بنا الى طائفة من المسائل تتعلق بشهوات القسوة والظلم والاستبداد وغيرها بوجه عام

الفلسفة النفسية والاجتماعية

ودرس هذه المسائل يشتمل على درس الاصول التي نشأت عنها الشهوات الضارة وعليه
فهو يشمل درس التحليل النفسي ومذاهب التعليم والتهديب ووسائلها . وقد حملني درس
هذه المذاهب على تكوين فلسفة للحياة رائدها الرغبة في الكشف عن طريقة يمكن الناس من ان
يعيشوا معاً بما في طبائعهم من الصفات الموروثة والشهوات المدمرة ، من غير ان يجعلوا غرضهم قضاء
بعضهم على هناءة البعض الآخر . ومفتاح فلسفتي من الوجهة العلمية هو وجوب العناية بعلم
النفس والجري على خطة قوامها الحكم على المنشآت الاجتماعية من حيث اثرها في الاخلاق
البشرية . ففي اثناء الحرب انقلبت كل الفضائل التي يتصف بها كرام الناس واستعملت
لشر . فامتنع الناس عن شرب المسكرات ليصنعوا قنابل ومقدوفات متفجرة . وقبلوا ان يطيخوا
ساعات العمل لكي يقوضوا اركان المجتمع الذي يجعل للعمل قيمة . وزاد تقززهم من
الامراض الزهرية لانها تحول دون مقدرة اصحابها على الفتك بالاعداء

كل هذا حملني على الاعتقاد ان قواعد التصرف لا تكفي لانتاج النتائج الحسنة الا اذا
كان الغرض الذي يرمى اليه غرضاً شريفاً . فازدياد الاجتهاد والاقتصاد والاعتدال والامتناع
عن المسكرات كان من البواعث على توسيع نطاق الفتك والتدمير . ولكن المال الذي انفق
حينئذ على المسكرات كان من عوامل السلم لانه لو لم ينفق في شرب المسكرات لكان انفق
في صنع القنابل . ولما كنت من دعاة السلم ومحبيه اعترضت مطالبي مطالب الامة باسرها
ونعذر علي ان اقف من القواعد الادبية الا موقف الناقد اللاذع النقد . على ان موقفي لم
يكن موقف مقاومة للقواعد الادبية على اطلاقها بل كان شبيهاً بموقف الرسول بولس في
فضله المشهور عن المحبة . اني لا اتفق مع هذا الرسول الكريم في كثير من آرائه ولكني
ارى رايه في ان الخضوع للقواعد الادبية لا يقوم مقام المحبة وانه حيث تكون المحبة خالصة
من الشوائب تستطيع اذا قرنت بالعقل والنكاء ان تبدع القواعد الادبية الضرورية .
على ان لفظة « المحبة » فقدت جانباً كبيراً من مدلولها بالاستعمال وعادت لا تؤدي طيف
المعنى المطلوب . فلنحللها تحليلاً فلسفياً بيولوجياً

الحبة والبغض

في صفوف الحيوانات الدنيا تستطيع قسمة الحيوانات الى قسمين عامين : الاول يشمل الحيوانات التي تقبل على النور. والاخر يشمل الحيوانات التي تبعد عنه وتفر منه . ونستطيع ان نجري هذا التقسيم على مملكة الحيوان بأسرها . فاذا اثر في الكائن الحي مؤثر جديد ، اثار فيه شعوراً بالاقتراب من المؤثر ومصدره او بالنفور منه والابتعاد عنه . واذا ألبسنا هذا الفكر البيولوجي حلة بسيكولوجية قلنا ان كل مؤثر جديد يثير في الكائن المتأثراً ما شعور الانجذاب او شعور الخوف وكلا الشعورين ضروري للبقاء في عصر العمران الحالي ولكن شعور النفور والخوف اقل ضرورة الان منه في ما سبق من العصور . ذلك ان الوحوش الضارية جعلت حياة الانسان محفوفة بالمخاطر قبلما استنبط ادوات تمكنه من الدفاع عن نفسه فكان لذلك جياناً كالارنب . وكان الخوف يملكه لانه كان مهدداً دائماً بمخطر الموت من الجوع . وهذا الخطر قد قل بفضل العلم والاستبطان في ميادين الزراعة والنقل . اما الان فاشرس الحيوانات التي على الناس ان يمارسوها هو الانسان نفسه مع ان الاخطار الطبيعية التي يتعرضون لها قد قلت جداً . فالشعور بالخوف الان انما هو خوف من الناس . والخوف هو احد الاسباب الاساسية التي تجعل الانسان خصماً لآخيه . فمن الحكم المشهورة ان الهجوم افضل وسائل الدفاع . ولذلك ترى الناس يهاجمون بعضهم بعضاً لانهم ينتظرون ان يهاجموا . وعواطفنا الغريزية موروثة من اسلاف كانوا يعيشون في عالم محفوف بالمخاطر ففيها من الخوف اكثر مما يتفق مع معيشة هذا العصر . ولما كان هذا الخوف لا يجد مجالاً للظهور في ميدان العوامل الطبيعية كالهجوم على الضواري وخوف الجوع الخ — يتجه الى المحيط الاجتماعي فيولد البغض وضعف الثقة والحسد والافتراء . فاذا شئنا ان نستفيد من سيطرة الانسان على الطبيعة وجب ان نبني نفسية علوية . فنصبح نشعر برزاة السيد وسكينته في ساعة الخطر بدلاً من ان نشعر بخوف العبد واضطرابه . وعليه يجب ان نقوي في النشء شعور الاقتراب والانجذاب ونضعف شعور الخوف والنفور . وهذه المسألة ككل المسائل اخرى نسبية . فانا لا ادعو الناس الى الاقتراب من نمر هائج او افعى تفج خفيحاً يخالجهم شعور المحبة والعطف انما اقول ان المواقف في علاقات الناس بعضهم ببعض التي تبعث على النفور هي اقل كثيراً مما تحملنا التقاليد على تصورهم ، لان هذه التقاليد نشأت وتكونت في عصر كانت المعيشة فيه محفوفة بالمخاطر تبعث على الخوف والنفور كما تقدم

فقبض الانسان على ازمة الطبيعة مهد السبيل للتعاون بين طوائف الناس والعاقول يستطيعون الان اذا تعاونوا واستفادوا من علمهم اقصى الفائدة ان يبسطوا ظل الرضاء

الاقتصادي على جميع الناس . وهو عمل لم يكن في مستطاعهم في العصور البائدة ان النزاع — نزاع الموت والحياة — على امتلاك البلدان الزراعية الحصة كان امر معقولا في الماضي ولكنه جنون بحت في هذا العصر . فانشاء حكومة دولية وتنظيم الاعمال المالية والتجارية والجري على خطة « تحديد النسل » عوامل اجتماعية تمكن ذوي السلطان من جعل المعيشة الرخية في متناول كل انسان . انا لا ادعي ان كل انسان يستطيع ان يصبح غنيا كقارون ولكن كل انسان يستطيع ان يملك من حطام الدنيا ما يكفي لتوفير وسائل السعادة اذا كان عاقلا قنوعا . ومتى حلت مشا كل الفقر والمسكنة تمكن الناس من ان ينفقوا وقتهم في اعمال العمران وترقية العلم ومكافحة المرض وابعاد شبح الموت واطلاق الوان الشعور التي تبعث على الغبطة والفرح

لماذا يظهر لنا ان هذه الافكار خيالية لن تتحقق ؟ السبب كل السبب في نفس الانسان — في ذلك الجانب منها المبني على التقليد والتهذيب والبيئة لا في جانبها الموروث الذي قلما يناله تغيير ما

الحكومة الدولية والسلم العام

خذ الحكومة الدولية . فضرورة انشائها امر مسلم به عند كل انسان يستطيع ان يفكر تفكيراً سياسياً سليماً . ولكن الشهوات القومية تحول دونها . فكل امة تفاخر باستقلالها وكل امة مستعدة لان تخوض غمار الحرب حتى آخر نسمة في آخر رجل منها للمحافظة على حريتها . هذه فوضى شعبية كفوضى الاشراف في عصور الاقطاع (الفدنية) الذين ارغوا في نهاية الامر على الخضوع للملك . ان الموقف الذي تقفه كل امة الآن من سائر الامم هو موقف حذر ونفور وابتعاد . اتنا لانعرض على اجنبي ما زال في بلاده يصرف امورها ولكننا نكتمش ذعراً اذا رأينا اجنبياً وقد منح الحق ان يكون له قول في تصريح امورنا . فكل امة اذا تصرعت على التمتع بحق لا تتنازل عنه هو حق اقامة « الحرب الخاصة » . ان معاهدات التحكيم ومواثيق السلام التي على منوال ميثاق كلوج اشارات طيبة في سبيل السلم العام ولكن كل انسان يعلم انها لن تتحمل اي توتر شديد في العلاقات الدولية

وما زالت كل امة محتفظة بحيشها واسطوليتها الجوي والبحري فحكومتها لا بد ان تستعملها اذا ثار ثأرها كائنة المعاهدات التي وقعت عليها ما كانت . والسلام بين الناس لا يتوطد اركانه الا اذا جرت الدول على المبدأ الذي طبق بين الافراد من قبل . وهو : لا يستعمل الفرد قوة ما في حسم النزاع الذي يثور بينه وبين جاره ويعهد باستعمال القوة الى فريق ثالث محايد

جرباً على قوانين وقواعد معروفة (القضاء) . فتمت سيطرت سلطة عالمية على قوات الام الحرية نكون قد بلغنا في علاقاتنا الدولية درجة وصل اليها الافراد في علاقاتهم بعضهم مع بعض منذ قرون كثيرة . ولا شيء اقل من هذا يكفي لتوطيد اركان السلام ان اساس الفوضى الدولية هو ميل الناس الى الخوف والبغض وهذا هو اساس النزاعات الاقتصادية لان حب الاستثارة بالقوة والسلطة وهو اساس كل نزاع اقتصادي ليس الا صورة جديدة لفطرة الخوف . فالناس يريدون ان يسيطروا لانهم يخافون ان تستعمل سيطرة الغير في هدم مصالحهم . وفي ميدان التعليم نرى ان الشعور الايجابي الذي يجب ان يجعل محور الثقيف والتهذيب هو « حب الاستطلاع » ومع ذلك نرى هذا الشعور مضغوطاً عليه ضغطاً شديداً سواء في عالم الاستطلاع السياسي او الديني او غيرها . وبدلاً من ان نهذب الاولاد وثققتهم باساليب البحث الحر نعلمهم المعتقدات السامية الراي (في نظرنا) التي درجنا عليها بعد آبائنا واجدادنا فينجم عن ذلك ان هذه الافكار الغريبة تثير فيهم شعور الخوف والفور بدلاً من شعور الرغبة والاقبال . وكل هذه النتائج تنجم عن طلب ضمان للحياة ناشئ عن مخاوف غير معقولة . وقد اصبحت هذه المخاوف غير معقولة في عصرنا فقط لانه اذا جمعنا في نظامنا الاجتماعي بين الجرأة والعلم ضمنا لنا البقاء المنشود

طريق الفردوس العالمي

فالطريق الى الفردوس الارضي مهد معروف . جانب منه يقع في ميدان السياسة والاخر في ميدان التغيرات في طبيعة الانسان اي في ميدان التعليم . اما في ميدان السياسة فاهم ما هنالك انشاء حكومة دولية . اما في ميدان الطبيعة الفردية فاهم عمل نقوم به هو تنشئة الفرد حتى يكون اقل انفعالا بعوامل الخوف والبغض وهذا امر فيسيولوجي وبسيكولوجي في آن واحد . فاكثر ما في العالم من البغض والحقد سببه سوء الهضم وعدم قيام القدد بعملها قياماً منتظماً وهذان الامران اساسهما الضغط على الشبان وكبت طبائعهم . ففي عالم يعني فيه بالصغار عناية كافية ويفسح امام طبائعهم الحيوية اوسع مجال لاتساع نطاقها ونموها نمواً لا يضرهم ولا يرفاقهم ينشأ الناس رجالاً ونساءً اشجع قلباً واطيب نفساً مما هم الان . فاذا وجد اناس هذه طبائعهم وانشئت حكومة دولية تمهدت امام الناس طريق العمران غير المترزع الاركان . اما اذا مضينا وهذه حالتنا النفسية ، وهذا نظامنا السياسي ، فكل تقدم في العلم يقرب اندثار الحضارة . آه

الذكرى: للشاعر لاهر تين

[الاحزان العميقة مَبْعَثُهَا الفؤاد ، ومكْمِنُهَا الحشا ، فهي لا تستدرُّ الدموع ، بل تَسْقُطِر دماء القلوب ، وهي صامِتة غير صَخَّابَة ، فاذا ما أنت نفس المرء العادي وتأوَّهت ، خرجت على فُهِ زفرة ، تَقْطَعُ لها نياط الفؤاد ، وشِغاف القلب ، وتلاشت على شفتيه دون ان يشعر بها احد . اما الشاعر ، فانهُ نفسه ، لهيب عواطفه المحترقة ، يصعد على مَنَنِ الشعر ، فيعبر بازيزه عن المله وجواه ، بكلمات تهز العواطف ، وتستثير الشجون ، حتى تستعبر منها كل عين ، ويُدعى لها كل فؤاد

وكان لاهر تين اذا غنى على قيثارة أله نشيد روحه المحتضرة ، هَيَّج مكامن الشجون في النفس ، ورفع هذه من مستقرها الارضي ، الذي الصقها به شطرها المادي ، الى مستواها العلوي ، تاركاً الجسد متخبطاً في دياميس تالمه ودياجير إيجاهه

وهذه القصيدة ، نَفْثَة من نفثات صدره الكلم ، لفظتها نَفْسُهُ بعد فقد حبيبته التي شغفها في مدينة اكس . فقد لبث سبعة شهوراً تماماً على وجهه ، لا يستقر به النوى ، ولا يحيط قلبه ، الا بصورة تلك الراحلة العزيزة ، حتى اذا أَلِفَ حزنه ، والتي الزمن ستر الكآبة على ألم نفسه ، مُسَاطِفاً من شدته ، مخففاً من حدته ، طفق يرسل شعور روحه واحساسها ، الى خيال عشيقته ، المائل دائماً لتصوراته ، نجوىً وحيناً ، هما زفير النفس وتأوُّها [

عَبَثًا تتعاقب الايام ، وتهوي على مَزَلَقَة الزمن ، دون ان تترك أثراً ، فلا شيء يحوم من قلبي ، آخر حُلُم من حيي وغرامي
أرى سِنِّي حَيَّي الرَكْوَض تتجمع ورأي مُتَرَاصَّة ، كما تتراكم اوراق البُسُوطَة الذابلة حول جذعها

لقد بَيَّضَ الزمن مفرقي ، واثلج دَمِي الذي يَدِبُ ببطء في عروقي ، فأشبهت مياه الغدير السارية ، التي تَعْقِلُها رياح الجنوب الباردة

ولكن صورتك الفتية الساحرة ، التي تزهبها الحُسْرَة واللَّهْفُ ، مَصُونَة في اعماق فؤادي ، لن يَمْسَسَهَا كِبَرٌ ، ولن تَطْرُقَ اليها شيخوخة ، فهي كالروح لا يُحْدِثُها عمر كلا انك لم تنساي عن عيني ، ولما تَطْلُبُكَ طرقي الحائر ، ولم يحدك على الارض ، نطلعت فجأة الى السماء فالفتيك فيها

هنالك بدوت لي ، كما كنت في آخر ايامك ، بدوت لي زاهرة زاهية ، عندما

كنتِ تتحفزين الى الطيران ، على مَتْنِ الفجر الى مَقَرِّكَ الازلي
 لقد تَبِعَكَ جِمالِكَ التقي المُسْنِي في رحلتِكَ الاخيرة . فَكُنْتَ ساحرة على الارض ،
 فتانة في السماء . وعينكَ اللتان انطفاً فيهما نور الحياة ، كانتا تشعان باضواء الخلود .
 اني لا ذَكَرُكَ وقد اطارت انفاس النسيم الحَبِيبَةِ ، خُصِّلَ شعرك الطويلة ، فتلَاعِبَتْ
 بها ما شاءت ، ثم حطتها على صدرك العاجي ، ضفائر متموجة سوداء ، وجدائل أنوسية لماعة
 وظلال ذلك السِتْرِ المُبْهِمِ ، تُخْلِي صورتكَ في فؤادي ، كما يحلو الفجر
 المُنبَشِّق ، عندما يُطلق من أَسْدَالِ الصبح الاخيرة

ان اشعة الشمس السماوية ، تُقبِل مع النهار ، وتُدْبِر اذا وَاَلَّى ، ولكن جِبي
 ليس له ليل ، ولا يعتريه أَفْـوَل . انتِ دائماً تَنيرين نفسي ، وتُضيئين رُوحِي
 فانتِ التي اراكِ واسمَعُكِ . سواء أكان في الفلاة او السحاب ، فياه الجدول
 الصافية ، تعكس لي صورتكَ ، وانين النسيم يحمل اليّ صوتكَ

اذا غَفَتِ الارض ، وطرق مِسْمَعِي تأوهات الريح ، تبادر الى ذهني ، اني اسمعُكِ
 تُسِرِّرين في أذني ، كلماتكَ العَذْبَةَ المقدسة
 كلما تأملت في تلك الشُّهْبِ المنتثرة الموشية ليلاً وجه السماء ، ظننتُ اني اراكِ
 في كل نَجْمٍ يَحْسُن في عيني

واذا ما اسكرني هبوب الهواء ، الحامل أَرْنَجَ الازهار ، يُرِيدُ اليّ ، اني استشوق
 انفاسكَ المُعْطَّرَةَ ، في اطيب عَمِير يصل اليّ
 • ان يدُكِ هي التي تكفكف دموعي . اذا ما استغبرت عيني ، والتجأتُ فريداً حزيناً ،
 الى الهياكل المعزّية لارفع صلواتي .

واذا ما غفا طرْفِي في سهرتِ في الخفاء ، وظللتني بجناحيك ، مسندة بهما اليّ ، لتدفعي
 عني عاديات الاذى ، حتى اذا سَرَتْ الى رأسي احلام ، تطرقتُ اليّ منك ، فتكون
 لذبة جميلة ، كنظرات الاشباح ، او تطلعات الظلال

اذا ما ران الكَرَى على جفني ، وحللت بيدك لِحْمَةَ ايامي ، اطيروك لَأُحْوِي
 احضانك ، فانضمُّ الى شَطْرِ رُوحِي السماوي ، دون فُرْقَةٍ ولا بُعَاد
 فاذا ما اتحد روحانا ، كأنهما ضوآن من ضياء الفجر ، او تهادنان قد تمازجا ، حُظِيتُ
 بِمُلْقِيائِكَ في دار الخلد ، حيث الراحة الابدية ، والهناء السرمدي ، ولكن أنى لي ان
 افوز بأَمْنِيَّتِي العاجلة ، وعيني لم تزل تَطْرِف ، وفي يَتَنَسَّم الحياة

ترجمة : نصيف جورجى نيقولاوس

القاهرة



التجارة عند الامم القديمة الى عهد العرب

بقلم عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار) ومؤلف تاريخ الاسر الشرقية العام

تسمية التجارة وتعريفها

التجارة لفظة سامية قال اللغويون فيها : انه ليس في كلام العرب تاء اصلية بعدها جيم غير لفظ تجر ومشتقاتها وهي بمعنى البيع والشراء معاً. والفعل منها أتجر وتاجر واتجر فهو تاجر وهي تاجرة والصناعة التجارة . ومن معاني التاجر عندهم بائع الخمر والحاذق . والمتجر الاتجار وبضاعة التاجر ايضاً . وارض متجرة يستجر فيها واليها ومن اسماء التاجر الاعجمية (القسطار) تعريب Quostor (كوستور) الرومية وهو الخازن للاموال التي توزع على الجنود والموظفين وتأتي بمعنى (الصيرفي) ايضاً. و(السقنطار) يونانيها Scutarius بمعنى موظف بزني وهو في معانيه ايضاً عربها العرب اما اسم التجارة الافرنجي فهو عند الفرنسيين والانكليز Commerce من اللاتينية Commercium وهي مركبة من كلمتين Cum بمعنى ضم وجمع وMerx بمعنى بضاعة . اي (جمع البضائع) ومنها اسمائها باللغات الاوربية

اما (حد التجارة) فافضله قول ابن خلدون فيلسوف العرب الاجتماعي وهو : « التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة » وهو اشبه بمجدها عند الافرنج اليوم . وله في فلسفة التجارة مالا يجارى فيه وهو قوله : « ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باكثر من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه انفق واغلى . او بيعها بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى رأس المال يسير الا ان المال اذا كان كثيراً عظم الربح لان القليل في الكثير كثير . ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي اثمانها

« واهل النصفة قليل فلا بد من الغش والتطيفف المجحف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المجحف بالربح . ومن الجحود والانكار والمسحت لرأس المال فيعاني التاجر من ذلك احوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه في الربح الا بعظم الغناء والمشقة ولا يحصل وبتلاشي رأس ماله . فان كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد المماحكة مقدماً

على الحكماء كان ذلك اقرب له الى النصفة بجراته ومما حكته . والا فلا بد له من جام يدرع به يوقع له الهية عند الباعة ويحمل الحكماء على انصافه من معامليه فيحصل له في ذلك النصفة في ماله طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني

« واما من كان فاقداً للجرأة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكماء فينبغي له ان يجتنب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصيره مأكلة للباعة لان الناس وخصوصاً الرعاع والباعة شرهون الى ما في ايدي سواهم متوثبون عليهم انتهى

الاقوال في التجارة

لقد كثرت اقوال الناس منذ القديم في التجارة والاقتصاد والاراء وهي نتيجة تجاربهم فمن ذلك قول سقراط الفيلسوف اليوناني : « لا تكون عنايتك بأن تكسب شيئاً كعنايتك بحسن استعمال ما تكسبه » . وقال افلاطون . « من كان غنياً فليقتصد ومن كان فقيراً فليدمن العمل » . ورأى فتى ورث مالا كثيراً وضياعاً فالتفها . فقال « رأيت الارض تبيع الناس وهذا الانسان بلع الارض »

ويقول المثل الاسباني : « من يقصد ان يثري بسنة واحدة يعلق في المشنقة بعد ستة اشهر » . والمثل الروسي : « عند ما يتكلم المال يصمت الحق » . والمثل الياباني « من يتناع مالا يحتاج اليه يبيع ما يحتاج اليه » وعند عامتنا مثل بهذا المعنى نفسه . ويقول اليونانيون ايضاً في أمثالهم : « فكر بالحاجة عند الغنى . وفي الحاجة لا تعلل نفسك بالغنى » . و « حيثما تكون الارباح فهناك الخسائر » و « تحصيل المال كالخفر بالابرة . اما انفاقه فكمثل تسرب الماء في الرمل » . ويقول المثل التركي « من اشترى رخيصاً فقد اشترى غالياً . ومن اشترى غالياً لم يغش » . ومن امثال عامتنا بهذا المعنى قولهم : « يا مسترخض اللحم عند المرق تندم » وقولهم : « الرخيص غالي »

وقال شكسبير الانكليزي : « لاستدين ولا ادين فان الدين طريق للخراب » . وقال الماركيز منتروز : « من لا يعرض نفسه للريح والخسارة فهو جبان او صعلوك » . وقال السر لتون : « ان المال يولد المال » وهو الذي وضع خمس قواعد لطلاب الراء (اولها الوقت (٢) الاقتصاد (٣) الترتيب في الانفاق (٤) الثبات على العمل (٥) الصدق في المعاملة . وقال فؤاد باشا العثماني : « كنت افضل ان اكون تاجراً لو قدرت ان لا اكون سياسياً » ولعامتنا اقوال كثيرة منها قولهم : « تاجر بقرش تتسمى بالبلد تاجر وبالف قرش عند الناس لا تاجر » . و « التجارة ، ربح ياخسارة » و « من اشترى مالا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه » و « اذا تاجرنا بالكفان (الاكفان) يبيطلو الناس يموتوا »

اركان التجارة

ان موقع بلادنا (سورية) الطبيعي واتصاله من جهة الغرب بالبحر المتوسط ومن الشرق بادية سورية ومن الشمال بارض الاشوريين والكلدانيين ومن الجنوب بالبلاد العربية وما اليها جعلها مباءة للتجارة البرية والبحرية وسمي البحر الابيض المتوسط لتوسطه بين القارات الثلاث الكبرى آسية وافريقية واوربة . وفي بلادنا تتلاقى هذه الطرق وتتعارض وزى معظم اقسام بلادنا زراعية وكثيراً من مدنها صناعية فلا عجب اذا كانت التجارة قد اشتهرت فيها منذ القديم وعُرفا بناؤها في العالم باجتهادهم واسفارهم الشاقة الطويلة الى اقاصي القارات المعروفة في القديم والى قارة اميركا الجديدة في الحديث

ومن انعم النظر في كتابات نهر الكلب المحفورة في صخورهِ الضخمة قرب جونية في لبنان وغيرها من الكتابات الداخلية والساحلية عرف كيف تصاغت الامم القديمة في ساحات بلادنا وكيف كان حسن موقعها داعياً لطموح الملوك اليها . فضلاً عما في جميع نواحيها من الكتابات والآثار والشواهد الدالة على عمرانها واتساع حضارتها وعظمة مجدها وكفى بما اكتشف اخيراً في جبيل والمشفرة (قرب حمص) وغيرها برهاناً على صدق قولنا

ولا يخفى ان حسن موقع البلدان وثروتها ورواج اسواق التجارة فيها هي كلها من اهم عوامل التحاسد حتى الان . بل هي من مسببات الحروب الدامية والوقائع المهلكة وشاهدنا قرب في الحرب الكبرى الاخيرة التي كان سببها التجارة ومضرم وطيستها التنافس في اكتساب الثروة وتوسيع نطاق الاثراء والكسب

ومن المعلوم ان الطبيعة كلما ساعدت الانسان بخصبها وجودة موقعها تكاسل وكلا قوامته وعادته نشط واجتهد فالناس الذين لم تكن موارد ارتاقهم من الزراعة والصناعة موفورة زام مخروا البحار وذرعوا القفار وسهلوا الصعاب سعياً لكسب المال وتوفير الاثراء والذين كثرت مواردهم في القديم اكتفوا بها وان كان بعضهم اراد تنميتها فاتجروا وربحوا

فالفينيقيون سكان سواحلنا البحرية كانوا اول من نشر التجارة البرية والبحرية واقتفت آثارهم الامم كما سترى . على ان الامم المصرية وسكان العراق ومن اشبههم كانوا يكتفون بموارد زراعتهم الغنية لخصب اراضيهم . والمشهور اليوم بين الاقتصاديين : ان الامم التجارية هي التي تسنى لها ثلاثة اسباب (اولها) حسن موقعها الجغرافي برّاً وبحراً و (ثانيها) كثرة مناجمها الفحمية والمعدنية و (ثالثها) معاهداتها التجارية والاقتصادية مع الامم الاخرى .

فعلى هذه الدعائم الثلاث يرتكز معقل التجارة الحصين مع سهولة المواصلات كان السفر من لندن الى اوستراليا يستغرق سبعة اشهر ونصفاً فلما سارت القطارات

والسفن التجارية بينهما جعلت المسافة ٣٥ يوماً. وكانت المسافة بين الشرق الأقصى واوروبا بضعة اشهر فصارت الآن ١٩ يوماً. وهذا كان قبل ان تجارت الطيارات في الهواء تقطع الآن ما بين سورية وبغداد بيوم كامل بعد ان كانت المسافة بينهما نحو شهر وكانت السفن تسير في البحار بحركة الهواء فتتجه بحركة مهبته الى الجهة التي تقصدها فاذا خالفتها الريح بقيت اياماً وشهوراً في عرض البحر تتوقع الفرج ولذلك قال شاعرنا العربي: ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ولا بن جبير الرحالة العربي في وصف مرفأ عكا التجاري والرياح التي تهب عليه كلام علمي بليغ. وقد صارت بواخر هذا العصر تقطع المسافات البحرية بدون عائق مهما اشتدت الريح وتعاظمت العواصف فلها تيسرت ذرائع التجارة في البحر والبر بتقريب المسافات وكثرة الطيارات وسرعة نقل الاخبار التجارة قديمة عند الامم تولدت في الزراعة والصناعة كما مر وجاءت الآثار المكشوفة تثبت شؤونها وما تقلب عليها وتصف طرقها. فكانت للامم على اختلافها رموز واسارات وعلامات تدل على التجارة منها النسر الذي يحمل برجليه المفاتيح كما نراه في عتبة هيكل الشمس العليا في بعلبك وغيرها. ولا يخفى ان الامم القديمة ألهمت الزراعة والصناعة فأتخذت لها محامين من الالهة ومحطات من الهياكل متبركة بها متفائلة بنجاحها بواسطتها وكثيراً ما نذر لها التجار من اربابهم ما ينفق على تزيينها وتشديد هياكلها مما لا تزال آثار بعلبك وتدمر وغيرها من البلدان التجارية شاهدة به

كان اصل المبايعة قديماً بالمقايضة اي مبادلة متاع بآخر مما يحتاج اليه كل من البائع والشاري فيستبدل الواحد بالآخر. ثم تطورت التجارة بتطور الامم فكانت ترتقي بارتقائها وتنحط بانحطاطها. وكانت طريق التجارة عند القدماء تسير في خطين (الاولى) في البحر الاحمر (القلزم) الى مصر والاسكندرية. و (الثاني) من خليج العجم فبادية الشام. فكانت محطتها البرية بترام تدمر وقوافلها ومجلاها تسير على طرق مرصوفة ذات محطات للاستراحة وقلاع للحصار والحفراء وكانت في تدمر ضريبة كبيرة على القوافل يتقاضاها وكلاء خاصون بها تشهد لها آثارها العظيمة وابنيها الفخمة وهي لطبقات الخاصة من الاغنياء والتجار. واليك الآن تاريخ التجارة عن اشهر الامم القديمة

تجارة الفينيقيين

كانت بلاد فلسطين التي ملكها الفينيقيون مدة ذات خصب في بعض انحاءها فألهمهم عن التجارة الى ان تغلب عليها الاسرائيليون واختاروا منها ما كان كثير الربح وافر الحاصلات فاضطر الفينيقيون اذ ذاك الى الانحجار لان مدنهم الساحلية لم تكن كلها خصبة ولا متسعة

فقام سكان مدينة صور وما يتبعها من الولايات وسيروا سفنهم وقوافلهم للتجارة في ما وراء البحار في المدن والبلدان السحيقة . وهكذا قلّ عن سكان صيدا وما اليها وبقيّة المدن البحرية التي امتلكوها . وكانت مصانعهم ومعاملهم شهيرة فيهما

فكانت صناعاتهم النفيسة تحملها السفن والقوافل الى البلدان فتعود بحاصلات تلك الاقطار اما مبادلة واما بوزنات الذهب والفضة حتى ملأت السفن البحار والقوافل البرور . واخترعوا الكتابة وتسيير السفن بالابرة المغناطيسية فعززوا بهما التجارة وربطوا العالم بعضه ببعض وذكرت مجلة المقتطف (٣٢ : ٧٧٠) ان رئيس فرع الجغرافية من مجمع تقدم العلوم البريطاني قال في كلامه عن (الجغرافية والتجارة) مطراً الفينيقيين : ان موقع مدنهم الجغرافي بين البحر المتوسط غرباً والعراق وخليج فارس او طريق الهند شرقاً جعل زمام التجارة في يدهم وصبّ عليهم ميازيب الثروة فان الذي يسهل عليهم ان يتاجروا بمصنوعاتهم ينسجهم صنع المصنوعات واقتانها . فجعل الفينيقيون ينسجون المنسوجات الرقيقة من الصوف والكتان ويصبغونها بالالوان الجميلة ويضعون الانية الزجاجية والمعدنية ويبعثون بها الى البلدان القاصية حيث مواد الطعام كثيرة وجلبها بجرأ سهل قليل النفقة

« ولم تنحصر فائدة التجارة في الفينيقيين بل شملت الامم التي اتجروا معها او تعلموا التجارة منهم كالليونان . الى ان قام الاسكندر المكدوني وحاول نزع تجارة الشرق من يد الفينيقيين فهدم مدينتهم صور وبنى الاسكندرية بدلاً منها لكي تتحول تجارة الشرق اليها فكان له ما نعى » انتهى — وذلك قبل الميلاد بثلاثة قرون فكان الفينيقيون محتكرين للتجاريتين البرية والبحرية ومفاتيحهما بايديهم الى عهد اليونان والرومان فكانت طرقهم في سورية الشمالية والوسطى وبادية الشام وتدمر الى الاقطار البعيدة برأ وفي البحر المتوسط وغيره بجرأ الى المرافئ السحيقة . وكان للتجارة الفينيقية في آسية ثلاث طرق . فالجنوبية منها كانت قوافلها تذرع الفلوات الى اليمن وحضرموت وعمان ناقلة اليها مصنوعات وحاصلات بلادها وحاملة منها الحجارة الكريمة والذهب والبخور واللبان والمر واللؤلؤ والعاج والابنوس . وتحمل الى مرافئ عدن بضائع الهند وصناعاتها . ومن اطراف اليمن بضائع الحبشة

والطريق الشرقية كانت قوافلها تنهب السهول الى جهات نينوى مارة بجهاء وحلب ونصيبين فتتجر بأثار بلادها الزراعية والصناعية مع الاشوريين وتنقل الى بلادها حاصلاتهم وصناعاتهم مثل انسجة الكتان والقطن وحرير الصين والحجارة الكريمة . ولها طريق اخرى تمر فيها بتدمر وتبسك على الفرات الى بابل فتتجر مع الكلدانيين والطريق الشمالية كانت الى ارمينية حتى بلاد الكرج والقوقاز والبحر الاسود وبحر

قزين فتجلب منها الرقيق وآنية النحاس والحل

اما الطريق الغربية فكانت بالبحر او بمضائق البر احيانا فتسير سفنهم الشراعية العظيمة في البحر الاحمر الى خليج العجم والمحيط الهندي . وكانت الشركات التجارية بين حيرام ملك صور وسليمان ملك اسرائيل جلب الذهب من اوفير كما ذكر سفر اخبار الايام الثاني من التوراة وكانت تجارتهم مع بلاد مصر مهمة حتى ذكر هيرودوتوس المؤرخ بان الفينيقيين وحدهم كانوا الناقلين لبضائع مصر وحاصلاتها الى جميع الاقطار

وكان لتجارتهم في اوربة طريقان * الاول * من جهة جزائر البحر المتوسط حيث كانت مواقف سفنهم التي مخروا بها البحار الى بلاد اليونان وصقلية وسردينية وكورسكة الى فرنسا وايطالية وكانت لهم محطة تجارية عظيمة في بحر ايجيه واحتكروا الذهب من بعض مدنيه و * الثاني * من جهة افريقية ومضيق جبل طارق او بحر الزقاق حيث عبروا من قرطاجنه التي استعمروها الى ترشيش (اسبانية) والبرتغال وبعض جزائر المحيط الاتلنتيكي وكان لتجارهم قوافل في تلك البلدان تطوي الارض الى داخلية جرمانية وفرنسة . قال حزقيال في الفصل الرابع والعشرين يصف تجارة صور : « جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك لترويج موسمك . ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى . وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك »

فكان التجار الفينيقيون يرافقون قوافلهم ويدرسون شؤون البلدان ويتخذون مخازن لهم في المدن الكثيرة التي تنقل اليها سفنهم وقوافلهم بضائعهم وصناعاتهم فيستقبلونها ويقايضون بها ويرسلون بضائع ومصنوعات تلك البلدان الى بلادهم واثم مصنوعات الفينيقيين الارجوان او البرفير الذي كانت تتخذ منه اودية الملوك وكانوا قد تفردوا بعمله في معامل صور وصيدا ورودس وقبرص وبلاد الموره في الارخبيل . والزجاج في مصانع صرقد وصيدا . والاواني الخزفية والمعدنية ولا سيما الصفر والشبه . والحاصلات كالزيت والتمر والموز والحنطة . ومما كانوا يستجلبونه من اسبانية وانكلتره الذهب والفضة والحديد والقصدير والزفت حتى ان ارسطو الفيلسوف اليوناني قال يصف ثروتهم التجارية : (ان الفينيقيين استبدلوا بزيتهم فضة ترشيش ولما ضاقت سفنهم عن شحنها صاغوا منها ادواتهم وآنيتهم حتى مراسي سفنهم (الاناجر) » وقال ليرمان الفرنسي : كانت مصر واشور مبعث التمدن المادي وكانت فينيقية سفيرته التي نشرته في العالم »

وقد كتم الفينيقيون طرق البحر عن غيرهم فاحتكروا التجارة احقاباً طويلة واكتشفوا صنائع الامم واقاموا الاسواق للبيع والشراء ونمت شهرتهم التجارية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد



الشاعر الاسباني فيلاسباسا
الذي ينحدر من أصل عربي

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٤٠٩





وداعاً يا رفيقي القديم
تصور متانيا

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٤٠٥

شعر التّصويع

وداعاً يا رفيقي القديم

Good-bye, Old Man

الرسم للنقاش ف. ماتانيا (F. Matania) في خلال الحرب العالمية

هوى جائداً بالروح في ساحة الوغى
هوى من شظايا حيناً جرّ خلفه
خزّره من جلّله (١) ولجامه
جنا جنبه من صدمة الحزن باكياً
مدّق منه ذلك الدّم مثلاً
بكى ورثى والصّحْب ماضون هلع
وفي قربه وقع القنابل ناشراً
أحسّ يشم في منية خله
ودشّص الطرف (٢) الذي كان كلّه
ياربّ للأرواح حسّ موحّد
قد يقبل الميت العزيز عزاءه
ومن كان هذا حبّه وشعوره

نجبت لانسان عظيم بحبه
لم ينس حتى في المخاطر هكذا
ولكنه هيات يعرف رحمة
بزرع أسمى الحب في كلّ منهج

وفي جنبه قلب إلى شرف يظما
جواداً، وعدّ البعد عن موته وصما
إذا سأل الانسان من عطفه السّلم
ويعطي أخاه الحرب والنّكبة العظمى!

ابو شادي

(١) الجل ما يلبسه الفرس ليصان به (٢) صرماً: قطعة (٣) شعر البصر بمعنى شخص
عذالوت، إشارة إلى نظرة الجواد وهو بجود بروحه



شاعر اسباني كبير يتفاخر بنسبه العربي

وهل تعجب ؟ حق لك العجب . عنوان غريب . في عصر غريب . عربيته يتبرأ من عروبه ويستنكف من نسبه ، فكيف بالغريب عنا بلغته ومحيطه ، وعاداته وميوله . شاعر اسباني نابغة ، يتغنى بمجد العرب ، ويكيهم في شعره وخطبه وأحاديثه ، متفخراً بالتحدر من صلهم ، والاتناء الى صميمهم . هو الشاعر فيلا سباسا اكبر شعراء اسبانيا ، ورئيس ندوة الشعر فيها ، وصاحب ما ينيف على المائة والحسين مؤلفاً ما بين شعر ونثر . تعرفت اليه في الايام الاخيرة لوجوده في الحاضرة سان باولو ، فاذا بي أمام روح وثابة هي روح الشاعر ، وذهن متوقد مبتدع هو ذهن النابغة ، وقلب أنوف كبير هو قلب العربي . واليك عنه كلمة موجزة ك نابغة وشاعر ، وبحناً مستفيضاً كعربي . وما تخيرت التبسط في عروبه إلا لأبين صلتها بها ، واسباب حماسه لها ، وقد استقيت منه ما تراه في هذا الصدد من افادات تاريخية ، هي على ما أعلم حلقة ناقصة في تاريخنا العربي بعد سقوط غرناطة وتضعضع أمر العرب في الاندلس

النابغة

لا يقاس النبوغ في الادب بوفرة الانتاج فحسب ، وانما يضاف اليها الاجادة في المبنى ، والتحليق في المعنى ، وفيلا سباسا جمع بين الصفتين ، امتيازه بكثرة مؤلفاته ، وتفوقه بجودة كتاباته ، فهو مكثر ومجيد معاً . مؤلفاته المطبوعة مائة وثلاثة عشر كتاباً ، منها خمسة وسبعون ديواناً شعرياً ، واربع وعشرون رواية تمثيلية شعرية ، واربعة عشر مؤلفاً نثرياً . وله الآن خمسة واربعون مؤلفاً ، منها خمسة وعشرون ديواناً شعرياً ، وسبع عشرة رواية تمثيلية شعرية ، وقصتان نثريتان ، ومؤلف يستغرق عشرين مجلداً في وصف سياحته الى اميركا ، وهذه كلها ماثلة للطبع اول كتاب طبعه هو ديوان شعر بعنوان « خصوصيات » والشاعر لا يتجاوز اذ ذاك الثامنة عشرة من سنه ، وبين مؤلفاته جانب كبير موضوعه عربي ، فمن رواياته التمثيلية الشعرية « قصر اللؤلؤ » وهي رواية جرت حوادثها في غرناطة على عهد ابن

الاجر، ورواية « ابن امية » تناول فيها ما حدث لبقايا العرب بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة، ورواية « في البادية » وهي رواية حدثت وقائعها في الصحراء وصف بها إياه العرب وما للضيافة عندهم من حقوق وله رواية أخرى ماثلة للطبع هي « زفرة المغربي » عن زفرة أبي عبد الله آخر سلاطين العرب في الاندلس، وبكاءه يوم ودّع غرناطة من اعالي جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه وقد قالت له امه عائشة :

«إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال»

وهذه الحادثة هي موضوع روايتي التمثيلية ابن حامد او سقوط غرناطة التي وضعها منذ ثلث وعشر سنوات ولم تطبع بعد

ومن دواوينه الشعرية ذات الموضوعات العربية ديوان « فتون الحمراء » و« ليالي جنة العرف » و« الاندلس » و« دفوف أشبيلية » و« فقير النحل الذهبي » و« باحة الارج»^(١) و« عاشق ليندا راخا » . ومن رواياته القصصية الثرية « انتقام عائشة » و« عبد الرحمن الاخير » و« نخيل الواحات » و« مخالب الفهد » و« برج الاسيرة » وأروع ما انتجت قريحته روايتا « قصر اللؤلؤ » و« ابن امية » وكلتاها عن العرب فاذا عددت مؤلفاته بلغت مائة وثمانية وخمسين مؤلفاً بين منشور ومطوي، ومنظوم ومثور، وهي لعمري مكتبة كبيرة خالقها دماغ واحد في حياة لا تتجاوز الخامسة والخمسين عاماً . فيا لك من حياة قيّمة، لو حسبت ساعاتها، لكادت تكون كل ساعة فيها صفحة من النثر او قصيدة من الشعر

الشاعر

قرأت لفيلا سباسا ديواناً شعرياً في موضوعات شتى، ورواية تمثيلية شعرية هي « قصر اللؤلؤ » . ما انا من المتضلعين من اللغة الاسبانية، ولكنني تعمقت جد التعمق في تفهم ما قرأته لأسبر روح هذا الشاعر الكبير. أما الحكم على مبانيه فأدع القول الفصل فيه للنقاد وهم يضعون مؤلفاته في مقام سامٍ لبلاغة جملها وجودة تعابيرها وسمو لغتها اما المعاني فاذا كانت بلاغتها في ايجازها وهي كذلك فالشاعر محلق في فضاء فسيح من الخيال ضمن دائرة ضيقة بليغة من الجمل

يتلاعب بعواطفك على هواه، فتشعر بروحه سرّت في روحك، تحبه هازجاً ونادباً، باسمياً وباكياً، راضياً وغاضباً، يحدّثك عن عاطفة فتكاد تلمسها بيدك، ويصوّر لك منظرأ فتكاد تراه بعينك، ويصف لك خيراً فتكاد تسمعه بأذنك

(١) لعلها تشير الى الباحة في قصر الحمراء التي كانت تعرف « بباحة الرمان »

بينما تماشيه على ضفة جدول هادئ ، اذا بك معه على شاطئ بحر نائر ، وبينما انت
بقربه على اديم الارض ، اذا به يشب بك الى قلب الفضاء

« قصر اللؤلؤ » مأساة من التاريخ العربي في غرناطة ، ترى فيها كل ما في مزايا العرب
من إباء وشجاعة وكرم ، كما تلمس بها الحب العربي محتاجاً فناناً فنتقاً ، كل ذلك في قالب
من الشعر البليغ الخلاب تبدأ بقراءتها فتحسب انها كباقي ما وضع الغربيون عن العرب
من الروايات ، اسماء عربية لا غير ، خالية من أثر للروح العربية فيها ، ولكنك تشعر بخطأك
عند اول صفحة تقلبها فيخيل اليك ان المؤلف عربي والشاعر مترجم

في حياة ابطال الرواية واحاديثهم روح عربية صميمة تتدفق بين السطور ، فكأنك
ترشف عصير الخيال العربي في كأس صافية برّاقة من اللغة الاسبانية

تسمع ابن الاحمر سلطان غرناطة يقول للشاعر العربي الذي انشد قصيدته بين يديه:
« أشرف تاج على رأس الملك هو الشعر ، ولو كان لقصيدتك ثمن وكنت ملك العالم
لأعطيتك بكل بيت منها مدينة كغرناطة ، ولكن خزيتي لا تكفي ثمناً لها ، » فتعلم ان
الشاعر عني بدرس نفسية العرب واحاط بمناحي طباعهم ، ومثل ذلك في روايته كثير

والشاعر سامي الخيال بعيد غور التصور تلاحظ ذلك في شعره وتلاحظه ايضاً في
وصفه ، يشغل احياناً صفحة كاملة من روايته ليصف لك كيفية ترتيب المناظر على المسرح
فيصور لك السقوف والمقاعد والجدران ، وما عليها من نقوش وسجوف وسلاح ، فتجد
مؤلفه كاملاً بكل دقائقه مما يدل على تعمقه في درس التاريخ العربي وآثار العرب ، واطلاعه
على عاداتهم وحياتهم في الاندلس

وهو سريع الخاطر طويل النفس ، لا توقف مجرى افكاره ضوضاء ، ينظم وصفاره
يهزجون من حوله واثين لاعين . وهو يكثر التدخين ، ولا يهتم كثيراً بالطعام ، وقد
ينقضي الليل وهو مكب على النظم دون ان يفكر بعشائه

وانه لمعجب شديد الإعجاب بالشعر العربي ، وقد طلب مني شيئاً من شعري فقدمت
له نسخة من قصيدي « شاعر في طيارة »^(١) المترجمة الى البور تغالية

وكان طريق الفراش فذهبت لعبادته في اليوم الثاني فقال لي : اجلس واسمع
واذا به يتلو علي بالشعر الاسباني اربعة اناشيد من تلك القصيدة مترجمة في اكثر
من مائة وخمسين بيتاً . فمن هذا تعرف مبلغ تدفقه ، وقوة عارضته وشدة هيامه بالشعر

عروبة الشاعر

غرناطة ، اواه غرناطة ! لم يبق شي لك من صولتك !
 هل هرك الجاري سوى ادمع تجري على مادل من دولتك ؟
 والنسمة الغادية الراحه
 هل هي الا زفرة نأحه ؟
 ما عدت في النهر كسلطانة جبهتها في مائه ساطعه
 للقبه الحمراء في تاجها وهج ، وللماذنة اللامعه
 أم على امجادك الضائعه
 شيعتها بالنظرة الدامعه !

مررت مرور النهر من جسره واورثك النوح في عزلتك
 غرناطة ! ، اواه غرناطة ! لم يبق شي لك من صولتك !

لله حمراؤك ، تحسو الاسى وحيدة في الروضة الخاليه
 لم يبق لا زهوة ندمانها ولا صدى اعيادها الماضيه
 ولم يعد للحب فيها أنين
 ينقله العود عن العاشقين
 يننا يحيل البدر الحاطه باهته في المرمر اللامع
 بين أريج الزهر المنتشي وبين شدو الببل الساجع
 وقصرها الخاوي بارجائه
 كم غمر الليل بضوضائه !

اذ الجواري خاطرات على سجاده جارية جارية
 اروع ما في الشرق من رقصه تنسجه اقدامها العارية

غرناطة ، اواه غرناطة ! ما انت الا خرب قابعه !
 تحمل اسراب السنونو الى افريقيا أنباءك الفاجعه
 هناك ابناؤك من بأسهم
 باكون ، لا باكون من بأسهم

عروا من الاغماد بيض الظبي ووشحوا الخيل ببيض السروج
ويمموا البحر فلما بدت منك على الافق جبال الثلوج
خروا على اوجهم راكعين
وزفروا من قهرهم صارخين :

« غرناطة ، اواه غرناطة ! ضعت فيا للعظم الضائعه »
فيزفر الموج ويبكي لهم حين يرى أعينهم دامعه !

هذه مقطوعات من قصيدة فيلا سباسا في البكاء على غرناطة ترجمتها عنه لآباء العرب، وهي
لعمري قطع من قلبه وقطرات من روحه . ألقاها يوماً على مسمعي في غرفته، فإذا بالدموع
تترقق في عينيه وهو يلقيها، وما انتهى منها حتى خيم علينا صمت عميق حافل بمرارة
الذكرى ، وثورة الأسي . هي من أروع قصائده وهو مغرم بها يتلوها بصوته الجهوري
والقائه الممتاز في أكثر الحفلات التي تقام لاكرامه ، فتنتقل روحه بك مع معانيه من
الاسى الى التفاخر، ومن الحماسة الى البكاء

أفلا تشعر وانت تقرأها او تسمعها انك امام عربي صميم ، يغلي دم العرب في عروقه
فيثور متأوهاً على عز اجداده ؟ او لا تتخيل آخر بني سراج بطل رواية شاتوبريان ،
ساجداً بين جدران الحمراء يقبل احجارها ويبللها بدموعه
ما جلست اليه مرة الا شعرت انني مع رجل تربطني به فضلاً عن صلة الادب صلة
اخرى هي صلة الميول والمشارب

يحدثك بلهجته الهادئة الشعرية في شتى المواضيع، ولكنه عندما يذكر العرب واجادهم
يتغير فجأة فتحس بالحماسة تملأ جوارحه وتملك مشاعره ، وإن أنس لا أنس مجلساً كان
فيه معنا خليط من الادياء الوطنيين والاجانب فجئنا على ذكر غرناطة وجرانها، فإذا يريق
يتألق في عيني الشاعر تحول في قلبه الى كلمات اخذ يصف بها جمال الحمراء وجلالها بأسلوب
شعري خلّاب تناول مشهدها عند مطلع الفجر والشمس تدرج من خدرها فتاتي على قبيها
وباحتها فتوناً ساحراً . ثم انتقل الى عظمة الفن في بنائها فرسم لنا منها صورة تعجز عن
رسمها ريشة اعظم المصورين ، واذا به يتحول الى ما على الجدران من المقطعات الشعرية،
العربية التي نظمها ابن زمرك الاندلسي تلميذ وخليفة لسان الدين الخطيب وهو يروي ترجمتها
باعجاب وتفاخر

وكنا سكوتاً من حوله نرتشف وصفه ارتشافاً ، ونلتهم كلماته التهاماً ، نصغي اليه فنسمع
نضة قلب عربي تحت ذلك الثوب الغربي

ولا يتبادرنَّ الى الاذهان ان الشاعر يتكلم عن العرب بهذه الحماسة امام ابناء الضاد
خشب ، كلاً فهو في مجالسه ومحاضراته وقصائده يشيد بذكرهم ويتغنى بحضارتهم غير
بوجس من لومة لائم ، أو تهجم مكابر ، ومن رافق حياته في هذه الحاضرة وغيرها من
البلاد التي زارها تحقق بنفسه ما تحققته . وعندما قدمت له رسمي وهممت بكتابة كلمة التقدمة
بالغة البورتغالية التي يفهمها ، أبي علي إلا كتابتها باللغة العربية التي يحبها

وقد روى لي احد مرافقيه ان حبه للعرب بلغ به مرة في مدريد الى التنقل في
شوارعها الكبرى وهو مرتدي بالملابس العربية . وقد اخبرني انه لدى وصوله الى اسبانيا
سبى بكل جهده لتحقيق فكرة جميلة أوحى بها الصديق النابغة الاستاذ حبيب اسطفان
وهي انشاء جامعة عربية كبرى في غرناطة لتدريس كل ما هو عربي من لغة وأدب وتاريخ

اسيرة الشاعر وصلها بالعرب

ما تقاص ظل العرب عن الاندلس ، وسقطت غرناطة وهي آخر معقل بقي لهم ، حتى تفرق
مثل المسلمين ، وتضعض امرهم ، فزح فريق منهم الى افريقيا وفي مقدمته الملك ابو عبد الله
آخر ملوكهم ، وبقي فريق في اسبانيا محافظاً على اسلامه ، متعرضاً لاضطهاد الغالين ،
وتصرف فريق آخر هرباً من الاضطهاد ، او تقرباً من اولى الامر

ومن الفريق المنتصر نبيل عربي متحدر من السلالة الاموية يدعى محمد بن أمية وقد
دعي بعد تنصره الدُنْ انطونيو مولاي دي قرطبة وقالور

وكان اباً لثلاثة اولاد ، فرتدو ومارتين ولويس ، وكان الدُنْ فرتدو وهو وارث
لقب الاسرة فتى حر الحلال محبوباً وقد انتخب في مجلس نبلاء غرناطة الاربعة والعشرين
ففي عام ١٥٦٥ أي بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة ، دخل فرتدو — وهو
في الثانية والعشرين من سنه — الى مجلس النبلاء وخنجره في منطقتيه ، وكانت العادة
ان يترك النبلاء سلاحهم عند مدخل المجلس ، وقد ترك الدُنْ فرنسندو حسامه هناك
ولكنه أبقي خنجره ، فلم يرق ذلك في عين الدُنْ بدرو داسا رئيس المجلس فوبخه بلهجة
قاسية على لها الدم العربي في عروقه فأجابه :

— انني لادخلنَّ الى المجلس كما اشاء ، فانا سليل ملوك أمية ، وقد كان لاجدادي
في هذه الديار سلطة الامر والنهي ، وعزة العرش والتاج

فما كان من رئيس المجلس إلا ان اغلظ له القول ونسبه الى امة البرابرة فكبر ذلك على
الدن فرتندو وهجم كالمطر الهاجج فصفعه ، حتى اذا ثار ثائر النبلاء وقاموا عليه ، جرد
خنجره في وجوههم ، واخذ يتقهقر وهم لا يجسرون على التقدم منه حتى بلغ الباب فتناول
حسامه وسار توتاً الى حي اليبازين الا هل اذ ذاك بالعيال العربية

وما هي ليلة وضحاها حتى انضم الى الدن فرتندو فريق كبير من رجال ذلك الحي
الناقين على الاسبانيين ، فجرد منهم حملة سار بها الى جبال البشرات الواقعة بين
غرناطة ومرسية. وفوق هذه الجبال الالهة ببقايا العرب وجاسهم ممن هربوا من الاضطهاد
واعتصموا بالكهوف فوق قن الصخور ، اعلن الدن فرتندو الثورة على الدولة الاسبانية
الغاشمة ، ونادى بنفسه ملكاً ، فشى تحت لوائه جيش عربي لا يستهان به تتأجج في
صدور افراده نار الحقد على نازعي ملكهم ومقوضي مجدهم والذين بالغوا في النكابة بهم بكل
نوع من انواع العسف والارهاق

واول بوادر تلك الثورة مذبحة قام بها المسلمون ، فلم يبقوا على احد من المسيحيين
الاسبانيين القاطنين بينهم وفي جوارهم ، وكان ذلك ليلة عيد الميلاد
فجردت السلطة اول حملة عليهم بقيادة المريكز دي لوس فيلبس فدحروها ، وتلها
حملة ثانية بقيادة المريكز دي موندنار فلم تقو عليهم ، ولما رأى الملك فيليب الثاني استفحال
الامر استدعى الجيش الاسباني المقيم في نابولي وسلم قيادته الى اخيه الدون خوان دي
اوستريا ، فزحف هذا عليهم بجيش جرار كان الفشل نصيبه ايضاً ، وكان من قواد هذه
الحملة الضابط فيلا سباسا (جد الشاعر لاييه) ولكن الاقدار شاءت ان تشد ازرالاسبانيين
فاوقعت الفتنة بين صفوف العرب ، واضعفت شوكتهم

فقد كان للدن فرتندو العربي القائم بشؤون المسلمين ابن عم يدعى « ابن اميه »
ما زال طامحاً الى ان يكون هو القابض على صولجان العرب والمجدد للخلافة المروانية حتى
حدثت بينه وبين الدن فرتندو منافرة سببها المرأة ، فاغرى احدى جوارى ابن عمه على
قتله وهو نائم وذلك بوضعها كمامة على فيه وعنقه وتسهيلها دخول ابن عمه ورفيق له يدعى ابن
« الوزير » ففتكا به في قصره في « الاوجار » بعد ان ملك نحو ثلاث سنوات . فانهى الملك
بعد موت الدن فرتندو الى « ابن اميه »

فاستأنف القتال ولكن الاسبانيين اغروا بعض رجاله بالمال فغدروا به في مغارة
برشولس وقتلوه طعنًا بالخنجر . فتفرقت كلمة الثوار وتضععت قوتهم فتمكن الاسبانيون
منهم بعد حرب سجال دامت اربع سنوات

وقد اعتقلوا والد الدُن فرندو في مدريد عند انتفاض ابنه ، ولكن الملك عفا عنه وعن اولاده بعد موت الدُن فرندو وذلك بوساطة الدوق دي سيسا حفيد القائد الاكبر قدشلف جونزلف دي قرطبة وصديق الاسرة القديم فرجع لقب الاسرة الى الاخ الثاني الدُن مارتين ولكن هذا باع لاخته الثالث الدون لويس كل عقاراته فصار لقبه الدون لويس دي اينيسيا وغواروس ولا تزال من سلالة الى الان في اسبانيا اسرة المراكز دي اينيسيا وهي من الأسر الاسبانية العريقة ، أما لقب الدون مارتين الاخ الثاني فأصبح مارتين دي فالور فقط وهو اسم عائلة والد الشاعر الاسباني الذي نحن بصدد الكلام عليه أما والد الشاعر فهو متحدر من سلالة الضابط فيلا سباسا الذي قدم مع الحملة الاسبانية من ايطاليا وحارب الدون فرندو كما سبقت الاشارة

ومن غرائب الصدف أن يقتن بعد اربعة قرون سبيلا عدوين لدودين فينتج من ذلك ظهور شاعر كبير تفاخر به بلاده ويفاخر هو بنسبه العربي ويبيكي على اجداد العرب الضائعة اما ولادة الشاعر فكانت في الاوجار في نفس المنزل الذي قتل فيه الدون فرندو جده الاكبر العربي الاسلامي

وكانت والدته لا تزال محافظة على الغطاء الذي قتل عليه الدون وهو من الدمقس أخضر اللون منسوج بالفضة ولكن الشاعر ارتداه مرة في اعياد المرافع وكان في الرابعة عشرة من عمره فراه رجل باجيكي لحظ قيمته فعرض عليه يبعه منه فأبى ولكن الحاج الرجل دفع الشاعر الى اعطائه ذلك الاثر النفيس بلا مقابل ففقدته العائلة ولم يبق منه سوى قطعة صغيرة لا تزال محفوظة الى الان

وقد أوحى حادثة الدون فرندو الى الشاعر مأساته التمثيلية الخالدة « ابن امية » وهي تحفة من تحف الادب الاسباني وصف بها تلك الوقائع بأسلوبه الشعري العالي وبكى بها العرب ما أثرهم ما شاء له البكاء ، وقد مرّ بك منها في هذا المقال قطع من قصيدته التي يندب بها غرناطة ، وهي من شعره الكثير الذي تتداوله ألسن الرواة في كل بقعة ينطق أهلها بلغة الاسبان

فوزي معلوف

« مجلة الشرق » البرازيل





اعداء العمل

خلاصة الخطبة النفيسة التي القاها الاستاذ الدكتور هل A. V. Hill
لذكرى الاستاذ ستيفن بايجت من زعماء البحث العلمي الطبي بانكثرا

للهجوم والافتراء والتعصب والهدم حدث يجب ان لا تتعداه . انا لست موكلاً من قبل
الاطباء للدفاع عنهم . لاني اعرف ان للاطباء كما لسائر الناس نقائصهم . وادري ان
الامتيازات التي يتمتعون بها تحملهم احياناً على التمسك بآرائهم الى حد التعصب وتقديم
مصلحتهم على المقاصد العليا . واصارحهم بذلك فلا يزيدوني الا ولاء واحتراماً . وهذا
فضل كبير لهم ولعل سببه عدم اكترائهم لاقوالي ! على ان شعور الامتنان لهم ليس الباعث على
وقوفي بينكم خطيباً حاملاً لواءهم مدافعاً عنهم . بل هي الضرورة القصوى تحملي على ذلك
اذا حمل كاهن مسؤول عن اقواله وافعاله حملة شعواء على العمل الانساني المفيد الذي
يقوم به مجلس البحث الطبي — واذا ادعى رجل من رجال الطب المحترمين ان استعمال
الراديوم في معالجة السرطان خدعة كبيرة لانه تمتدق ذلك بنفسه منذ اربعين سنة اي قبل
الكشف عن الراديوم بتسع سنوات! — واذا قام دعاة يضرعون الى الجمهور ويحاولون اقناعه
بشئ الاساليب بالكف عن بذل المال للمستشفيات لان هذا المال انما يستعمل في تعذيب
الارانب والقطط وختاير الهند — واذا قامت طائفة من الناس ترمي بسوء المظنة البحث
عن الحقيقة لاستخدامها في تخفيف الالام وبردتها وهو اعظم المباحث البشرية على الاطلاق —
اذا حدث كل ذلك فقد آن الاوان لرد هذا الهجوم بهجوم مثله

ولو ان ستيفن بايجت الذي اجتمعنا باسمه الان اطلع على موضوع هذه الخطبة لكان وافق
عليه . ان روحه التي تميل الى الكفاح وقلبه الكبير الذي يتسع لاشرف العواطف وانبلها
كانا يحملانه على مناجزة الذين يحاولون ان يقفوا سدّاً حائلاً دون تقدم العرفان لينعموا
هم بما يشعرون به من تفوق حكمتهم وصلاحتهم على غيرهم من الناس . ولست اقصد اليوم
الى تناول موقف المقاومين لتشریح الحيوانات الحية في معامل البحث الطبي وحدهم لان
موقفهم الفكري هذا ليس الا ظاهرة عامة ، او هو مظهر من مظاهر الخلل العقلي ،
رأيناها تبدو في كل عصور التاريخ في اشكال قبيحة متعددة — قسوة واضطهاداً ، حقداً وبغضاً
وافتراءً وخيانة للجنس البشري وهو يحاول ان ينهض ويسدّ خطواته ببطء في توكله سلم العمران

النشوء البطيء

قلَّ من الناس من يدرك حقائق النشوء الانساني البطيء كلَّ البطء . واكثرهم يميل الى تصور آدم هابطاً على الارض منذ بضعة آلاف من السنين كائناً كامل الرجولة كامل التعليم حائزاً للقب في علم الحيوان من جنة عدن آخذاً على عاتقه تسمية الكائنات الحية التي خلقها الله وتبويبها . وقل من يدرك — وفي بعض الدوائر الفكرية يحسبون هذا الادراك الحداداً — ان الانسان ارتقى ارتقاءً بطيئاً استغرق خمسمائة الف من السنين جارياً على خطه التجربة والامتحان نابذاً ما كان يراه خطأ او ضاراً بعد تجربته مستقبلياً ما كان يرى فيه نفعاً محققاً . وكان من اثر فعل الحياة في الكائنات الحية الذي انقضى عليه الوف الوف السنين ان نشأت حيوانات ونباتات مختلفة الاشكال متعددة الصور والصفات لتفي بمطالب الحياة التي لا تحول وهي النمو والتجديد والتناسل . اخيراً ظهر نوع جديد من الحيوان هو سلف الانسان المتغلغل في القدم وفي تركيبه كل الاصول التي تمكنه من النشوء والارتقاء والتحضّر

وضع الاستاذ روبنسن المؤرخ المشهور رسالة عنوانها « الحضارة » لتتشر في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف البريطانية الجديدة شبه فيها ارتقاء الانسان تشبيهاً جديداً بسرعى الانظار . قال اذا حصرنا نصف الالف الالف من السنين التي قضاها الانسان متوقلاً سلم الارتقاء في مدى حياة انسان واحد قل هي خمسون سنة ، وجدنا على هذا القياس ان الانسان قد قضى تسعاً واربعين سنة قبلما خرج من حياة التنقل والصيد والقتل وعاداتها وتقاليدها الى حياة الزراعة المستقرة وقطن القرى وما يسير في اثرها من اساليب المعيشة . وعلى هذا القياس يكون قد قضى ستة اشهر من السنة الخمسين قبل اكتشافه للكتابة . وشهرين آخرين قبلما قام اليونان الاقدمون وخلفوا آثارهم ومدوناتهم . وفي منتصف الشهر التاسع نشأت المسيحية . اما الطباعة فلم تستنبط على هذا القياس الا منذ خمسة عشر يوماً واما البخار فلم يكشف عن قوته وسرها الا منذ اسبوع . واما السيارات فلم تصنع الا من يوم واحد والاسلحى الا منذ بضع ساعات . فما هو مصير الانسان وهو سالك هذه الطريق طريق الارتقاء ؟ ما هي اساليب التقدم وهل هي ثابتة لا تتغير ؟ وهل لنا يد في تحويلها والتأثير فيها كما نشاء ؟ وهل تلقى علينا تبعه ما في ذلك ؟

المعرفة اساس العمران

بين ظهرانينا اناس يريدون التسامي على اقرانهم فيتظاهرون باحتقار درجة الحضارة التي بلغوها ومدى النظام الاجتماعي الذي انتهينا اليه . ويطلبون اليانا ان نهمل العناية بالبحث العلمي والارتقاء الهندسي والصناعي لانها غير جدرة بمطالب الانسان الروحية . هؤلاء المتكبرون

المتظاهرون بالسمو والعظمة يسدون الى العمران يداً جليظة، لاتأتي عن طريق ما يدعونهُ من الآراء اويستنبطونه من الآلات ولكنها تأتي عن طريق النقد اللاذع الذي يوجهونه الى اساليب العمران لان كل عمل جليل لابد ان يحني فائدة من تصديه لنقد الناقدين انا لا اريد ان اقيم من « الارتقاء » آلهة كاذباً ادعو الى عبادته . ولكنني اعرف طائفة كبيرة من المفكرين العقلاء الذين لا يؤمنون بالسحر ولا بتسحيم الارتقاء ومع ذلك يرون في ما أتى الانسان العمرانية التي لم فز بها الا بعد جهد طويل يتخلله البحث الممل والعمل الشاق، أنا يفشل وأنا يفوز، أنا يساوره الحزن حتى يتطرق القنوط الى نفسه وأنا يلزمه الفرح فيدفعهُ الى الاقدام — انهم يرون في كل اولئك شيئاً خليقاً بالاجلال . شيئاً مقدساً كالحياء نفسها . فتقدم العرفان جدير بان يبذل له ويحارب في سبيله . وهذا هو سبب اجتماعنا الليلة . لاريب في اتنا لانزال على جانب كبير من الجهل وقصر النظر وبعضنا يفوق البعض الاخر في ذلك ! ولا ريب كذلك في اتنا لانزال بعينين عن المثل الاعلى في علمنا وسياستنا وتوفير اسباب الراحة والرفاه . ولكن لا يختلف اثنان في ان تقدم العرفان قد رفع مستوى المعيشة الانسانية ورقى الخلق البشري ووسّع نطاق النظر الى الحياة في نصف المليون من السنين التي انقضت على الانسان وانه لابد ان يفعل ذلك في المستقبل فالعرفان هو ركن العمران

هو الفارق بين الانسان والحيوان . ان مقدرة الانسان على فهم نفسه وحيطه صفة يمتاز بها على سائر الكائنات الحية . فاذا انكرنا عليه حقه في استعمال هذه الهبة كنا قد اجترحنا سيئة لا تغتفر . والواقع ان هذا الانكار لن يتم في عصر كعصرنا . فالحكومات تشيد بفضل التعليم والجمعيات والصحف تدعو اليه — ولكن الخطر كل الخطرين نكشف عن حقائق تناقض مصالحنا او تقاليدنا القومية او ما في نفوسنا من ميل للمحافظة على القديم . حيثئذ تنور الحفائظ وتحمل اصحابها على الوقوف سداً منيعاً في سبيل الارتقاء . فالكفاح الذي يجب ان يرفع علمه دائماً انما هو كفاح مع هذه الميول الى الجمود والتقهقر . اتنا لا نستطيع ان نثبت في مكاننا اذا جمدنا فيه . لان الحضارة لا تستقر على حال فالما ان تتقدم او ان تتأخر . فاذا تقدمت في بعض نواحيها وتأخرت في البعض الآخر افضى ذلك الى الخلل والاضطراب . ان ستيفن بايجت قد انشأ هذه الجمعية « لترقية صحة الامة وقوتها ولا نهام الناس قيمة المباحث الطبية والجراحية ولا فساد الاقوال الكاذبة التي تذاع ضد هذه المباحث » ولتحقيق غرضه علينا ان نكافح مظهرأ خاصاً من مظاهر الرجعية اريد به « مقاومة استعمال الحيوانات للتجارب الطبية والفسولوجية » . ولما كانت هذه المقاومة مظهرأ خاصاً من الرغبة

الشديدة التي بدت في عصور التاريخ المختلفة لمقاومة ارتقاء المعرفة وجب على جميعية كجميعتنا ان تنظر الى المسألة من ناحيتها الواسعة وان تؤيد حق الباحثين في حرية البحث انى كانت مظاهره. ثم ذكر انه في بحثه عثر على مجلة انشئت سنة ١٨٣٥ لمقاومة السكك الحديدية وهي في افوالها وادلتها كثيرة الشبه بالجمعيات القائمة في لندن لمقاومة البحث العلمي الطبي. فباب الرجاء اذاً مفتوح على مصرعيه. ترى ماذا يقول صاحب تلك المجلة لو كان عائشاً الا ان يرى اثر السكك الحديدية في العمران؟ ترى ماذا يقوله مديرو الجمعيات المنشأة لمقاومة البحث الطبي بعد خمس وتسعين سنة متى شاهدوا آثار هذا البحث في صحة الامم وعمرانها! ما اغرب عقل الانسان! انك لا تسمع بدعوة مهما سخفت الا وتجد لها اتباعاً. ما اكثر المذاهب القائمة على الخرافات والخدع التي ترفع رؤوسها بيننا! قلال هم الذين لا يؤمنون بنوع من انواع السحر. بل انك لا تجد نبياً كاذباً ولا خدعاً سافلاً ينجذع الناس بمسحضراته الساحرة او بالآله التي تعيد الشباب الا وله قوم ملتفون حوله ويؤمنون به كيف نستطيع ان نميز بين هذه المذاهب الفاسدة وارتقاء العلم الصحيح. اكثر الناس المتعلمين العقلاء يستطيعون ان يميزوا بينها ولكن ليس كل الناس عاقلين او متعلمين. ان المعرفة الحقيقية هي المعرفة التي تؤيد عناصرها بعضها بعضاً وتتفق مع الطبيعة البشرية. لذلك كونوا واثقين ان لا بداً للانبياء الكاذبين من ان يقوموا ليأخذ بعضهم بخناق بعض فلا نلبث ان نرى الجو قد تطهر من آثارهم. يجب ان لا نحفل كثيراً بهم بل ان وجودهم مدعاة للسرور وشحن الهمم. ان قيام جمعيات بيننا لتقنعنا بان الارض مسطحة او اننا نستطيع تصوير الارواح او ان الاسود ابيض والابيض اسود نعمة من نعم الحياة وانا لا انقم عليها بل اميل الى العطف عليها ومعاملتها بالحسنى وافساح مجال القول امامها

ولكن الحال تتبدل بغير الحال اذا انطلق مجنون يقف في سبيل الناس ويهدد حياتهم بالخطر. ان حرية الانسان الفردية من اعظم النعم التي فاز بها في تاريخ ارتقائه الطويل. فاذا حاول احد سلب هذه النعمة تحتم على المجموع ان يقيّد حريته. كذلك حالنا مع هذه الجمعيات. ان حرية التفكير والبحث هي اساس الارتقاء الانساني فاذا قامت هذه الجمعيات تسد سبيل البحث الحر والتفكير الحر وجب ان تكبّل اعمالها بالاغلال

انا لا اريد ان اغالب الذين يشبهون تلك السيدة التي كتبت اليّ مرة تقول «ان الرب عز وجل لم يقصد ان يفوز حيوان على حساب حيوان آخر» مع اني ارى في الحيتان التي تلهم ملايين الاسماك الصغيرة والنمورة التي ترفض اكل الخضراوات لتسبح بافتراس الحيوانات مما يفسد قواها. فاذا شاءت أن تعتقد صحة ما تقول فلتعتقده. ولكن اذا

حاولت هذه السيدة او غيرها من الناس الذين يعتقدون معتقدات غريبة ان يكبلوا حريتي وحرية صديقي في البحث والاستقصاء، اذا كانت هذه السيدة باذاعتها الاكاذيب لحض الحكومة والناس على منع الاطباء والعلماء من استعمال الضفادع وخنازير الهند في معامل البحث العلمي، تقف سداً امام تيار المعرفة فينثذ يغلي الدم في عروقي ولا اعود ارى مجالاً للتساع ثم اشار الى بعض مظاهر التعصب التي تستر بستار ديني مؤيداً اقواله بحوادث معينة من التاريخ ثم قال : لا تتصوروا اني احمل على الدين . فبين العلماء والاطباء ، بين الفلاسفة والمفكرين نرى طائفة كبيرة تنظر الى العالم نظراً دينياً صحيحاً . واذا حسبنا الدين من شؤون الروح وليس الاعتراف بسلطة كنائسية معينة فالعلماء والفلاسفة من اكثر الناس تديناً . انهم على كل حال يعترفون بقوة طبيعية تسمو على مقدرتهم وادراكهم . انهم لا يتظاهرون بدينهم ولا يضرعون الى الله ليؤيدهم في افعالهم ويخفي مساوئهم . انهم اقل ايماناً من غيرهم بصحة ايمانهم لانهم يدركون تعقيد المسائل الروحية وصعوبتها . فليس ثمت نزاع ما بين العلم الصحيح والدين الصحيح . ان النزاع قائم بين قوى العلم والعقل من جهة وقوى المذهب الديني الذي يتخذه بعضهم ستاراً ليخفوا تحته تعصبهم الذمير من جهة أخرى

اخوة العلم

في كل بلد من بلدان الارض نجد علماء مكين على البحث عن الحقيقة . ان المشاكل التي يواجهونها متشابهة والاساليب التي يجرون عليها متماثلة فغرضهم والحكم الذين يتكلمون اليه لا يمكن ان يكونا مختلفين . فنحن اخوة عظيمة لا تفرقها الحدود الجغرافية والسياسية . ولكن هذا لم يكن كذلك بعيد الحرب الكبرى . فاني لا ازال اذكر زميلاً ذا مقام رفيع قال لي ذات يوم وفي كلامه اثر الانفعال انه يؤثر تأخير العلم على الاشتراك مع استاذ الماني في البحث والتعليم ايها السادة اذا كان في العالم شيء واحد يجب ان يكون دولياً فهو « العرفان » والبحث عن الحقيقة . ان موقف الزميل المذكور يجعل الدم يغلي في عروقي كما يغلي حين اطعم على الاكاذيب التي تضيعها جميعات المقاومة لتشريع الحيوانات . ان هذا النوع من التعصب حافل بالخطر لانه يعيق التقدم ويشير النعرات الجنسية التي نحاول القضاء عليها لانه ينفي مبدأ الاشتراك العام في ترقية العمران الذي لا مندوحة عنه

وهناك نوع آخر من التعصب اريد ان الفت الانظار اليه وهو تعصب العلماء لمذاهبهم العلمية وفرض صحتها وخطأ سواها . ففي كثير من الاحيان تبني نظرية من النظريات على طائفة من الحقائق تكفي لتعليل جانب من الحقيقة فقط . فنظرية الانتخاب الطبيعي مثلاً وضعت

لعل بعض الحقائق المعروفة حينئذٍ فاصبحت عند نفرٍ من المفكرين كأنها من نواميس
الادمار التي لا تحول. ففي ميدان العلم كما في ميدان الدين مذاهب هي اقرب الى التحكم منها
الى التعقل. وهذا الموقف التحكيمي سواء في العلم او الدين مخوف بالخطر. فاذا اخطانا
بحسبنا النظريات حقائق. واذا تعصنا ضد الذين لا يعتقدون نظرية نعتقدنا نحن
مع انهم يقررون بصحة الحقائق التي بنيت عليها النظريتان نحول دون التقدم كما يحول
للتعصون امثال اعضاء الجمعيات المقاومة لتشريح الحيوانات

ولي كلمة اخيرة. يستطيع الانسان ان يكون شديد التمسك بآرائه وان يكون متساهلاً
في آن واحد. لا بد من النظريات في العلم اذا رما الارتقاء لان النظريات في البحث
العلمي كمفاتيح الجناية في البحث الجنائي تفتح امام العالم والباحث سبلاً جديدة للكشف
والاستقصاء. ولان جمع الحقائق من غير ترتيب ونظام قد يبلغ يوماً ما حداً يرتد
عنه طرف العقل البشري وهو كليل. ولكن يجب ان نفكر دائماً ان ما نذهب اليه اليوم
ولحسبه صحيحاً ونشدد في التمسك بصحته قد يصبح خطأ في الغد متى كشف عن حقائق
جديدة. فما زلنا لا نجور على الغير وما يذهب اليه من المذاهب. وما زلنا لا نقف حائلاً
دون حرية الغير في متابعة بحثه وعلمه فالتناس يقتفرون لنا مذاهبنا مهما تكن في رأيهم
فأدلة او بعيدة عن محجة الصواب. هذا هو التسامح العلمي

اطلعت منذ ايام على كتاب جديد في « علم الفلك الطبيعي » فوجدت صاحبه قد الصق على
صفحة الاولى صورة سيدة تحادث صياداً. وهي تقول. « ما رأيك في الخطبة اللاسلكية
التي اذيعت امس في موضوع بناء جوهر الفرد. اني لم اسمع كلاماً فارغاً كهذا في حياتي !
اني لا اعترض على موقف هذه السيدة. لنعم بجعلها. لاني اعلم ان موقفها من
باحث الفلك الحديثة لا يحملها ولا يحمل الصياد الذي تكلمه على محاولة اغتيال جينز او
لانغتون او رذرفورد او ملكن او غيرهم من علماء الطبيعيات. ولكن اذا قامت
سيدة تذيع اكاذيب عن البحث العلمي الطبي بغية ان يكف الناس عن امداد رجاله بالمال
او اذا حاولت ان تقنع الكبار والوزراء بوجوب سن تشريع يمنع العلماء عن القيام
بأعمالهم — اذا فعلت ذلك ارى في عملها خطراً داهماً يعيق الانسان عن التقدم
والارتقاء وادعو الى ايقافها عند حدها والى تكييل حريتها كما تكبل حرية مجنون لانها
علوة العلم عدوة للعمران



صفحة مجيدة من حال

الادب والعلم في الجزائر

الدكتور محمد ابو شنب

استاذ الآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

أقول الدكتور ابو شنب ، ام اقول الشيخ ابو شنب ؟ والله ما ادري ما اقول . أما هو المرحوم فقد كان «شيخاً» وكان «دكتوراً». فاز في سنة ١٩٢٤ بشهادة الدكتوراه برسالتين اثنتين وضعهما باللغة الفرنسية ، اما احدهما فاسمها «ابو دلالة» واما الاخرى فاسمها : «اللقاب الفارسية والتركية الباقية في لغة العامة بالجزائر» . ولكن الناس في الجزائر خاصتهم وعامتهم لا يعنون بلقب «دكتور» ، وانما يعنون بلقب «الشيخ» والفرنسيون انفسهم يعنون بالشيخ لا بالدكتور ، وحتى زملاؤه اساتذة الجامعة اذا دعوه بأحب الاسماء اليه قالوا : « الشيخ ابو شنب » وهو نفسه كانت كلمة «الشيخ» احب اليه ، واعذب في سمعه من كلمة «الدكتور» ولعل سبب ذلك ان كلمة «دكتور» في لغة العامة بالجزائر لاتعظيم فيها ولا احترام . فاهل الجزائر اذا ذكروا عالماً او اديباً ولو كان افرنسياً وارادوا ان يذكروه بما يدل على الاجلال والاحترام قالوا « الشيخ فلان » ، وهم يقولون «الشيخ فيكتور هيكو» و«الشيخ لامرين» و« الشيخ باسطور » و« الشيخ جان جاك روسو » وغير ذلك . وتبهم في ذلك الامر الفرنسيون الذين يتكلمون اللغة العربية في الجزائر . فكم مرة سمعت رجلاً فرنسياً من رجال العلم او الادب يقول : «الشيخ فلان» وهو يعني زميلاً له من العلماء او الادباء الفرنسيين وكان صحفي جزائري زار مصر ، فقالت جريدة « الشورى » الغراء انه دخل ادارة جريدة « السياسة » وقال : « اين الشيخ هيكل » ؟ . وهو يعني الدكتور هيكل . وقرأها الناس في الجزائر فلم يفهموا منها ما تريد ، لانهم يحسبون الرجل قد استعمل كلمة « الشيخ » في موضعها ، ما تجاوزه بها ولا عداه . وكانت جريدة عربية مشهورة في تونس اثنت على شيخ من شيوخ جامع الزيتونة فوصفته بأنه دكتور من دكاترة الزيتونة ! ظناً منها ان كلمة «دكتور» وكلمة «شيخ» معناها واحد . على ان كلمة «دكتور» بدأت تسترجع مكانها اليوم في اذهان الناس بالجزائر ولا سيما في ناحية الطب . فقد عادوا يقولون عن الطبيب

«الدكتور فلان» اذا هم ارادوا ان يجلوه ويحترموه ، بعد ما كانوا يقولون عنه « الشيخ فلان» متى ارادوا تعظيمه واحترامه وعاد الادباء في الجزائر وتونس يستعملون كلمة «دكتور» في موضعها ، لا يخلطون بينها وبين كلمة « شيخ »

هذه واحدة . واخرى فان هذا الاستاذ المرحوم كان « شيخاً » قبل ان يكون «دكتوراً» فقد اشتغل استاذاً بالجامعة دهرأ طويلاً قبل ان ينال شهادة الدكتوراه ، وكان في ذلك الامد قد نال احترام الناس ، فاعطوه لقب « شيخ » . وفي الحق ان لقب «شيخ» اولى بهذا المرحوم من لقب «دكتور» فقد كان — رحمه الله — متسماً بسماة «الشيخ» اكثر مما هو متسم بسماة «الدكترة» ، فهو مسلم جزائري ، وجزائري مسلم في كل شيء : في عقله وادبه ، وفي اخلاقه وعاداته . في لباسه وهندامه . تراه فترى على رأسه عمامة جزائرية (طوربانطي) وتراه فترى على كتفيه « برنوساً » جزائرياً ، وعلى صدره غلائل جزائرية ، ومعطفه معطف جزائري وسراويله سراويل جزائرية عريضة ، وحذاءه حذاء جزائري . وباجملته فهو بقية سلف صالح مضى في عاصمة الجزائر ، ولم يبق منه اليوم الا أناس معدودون من خيارهم هذا الشيخ المرحوم

﴿تواضعه﴾ — عرفت فيمن عرفت من الناس رجلين في الجزائر هما من اشد الناس تواضعاً وزهداً فيما يرغب فيه الناس ويتهاكون عليه من الشهرة والجاه وهما من اولى الناس بهما فقد نهما لهما من اسباب ذلك ما لم يتهايا لكثير سواهما من المشهورين في الجزائر . اما احدهما فهو الدكتور محمد بن العربي (الطيب) او الشيخ ابن العربي محمد كما يصفه الناس في الجزائر لانه موضع ثقته واحترامهم . وقد بلغ من احترام العلماء لمواهب الشيخ وفضله ان كان شاعر فرنسا وعالمها «فيكتور هيكو» وهو في ايام شيخوخته يماشي الشاب بن العربي ويجالسه وهو لا يزال يومئذ طالباً في كلية الطب بباريس . وكان اذا رجع الى الجزائر يكتبه بغير انقطاع . واجتمعنا بالدكتور بن العربي هذا مراراً ، ومازلنا نرجو ان نجتمع به . فكان يحدثنا عن ايام شبابه ، وعن ايام طلبه للعلم ، وعن اتصاله بفكتور هيكو ، فيحدثنا ذلك كله حديثاً ساذجاً بسيطاً ، ولكنه حديث شيق جذاب ، يشوقك ويستهيوك . يشوقك ويستهيوك ، لانه كله صدق ، وكله صراحة واخلاص . ويشوقك ويستهيوك لانه حديث كله تواضع لانيته فيه . وكان اذا حدثنا عن فيكتور هيكو قال : « كان الشيخ فكتور هيكو . . . » و « قال الشيخ هيكو . . . » ، فنعجب منه نحن بهذا الحديث المحك البسيط ونستحليه ، واما الآخر فهو الدكتور او الشيخ ابوشنب ، وهو الذي اريد ان اتحدث عنه في هذا المقال . والدكتور بن العربي كصاحب الدكتور بن ابوشنب جزائري مسلم في كل شيء ، ويزيد عليه

انه أكثر تقشفاً، فهو لا يلبس الجوارب (التقاشير) في اغلب الاحيان. ثم هما متفقان فيما سوى ذلك، فكلاهما محافظ على القديم، وكلاهما مؤمن قوي بالامان وكلاهما لا يقبل في دينه مناقشة ولا جدالاً. وكلاهما متواضع الى حد المحلول

اشتغل الدكتور بن العربي بالمسألة السياسية الجزائرية زمناً طويلاً، ومع انه قد ابلى فيها بلاءً حسناً، فقد كان في عمله وجهاده، متواضعاً لا يخاصم احداً، ولا يبتغي رآسة ولا وساماً، ولو خاصم في السياسة وشاتم لأصبح في الجزائر من اقطابها المشهورين وانقطع الدكتور ابو شنب للعلم، فخدمه خدمات جليلة، وعمل له عملاً صالحاً، وكان في عمله متواضعاً نزيهاً كما يجب ان تكون كرامة العلم

لقيت الشيخ المرحوم في شارع من شوارع الجزائر (العاصمة) ذات يوم، ففضينا معاً في حاجة وانا لنمشي اذ نادانا من بعيد رجل عرفته انه يرغب الى الادباء ان ينظموا له منظومات يرفعها الى الاغنياء والاعيان. وأنا استثقل هذا الرجل، ولا اطيع ان اراه، وابتت ان ألي نداءه، ولكن الشيخ المرحوم قد استجاب، واقنعي بسداد ما رأى، فصحبته وسكت. وناولته الرجل كرأساً قد كتبت فيه منظومات وقصائد، وطلب اليه ان يصلحها، ويقم اوزانها. وسمعت الرجل يترنم بشيء من ذلك، فوالله لكأنني اسمع انكر صوت خلق الله، ووالله ليزفير جهنم اعذب في اذني واشهى الى قلبي من ترنم هذا الرجل وغنائه في مثل هذه المنظومات. ولسؤال الغير، ولرؤية منكر ونكيراهون علي من البقاء في مجلسي هذا. ولكن الشيخ اكب على تلك المنظومات يصلحها، ويقم اوزانها. ولبث في ذلك ساعة كاملة، ما سم في اثنائها ولا تخرج بل كان فيها يعلم الرجل ويجهد نفسه في تفهيمه وكان فيها يخالق الرجل بخلق حسن، ويتواضع له، ولا يتظاهر عليه بعلم ولا بفهم، بل جلسا اليه ساعة كما يجلسا الى فريق له في المنزلة والعلم. ولولا اني كنت ساعثداشغل نفسي بالشيخ اعجب بتواضعه وخلقه الكريم لكنت ساعة أطول علي من الدهر. واشد من يوم الحساب وهكذا كان — رحمه الله — يستوقفه الصغير او الوضع فيقف له، ولا ينصرف حتى ينصرف السائل. واذا انت حادثته في مسألة من مسائل العلم، حدثك فيها بما يعلم حديثاً متواضعاً لا « يتعالم » فيه ولا يتعالى. وهو متواضع حتى في لباسه، فاذا رأيته نبا عنه طرفك، ولم تجد في ملابسه شيئاً مما يتباهى بلبسه « الفقهاء » في الجزائر

علمه وادبه — وهو وان كان استاذاً للادب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر، ونال شهادة الدكتوراه في الادب فانه في الواقع عالم اكثر مما هو اديب واجائنه وان كانت في موضوعات ادبية فهي اجاث علمية على طريقة علماء المشرقيات، لا تكاد ترى عليها مسحة

أدبية فهي كلها إبحاث في اللغة العربية، وفي الادب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله ولكنك اذا انت قرأت بحثاً من هذه الابحاث فانه لا يشوقك ولا يغريك بامان المطالعة ولا البقي فيها، ذلك بان اسلوبها اسلوب علمي بحث لا لذادة فيه. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشيخ المرحوم غير مشهور بين الادباء — واغلبهم من الناشئة — كما هو مشهور بين العلماء قرأت له ذات مرة فصلاً في تاريخ عاصمة الجزائر فقال انها كانت تسمى « مزغانة » او « مزغان » ثم « جزائر مزغان » ثم « الجزائر » ... واستمرّ يبحث هذا الموضوع ويستقصيه، حتى قتله بحثاً وتدقيقاً، وحتى جاء فيه بما لم يسبقه اليه احد من المؤرخين. واعجت انا بهذا الفصل، وقابلت الشيخ المرحوم، واطهرت له اعجابي هذا، ثم قلت له « ... ولا اكتبك يا سيدي انك كتبتك بأسلوب غير طلي ولا لذيذ. » فقال في شيء من التواضع والبساطة كثير: « خذ العلم، وماذا يعنيك اكان بأسلوب طلي. ام كان بأسلوب غير طلي ولا لذيذ. وحسبك انك فهمت عني ما اريد ان اقول. وهل اللغة واساليبها الا اداة للفهم والتفهم؟ غير انك معشر الشبان تغرّم زخارف الالفاظ وترويقاتها. حتى ان كثيراً من ادباء العربية قد وقفوا عند اللفظ وزخرفته وتحسينه لا يكادون يعدونه الى المعنى والباب. » فقلت: « ولكني لو لم يكن يهمني هذا الموضوع بوجه خاص، لما كنت قرأت نصك هذا ليبتسبه وجفافه. واللغة واساليبها اداة للتفهم لاتعدو ذلك كما تقول يا سيدي، ولكن الناس يختلفون ولا يستوون في استعمال هذه الاداة فهم من يريد ان يعرب بها فيجهم، ويبين فيهم، لا يعرف كيف يستعمل هذه الاداة فلا تفهم انت منه ما يريد ان يقول. وهم من يستعمل هذه الاداة للتفهم استعمالاً بارعاً، وتسمعه انت فاذا كل عضومك يسمع له ويصغي اليه، واذا كل شيء فيك يفهم منه ويعقل. واذا هو يملك عليك قلبك، ويملك تمك وبصرك طوعاً او كرهاً. وهل خلدت هذه الكتب الادبية الخالدة الاً بجمال اسلوبها، وسحر بيانها؟ وهل هؤلاء العبقيرون في الادب الا بشر قد امتازوا عن الناس بارزتهم الله من الفصاحة والبيان؟ وكثير من الناس من تكون له افكار سديدة، ونظرات صائبة في هذه الحياة، ولكنها يموت بماتته، ولا تخلد، لانها لم تكن في اسلوب جميل تصبح تستحق به البقاء والخلود. ومن ذا الذي ينكر ان القرآن الكريم فصيح مبین ومعين في الفصاحة وسحر البيان الى حد الإعجاز؟. » فقال الشيخ: « صدقت، ولكنك ما تزال شاباً تفتنك مظاهر الاشياء وزينتها، وتشغلك عن ان تنفذ الى لبها وصميمها، وتستعدل الالام رأيك هذا بعض التعديل، وستصبح تنظر الى المعاني اكثر مما تنظر الى الالفاظ... » فقلت: « انني اريد لك يا سيدي ان تخلد بعدك آثارك في الادب، وليس الى ذلك من

سبيل الا ان تكتبها بأسلوب ادبي لذيذ ، لا يبس فيه ولا جفاف . فقال في شيء من الدعة كثير : « . . أبعد شيبي ينبغي مني الادباء ؟ » فاستجيتُ والله ان أُلح عليه في البحث ولعلَّ السبب في ضعف أسلوب الشيخ ان معارفه فرنسية اكثر منها عربية . فهو استاذ الادب العربية في جامعة الجزائر ، ولكنه يلتقي دروسه ومحاضراته كلها باللغة الفرنسية . ويقول الذين قرؤوه في الفرنسية ان أسلوبه فيها أسلوب حسن متين . وهو مع ذلك عالم باللغة العربية غزير العلم ومطلع عليها واسع الاطلاع . وحافظ ثقة من حفظها لا يكاد يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

كتب اليَّ الاستاذ الشيخ عمر راسم الجزائري كتاباً وصف فيه الشيخ المرحوم وهو من اعراف الناس به ، فقال : « . . لقد كان ، رحمه الله ، معجباً لغويّاً يعيش على وجه الارض . » وهو وصف صادق لا مبالغة فيه ولا اغراق ، فقد كان يحفظ اللغة المدونة في المعاجم . ويحفظ شيئاً كثيراً من اللغة التي لم تدوّن بعد . وكان معنياً بجمع هذه الكلمات الكثيرة والتراكيب التي تجري على ألسنة الادباء في القديم والحديث ، ولم تدوّن في المعاجم ، يبحث عنها بحثاً مستوعباً ، ويردها الى اصول عربية ردّاً صحيحاً . وكان ينوي ان يجعلها في كتاب يعرضه على المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم ينشره في الناس كتكملة للمعاجم اللغوية وابحاثه في اللغة والادب كلها ابحاثٌ مبتكرة طريفة ، آخرها محاضراته التي القاها في مؤتمر المستشرقين الاخير باكسفورد (بلاد الانكليز) عن ابن خاتمة احد شعراء الاندلس في القرن الثامن الهجري ونشر خلاصتها في مجلة «الشهاب» التي تصدر في قسنطينة (الجزائر) وهي محاضرة قيّمة أحيى بها شاعراً عربياً ، وزاد بها في تاريخ آداب العرب صفحة ماجدة ذهبية وكان طبع كتباً كثيرة قديمة بعد ما صحّحها وعلق عليها وكان مولعاً بجمع الكتب القديمة ، ونقائس الآثار فقد خالف في خزانته مجموعة فيسة غالية من الكتب اليدوية المخطوطة

يقول كثير من الناس ان الحكومة الجزائرية هي التي اخذت بيد الشيخ المرحوم واعانتها على اظهار مواهبه ونبوغه ، ولو انها اخذت كذلك بأيدي غيره من العلماء والادباء في الجزائر لكان فيهم من يدانيه ومن يفوقه . وهذا قول صحيح لا شك فيه ، فان كثيراً من ادباء الجزائر وعلمائها ماتوا كما يقول الزهاوي شاعر العراق :

« ولقد يموت نبوغه من لا تساعده الظروف »

ولولا الحكومة لحفي الشيخ المرحوم تواضعاً وخولاً . ولكنه خدم العلم اكثر مما خدم نفسه ، وخدم الجامعة الفرنسية بالجزائر خدمات : جلى ، وهو الذي جعل للكتب

الغربية في مكتبة الجامعة قيمةً واعتباراً . وكانت الجامعة والحكومة تتدبانه الى كثير من مهبات العلم ، فقد مثلها في مؤتمرات علمية عالمية كثيرة عقدها المستشرقون وغير المستشرقين وكان لا يقع امتحان من الامتحانات العالية في شمال افريقيا الا وتجد الشيخ المرحوم يرأس لجنة من لجانه تتألف من كبار العلماء والادباء الفرنسيين . وقد اشتهر بين هؤلاء العلماء بالفة العلمية لايماري ولا يداري ولا يحجب ولا يحابي .

زرتُه في الجامعة ذات يوم من ايام الامتحان . فرأيت في فناء الجامعة فتاة رائعة على اشد ما تكون فتنةً وجمالاً قد رسبت في الامتحان على يده . وهي تبكي بكاءً شديداً . وقصصت عليه نصها فقال : « وددت لو انها نجحت ، ولكن اسقطتها امانة العلم . وما هي قيمة العالم اذا لم يكن ثقة ولا اميناً ؟ . . » . وكان ملماً باللغتين الالمانية والانكليزية الماماً حسناً مفيداً .
 ﴿ تمسكهُ بدينه ﴾ — وكانت اول معرفتي بالشيخ ان كنت بتونس في سنة ١٩٢٢ وانا يومئذ لا ازال اطلب العلم في الكلية الزيتونية ، وجاءتها في تلك السنة لجنة من العلماء الفرنسيين لامتحان طلبة البكالوريا في تونس . وكانت هذه اللجنة تحت اشراف المرحوم الدكتور ابي شنب ، فاستغرب الناس في تونس ان يكون عالم جزائري غير متجنس بالجنسية الفرنسية رئيساً مشرفاً على لجنة علمية فرنسية ، يرأس جلساتها بملابسه الجزائرية ، وبزيه الجزائري . وتعالم الناس هذا الخبر ، وسمعتُه انا ، وفرحت به وداخلي يومئذ شيء من النخوة والكبرياء . وجمعتُ نقرأ من اخواني الطلبة الجزائريين ، وذهبتنا نزره وكان اليوم يوم احد لا يعمل فيه . فلقينا لقاءً حسناً ، وقبلنا قبولاً كريماً . وبينما نحن جلوس عنده اذ حضرت صلاة العصر ، فقام فصلى الثالثة اربع ركعات ثم اقام الصلاة (المكتوبة) ولما فرغنا من الصلاة سألتُه « كيف تصنع اذا ادركت الصلاة ، وانت في جاسة رسمية ؟ » فقال : « أقف الجلسة للاستراحة ، فستريح زملاؤه بخطوات يمشونها ، ودخائن ^(١) يشعلونها ، واستريح باداء المكتوبة . واجد من الراحة في صلاتي مالا يجدون هم في مشيهم وتدخينهم . . . » واراد ان يمضي في حديثه هذا فقاطعتُه انا وقلت « ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزب المسلمين خطبُ بجاً الى الصلاة ، ويقول : « ارحنا بها (الصلاة) يا بلال » ففرح الشيخ المرحوم بهذه الفاظة ، وقال : « لقد اردت ان اقولها فسبقني بها » ثم ودَّعنا وانصرفنا ونحن تمني لبائنا المتفرحين ان يتعظوا بهذا الشيخ الجليل . فلقد كان لهم فيه اسوة حسنة ان كانوا يريدون الخير لا انفسهم ولبلائهم

وله رأي في هذه الالقاب الدخيلة قد لا يخلو من الغرابة والشذوذ فهو يرى ان نجتنب

(١) البخينة : السجارة . وضع الاديب الامام السيد مصطفى صادق الرافعي

الدخيل وان نجهد في اجتنابه ولو الى الاستعاضة عنه بغريب اللغة المهمل الذي بطل استعماله. واذا اضطررنا الى الدخيل يجب ان ننطق به كما ينطق به في لغته الاصلية ، وندعه على حاله لانمسه بأدنى تغيير، حتى تبقى دائماً عليه سمة الدخيل، لا يشتبه علينا بالاصيل ، ولا يختلط علينا الحابل بالنابل. وكنت ناقشته في هذا الرأي الذي تأباه ، طبيعة اللغة ، فكل لغة لا بد لنموها وحياتها من الدخيل ولا بد لهذا الدخيل ان يفقد صيغته الاصلية الاولى، ولا بد له ان يخضع لمنطق اللغة التي يدخلها، يصاغ في صيغها، وتجري عليه قواعدها. وهذه اللغة الفرنسية مثلاً، دخلها كثير من الكلمات العربية ولكن أية كلمة عربية دخلت الفرنسية وبقيت عربية في صيغها على منطقتها العربي ؟ وكلمة « محمد » مثلاً ينطق بها الفرنسيون على صيغ كثيرة كلها نمو فرنسية لا يجد بينها صيغة عربية. وهذا سبيل من سبل نمو اللغات وحياتها ، ما للغة منه بد آخر. عهدي به ﴿— منذ عشرة اشهر ركبنا القطار السريع من تلمسان الى وهران ، فاذا الشيخ المرحوم يركب هذا القطار نفسه، فقطعنا الطريق في محادثة وحوار ، وكان يدي جزء من اجزاء المقتطف فتناولته الشيخ من يدي وقال : « عهدي بك تحب الادب ، ولا تحب العلم فما بال «المقتطف» وهو مجلة علمية ؟ . » فقلت : « كلا ، ياسيدي ، اني لا احب من العلم ما كان صلباً يابساً ، ولا احب من الادب ما كان وهمياً وخيالياً . وانما احب الحقيقة تكون في صورة رائعة من صور الادب والجمال. والمقتطف يصف لنا حقائق الحياة ، ويعلمنا العلم والحكمة ، في اسلوب من الادب ساحر لذيذ . وللمقتطف علي يد لا انساها له ابد الدهر . » قال وما هي ؟ فذكرتها له^(١) فقال صدقت ، لقد احببت خير المجلات

وتكلمنا في الكتب اليدوية المخطوطة. فقال : ان تلمسان كانت دار علم ، ولا بد ان تبقى فيها بقايا من آثار السلف الصالح، فاذا عثرت فيها على كتاب قديم او اثر من الآثار العلمية فاني ارجو ان تكتب اليّ به . وهنالك جمعيات من الالمان والاميركان قد ارسلت في مدائن هذه ابلاد حاشرين يشترون لها الكتب العربية القديمة ، ويقتنون لها نفائس آثار اجدادنا . فقلت : بلغني ان « فلاناً » و « فلاناً » من اشياخ الطرق الصوفية في مراكش قد قاما بسياسة واسعة في شمال افريقيا ظاهرها « الطواف » على اتباعهم بغية « التندور » ولكنهما كانا يقتنيان الكتب المخطوطة، ويبدلان المبالغ الطائلة الباهظة من المال في شرائها ونسخها . حتى ظفروا منها بشيء كثير . فهل لهذين « الشيخين » علاقة بهؤلاء الاميركان او الالمان ؟ . . فقال : هما بلا شك من اعوانهم الذين بعثوا بهم لجمع الكتب المتناثرة المبعثرة في ايدي عامة المسلمين الذين لا يفرطون فيها الا بمثل هذه الوسيلة . فقلت : وقد سمعت

(١) قصة خصوصية وبما ذكرتها قراء المقتطف في مقال انشره بالمقتطف

ان حكومة مراکش قد اصدرت «ظهيراً» يمنع اصدار الكتب المخطوطة الى الخارج. فقال
وانا الاخر سمعت بهذا، ولكنه غير مفيد، فلو ان الحكومة اشترت هذه الكتب، واقتنت
هذه النفائس وحفظتها في «دار الكتب» لكان ذلك خيراً وانفع. لان هؤلاء الذين
بدلوا اموالاً طائلة في سبيل الحصول على هذه الآثار والكتب والنفائس لا يعجزهم ان
يجدوا حيلة لتحريرها والفوز بها. وارتدت ان اتكلم، ولكن القطار وقف بنا على مفرق
الطرق فودعني الشيخ وودعته، فأخذ طريقه الى الجزائر، واخذت طريقي الى وهران
وكان هذا فراق بيني وبينه، وكان ذلك آخر لقاء، فما التقينا بعدها، ولن نلتقي ابد الدهر
﴿كيف ذكرته﴾ - مات ابوشنب، واقامت في ٢٠ مارس الاخير له حفلة تأبين، فلم
اذكره بشيء من ذلك وانما ذكرته بسبب قد يكون غريباً، ولكن هو السبب الواقع: المقتطف
هو الذي اذكر فيه، وهو الذي جعلني اكتب عنه هذه الذكرى، واحس لفقده بالام جسام.
وذلك اني قرأت في جزء اخير من المقتطف فصلاً عنوانه: «هل تدثر مدونات العصر؟» على
صديقي الفاضل المبرور، السيد الحاج عبد القادر قره حجة في تلمسان فذكر لي ان في خزائنه كتاباً
مخطوطاً لا يدري ما اسمه، ولا ما موضوعه، ولا من مؤلفه، قد كتبت على الصفحة الاولى
منه احرف قال كاتبها عنها انها اذا كتبت على اول كتاب فانه لا يندثر ولا يبلى! ...
فوغبت اليه ان يريني هذا الكتاب فتفضل فاعارني، فسهرت عليه ليلة اطالعه فاذا الاحرف
هي هذا: «كك كك كك كك» واذا كاتبها قد جلد الكتاب، واحتفظ به احتفاظاً
شديداً فابلى ولا اندثر. واذا الكتاب صفحة ماجدة من تاريخ الجزائر، بل من
تاريخ الاسلام والشرق. واذا موضوع الكتاب في سياسة الملوك وتدير الممالك. واذا مؤلفه
عالم غزير العلم، مطلع واسع الاطلاع، وسياسي مجرب حكيم. وهو السلطان موسي
ابو حمو اشهر بني زيان (بني عبد الواد) ملوك تلمسان في التاريخ. وهنا ذكرت الشيخ المرحوم،
وذكرت ما كنت عاهدته عليه يوم اجتمعنا في القطار من ان اكتب اليه بكل ما اعثر عليه
في تلمسان في الكتب القديمة، والآثار النفيسة وهممت ان اكتب اليه عن هذا الكتاب
النفيس، فاذا به قد توفي الى رحمة الله. فلولا «المقتطف» ما كنت لأعثر على هذا
الكتاب، ولولا هذا الكتاب ما كنت لأذكر الشيخ المرحوم هذه الذكرى الالمية
سلام الله عليك يا ابن ابي شنب، لقد طبخت حياً وميتاً. وكنت بعلمك وشرقيتك
حجة الشرق على هؤلاء الشرقيين الذين لا يتبعون العلم والحياة الا من طريق التفرج والاندماج.
وقدمت على ربك مؤمناً عالماً، «... ومن ياتيه (ربه) مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك
لم الدرجات العلا. جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها، وذلك جزاء من تركي»
تلمسان (الجزائر) محمد السعيد الزاهري



غاية الجيولوجيا ومباحثها واساليبها

على ذكر كتاب « الجيولوجيا » النفيس الذي اصدره حديثاً
الدكتور حسن بك صادق وكيل مصلحة المناجم والمحاجر

تألف لفظة (جيولوجيا) من لفظتين يونانيتين الاولى (جه) ومعناها ارض والثانية (لوجوس) ومعناها خطاب او درس فيكون معناها (درس الارض) وتتناول باوسع معانيها كل ما يتعلق بتركيب الارض . والغرض من هذا العلم البحث في كل المواد التي تتركب منها الارض ووصف اشكالها ومواقعها وترتيبها النسبي وتتناول طبيعة تكوينها والاسلوب الذي جرى عليه هذا التكون والتغيرات التي مرت بها في العصور الحالية والتي لا تزال تنتابها الى الآن وبكلمة عامه غايته ان يكشف عن النواميس التي تجري عليها هذه المواد في تكوينها والعوامل التي تبين صفاتها وخواصها

والجيولوجيا قسم من التاريخ الطبيعي لذلك لا تتناول من مواد الكرة الارضية سوى المواد المعدنية والصخرية بوجه خاص وترك البحث في شكل سطح الكرة وتوزيع اليابسة والبحار عليه للجغرافيا ودرس المملكة النباتية لعلم النبات والمملكة الحيوانية لعلم الحيوان وبناء الاجسام الاساسي لعلم الكيمياء . على ان الجيولوجي لا يستطيع ان يحترق سطح الارض الى اقصى من بضعة اميال ولذلك ترى مباحثه بوجه عام منحصرة في قشرتها . ولذلك ترى علماء الجيولوجيا يذكرون في كتبهم قشرة الارض ويريدون بها ذلك القسم من بناء الكرة الصخرى الذي تصل اليه مباحثهم وتتناوله على وجه من الرسوخ والتثبت العلميين

اذا حفرتنا بئراً في الارض مررنا في اثناء حفرها بطبقات متتابعة من الدلغان والرمل والحصى فنذكر فعل الماء لا تتألا نرى عاملاً طبيعياً آخر يفعل فعل الماء الآن في تضيد طبقات الدلغان والرمل والحصى فيقودنا ذلك الى البحث في منشأ الطبقات التي تمر بها في اثناء حفرنا وهل هي رسبت اولاً في قيعان الانهار والبحيرات او مصاب الانهار الداخلة في البر او على شواطئ البحار . وقد نعر في اثناء بحثنا على اصداف وعظام او قطع من نباتات مدفونة في الدلغان او الرمل . ففي هذه الاجسام نجد سبيلاً آخر الى الوقوف على تاريخ

هذه الطبقات الارضية لانه من المستطاع معرفة اصحاب هذه الاصداف والعظام وهل هي
حيوانات كانت تعيش في البحيرات العذبة المياه او الانهار او ماء البحر الاجاج
كذلك نعر على كثير من الطبقات الصخرية المختلفة في اثناء حفر نفق من انفاق
سكة الحديد مثلاً او منجم او قطع جانب من اكمة لبناء خط حديدي فنرى طبقات
مختلفة دلغانية ورملية وخموية وحديدية وجيرية منصدة احداها فوق الاخرى او مرصوفة
احداها الى جانب الاخرى . وكل من هذه الطبقات قد تحتوي على آثار بعض الحيوانات
والنباتات وبقاياها ولا يمكن تعليل وجودها الا اذا حسبنا ان كل طبقة منها كونت
بفعل عوامل مختلفة وفي احوال مختلفة من البحر والبر والهواء والماء كما نرى في هذه الايام.
فالباحر والانهار ومصابها كل واحد منها يختلف عن الآخر بمميزات خاصة في رواسته
والجيولوجي في اثناء قيامه بالباحث المتقدمة يستتير بالاحداث الطبيعية التي تقع فعلاً
في هذا العصر فيسند التشابه الى اسباب واحدة او متشابهة . فهو يرى في هذا العصر
الانهار تنقل الرمل والطمي والحصى وترسبها طبقات طبقات اما في البحيرات او في مصاب
الانهار او على شواطئ البحار . وهذا الفعل الطبيعي آل في سنوات معدودة الى امتلاء
بعض المصاب وجفاف بعض البحيرات من رسوب هذه المواد فيها وتحويلها من ارض مغمورة
الى ارض يابسة بعد ارتفاعها وانحسار الماء عنها . ثم تجمدت طبقات الرمل والطمي
والحصى رويداً رويداً فصارت طبقات صخرية

كذلك نرى الامواج بفعل المد والجزر والرياح تفتت الصخور في جهة معرضة لها
والرياح وتجمع في الوقت نفسه مقادير عظيمة من الرمال في جهة اخرى غير معرضة للرياح
والامواج . ونعلم انه في اثناء الزلازل وثوران البراكين ترتفع بلدان وتنخفض بلدان فقد
ترفع في وسط البحر جزيرة في منخفض لم يكن لها اثر فيه من قبل وقد تنخفض بلاد
اخرى على شاطئها فتغمرها مياهها وتصبح اليابسة قاعاً للبحر . والافعال البركانية تؤثر في سطح
اليابسة فتكون سلاسل جديدة من الجبال والاكام بفعلها او ترسل حمماً تصير على مر الزمان
صخراً مبلوراً كصخر البازلت وما اليه

فلما كانت هذه العوامل تؤثر في سطح الكرة الآن وتغير من حين الى آخر نسبة
اليابسة الى البحار عليه طرداً وعكساً على ما هو مشاهد فلنرجح كل الترجيح ان هذا كان
فعلها في العصور الغابرة ولا بد انها كانت العوامل الاولى التي استعملتها الطبيعة في تكوين
نشرة الارض التي تنحصر مباحث الجيولوجيا فيها

ولقد كانت الارض في كل العصور ميداناً للتدمير والبناء في كل تاريخها — هنا تدمر

وتحفّر وتخرّب وتعزى بفعل الامطار والانهار والامواج والثلج والجد والمد والجزر .
وهناك تبني برسوب المواد التي تحملها المياه من مكان الى آخر او بنماء النباتات والحيوانات
على سطحها وتجمّع المواد التي تقذفها البراكين من قلب الارض

اضرب في الأرض انى شئت وابعد عن الشواطىء ما تمكنت وابحث في طبقات
الرمال والحصى والتراب والصخور وابحث في المواد التي تتركب منها تجد انها كونت كلها بفعل
الماء كما ترسب طبقات الرمل والحصى والطين في عصرنا الحاضر . وكما ان ثوران البراكين
الآن وفعل الزلازل يغيّر اشكال الجبال والوديان فيرفع قمة هنا ويخفض وادياً هناك ويحدث شقاً
ويجعد سهلاً هنالك كذلك علينا ان نعود بمثل هذه الافعال في اقدم العصور الغابرة الى
مثل هذه الاسباب

فدرس الجيولوجي للافعال الطبيعية الجارية الآن يضع في يده مفتاحاً للوقوف على
تاريخ الكرة الارضية المتوغل في القدم ومما يسهل عليه عمله ويجعله قرين الدقة والصواب
درس آثار النباتات والحيوانات التي يراها في الطبقات الصخرية المختلفة

ففي عصرنا هذا نرى كثيراً من الاصداف والاسماك وغيرها من الحيوانات البحرية
تدفن في الطمي الذي تحمله الانهار الى البحيرات والمصابير ويسب فيها طبقات متركة .
كذلك نرى مياه الانهار تحمل آثار الحيوانات البرية وجذوع الاشجار وغيرها من آثار النباتات
ونشاهد الزلازل تخفض السهول بما عليها من كائنات نباتية وحيوانية فتغمرها المياه ثم تغطي
الطبقات الحية بطبقات من الطين والرمل والحصى التي ترسبها المياه . وعلى مر الزمان
تتججر اي تصير طبقات صخرية . فدرس الآثار التي نراها في مختلف الطبقات دليل الى
الاحوال التي كونت فيها . هل كانت الحيوانات والنباتات برية او بحرية ؟ استوائية او من المنطقة
المعتدلة او من المناطق المتجمدة ؟ وكما تحفظ آثار النباتات والحيوانات في الطبقات الراسبة الآن
كذلك حفظت آثار النباتات والحيوانات المتوغلة في القدم . ولما كانت النباتات تختلف فمنها
ما يمتاز به بقعة جافة وغيرها ما يمتاز به مستنقع وغيرها ما يمتاز به ناحية جبلية فلذا نجد في
معرفة صفات هذه الآثار في الصخور سبيلاً الى معرفة الاحوال التي كانت تعيش فيها . وما
يصدق على النباتات يصدق على الحيوانات ايضاً . فاجناسها مختلفة والبيئات والعصور التي كانت تعيش
فيها هذه الاجناس مختلفة ايضاً وكل جنس بل كل عائلة منها له مميزات خاصة في هيكله وبناء
جسمه . فمنها ما هو معد للجرى او للطيران او للسباحة . ومنها ما يأكل النباتات او اللحوم
وحين موازنة الآثار المتحجرة بما يعرف من اجناس الحيوانات العاشية الآن نستطيع ان

نكون فكرياً دقيقاً عن احوال المعيشة في العصور السابقة

اذا سار الجيولوجي على هذا النمط من البحث والدرس والموازنة تبين له انه يستطيع ترتيب الطبقات التي تتألف منها قشرة الارض ترتيباً متعاقب فيه الطبقة تلو الطبقة تعاقباً منتظماً. فيعرف انه اذا عثر على الطبقة الواحدة لزم انه يعثر تحتها على طبقة معينة اخرى ويستنتج على وجه من الدقة ان فوقها كانت طبقة اخرى معينة كذلك. ويستطيع ان يعرف من هذا النظام الذي يضعه، آثار النباتات والحيوانات التي يجب ان يجدها في كل طبقة من هذه الطبقات مما تميز به عن غيرها. فحتى عرف هذا التعاقب على وجه من الدقة تعين عليه ان يعرف مدى هذا التعاقب اي الزمان الذي انقضى قبل تكون كل طبقة من هذه الطبقات. واي الطبقات اقدم من غيرها وما مدى هذا القدم والادلة على ذلك. وما هي الآثار النباتية والحيوانية التي تميز كل طبقة عن اختها. واين توجد هذه الطبقات على سطح الارض. ومن معرفة هذه الطبقات او المكونات الجيولوجية يستطيع الجيولوجي ان يستخرج تاريخاً للكرة الارضية. وقد يكون هذا التاريخ غير كامل او غير دقيق ولكن المبادئ الاساسية التي يبنى عليها كافية لان تبين اهم التطورات التي مرت على الارض منذ تكوينها — على قشرتها اولاً وعلى انواع نباتاتها وحيواناتها ثانياً

فغاية الجيولوجي القصوى هي ان يضع بياناً دقيقاً لكل التغيرات التي طرأت على سطح الكرة من اقدم الازمان التي وجدت فيها الطبقات الصخرية الى الآن في البر والبحر وان رسم صورة صحيحة لانواع النباتات والحيوانات البائدة وان يبين صفاتها والاحوال التي عاشت فيها — فاذا تم له تحقيق هذه الغاية كان ذلك من اكبر انتصارات العلم الحديث

ولعلم الجيولوجيا علاقة بالعلوم الطبيعية كلها اوجها. فهو يتصل من جهة بعلم الفلك حيث يتناول اصل الارض ونشوءها وعلاقتها بالشمس وسائر السيارات التي تتألف منها النظام الشمسي. ويتصل بعلم الكيمياء حينما يبحث عن المواد التي تتألف منها الارض والعناصر التي دخلت في بناء الصخور. ويتصل بعلم الجغرافية الطبيعية حين يتناول توزيع اليابسة والبحار على سطح الكرة الارضية ومواقع الجبال والوديان. ويعلمي الانثربولوجيا والاثولوجيا حين يلم باحوال الاجناس البشرية من اقدم الازمان الى الآن وقدمها وتفرقها والعوامل التي افضت الى ذلك. ويعلمي النبات والحيوان حين يدرس آثار النباتات والحيوانات المتحجرة الباقية في طبقات الصخور ويعلم الاقتصاد في كل ما يرتبط بالزراعة والتعدين وهندسة البناء والنيايح المعدنية والحجارة الكريمة وغير ذلك. وفي كل ذلك لا بد من ان يتصل بمبادئ علم الطبيعيات بنواميس الحرارة والضغط والسوائل والغازات والاشعاع وهلم جرا



صَوْرِبْدِيدَةُ مِنَ الْأَدِيبِ الْعَرَبِيِّ

فِي مَجْلِسِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ

بَيْنَ الْمُتَنَبِّيِّ وَابْنِ فَرَّاسٍ

« وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَلَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ شَاعِرَ إِلَّا أَبُو فَرَّاسٍ
وَحْدَهُ ، وَنَوَّلَا مَكَانَهُ مِنَ السُّلْطَانِ لِأَخْفَاهُ » « ابْنُ رَشِيقٍ »

نشأ المتنبي من أصل وضيع، فقد كان أبوه سقاء بالكوفة، ولم يمنعه أصله الوضيع من أن يتطلع إلى اسمي ما يتطلع إليه عظيم من مراتب السؤدد والرفعة، فجاء في طلب العلم صغيراً وانقطع عامين إلى الأخذ عن أعراب البادية، ثم أكثر من الاطلاع على الكتب والاستفادة من العلماء، حتى إذا أخذ بحظوه من العلم والأدب تطلعت نفسه إلى الأخذ بنصيبها من المجد واغتصاب الشهرة اغتصاباً من بين برائن الأسود. وكان يتقرب — في أول عهده — إلى إعيان عصره وذوي النفوذ فيمدحهم بقصائده، ليتخذهم سُلماً إلى ما تطمح إليه نفسه من العظام. وربما أثابه بعض ممدوحيه على إحدى قصائده بدينار واحد (١)

فلما اتصل بأبي العشائر — والي انطاكية — قدمه إلى سيف الدولة فكان ذلك بدء شهرته الضخمة التي لا نرى أبلغ في وصفها من قول المتنبي نفسه — :

وَتَرَكْتُ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلَ سَمْعُ الْمَرْءِ أَمَلَهُ الْعَشِيرُ

فقد بلغ المتنبي حظاً من الشهرة لم يكده يظفر به شاعر عربي — قبله أو بعده — فلا الدنيا وشغل الناس — كما يقول ابن رشيق — وعنى بشرح ديوانه أكثر من أربعين أديباً منهم المعري وابن جني وهما من تعرف علماً وأدباً وفضلاً. وكان المتنبي قبل اتصاله بسيف الدولة — كما يقول الثعالبي — « يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين الكركي والغنديل »

وقد صاحب سيف الدولة نحو عشر سنوات (٢) غمره فيها سيف الدولة بعبائنه الجزيل، كما افتن المتنبي في مدحه الذي خلده به بين ملوك عصره قاطبة، وأتق المتنبي أن يمدح

(١) قالوا أنه مدح على بن منصور الحاجب فلم يعطه إلا ديناراً واحداً على قصيدته التي أولها — :
« يَا بَنِي السُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبًا » والتي منها قوله : أَظَلَمَتْنِي الدُّنْيَا ، فَلَمَّا جَمَّهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا

(٢) التحق به سنة ٣٣٧ هـ ثم فارقه ودخل مصر سنة ٣٤٦ هـ

— بعد ذلك — من هم دون الملوك مرتبة ومقاماً فترفع عن مدح المهلبى والصاحب^(١) مع سمو منزلتيهما ، كما أتف أن يمدح غيرهما من الاعيان والامراء وكان في المتنبي صلف وعجرفة واعتداد بالنفس الى اقصى حد ، فكثرت اعداؤه وحاسدوه ، وكان كلما معن في احتقارهم والزراية عليهم ، أمعنوا في الكيد له وتلمس اليوب والسقطات . وكان من أسباب تعاليه عن الناس واحتقاره اياهم أنهم طالما عيروه بضعة أصله^(٢) وفاخروه بأحسابهم فتأصلت فيه طبيعة الاحتقار لهم والحقد عليهم^(٣) ولعل ابلغ ما يمثل لنا هذه الطبيعة الحاقدة من شعره هو قوله — :

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روى رحمة غير راحم

(١) وقد جلب على نفسه عداوة هذين الزعيمين باحجامه عن مدحهما وترفعه عنهما ، قالوا : « ولما قدم ابو الطيب من مصر — الى بغداد وترفع عن مدح المهلبى الوزير ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبى فاغرى به شعراء بغداد حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه . فلم يجبههم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك فقال — : اني فرغت من اجابتهم بقولي ان هو ارفع منهم طبقة من الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذى ومن ذا يحمل الداء المضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأته الماء الزلالا
وقولي : أفي كل يوم تحت ضيئي شويعر ضعيف يقاويني ، قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأنت من ناداك من لا تحببه وأغيط من عاداك من لا تشاكل
وما التبه طي فيهم ، غير انني بنيت الى الجاهل المتعاقل
وقولي : واذا أتتكم مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
قالوا : وقد ارسل اليه الصاحب — وقد طمع في زيارة المتنبي اياه باصهار واجراءه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان — وهو اذ ذاك شاب ولم يكن قد استوزر بعد وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وتضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه على كتابه ولا الى مراده وقصد عضد الدولة قالوا : فاتخذ الصاحب غرضاً يتلمس سيئاته وهو اعرف بحسناته .

(٢) وقد عيره بذلك حتى بعد أن وصل الى ذروة الشهرة فن ذلك قول بعض الشعراء :
اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
حاش حيناً يبيع بالكوفة الماء ، وحيناً يبيع ماء الحيا
على ان المتنبي كان يعترف بأن أصله وضعيع وان فخاره بنفسه لا بأبائه ، وقد اشار الى ذلك عدة مرات يجزي منها بقوله في رثاء امه — :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد كان أباك الضخم كونك لي أما
وقد قلد فيه قول ابن الرومي في ابني الصقر — :

قالوا ابو الصقر من شيان قلت لهم كلا لعمرى ، ولكن منه شيان
كم من أب قد علا بآب ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان
(٣) ملاء أبو العلاء المرعي لزومياته بدم الناس ، ولكنه لم يحقد على أحد بل كان يتوخى الاصلاح
وليشد التل الأعلى ، ولا كذلك كان المتنبي ، فقد كان كثيراً ما يحقد عليهم دون ان يتوخى اصلاحهم .

فليس بحر حوم اذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بأثم^(١)
ولقد كان المتنبي شديد الاثرة بعيد الانانية ، لا يعنيه الانفسه ، يرى كل من في الوجود
مستخراً له وحده . فالملوك لم يخلقوا الا ليغمره بجاههم ومالهم . والجماهير لم تخلق الا لتتلف
له وتملاً الدنيا عجائباً بشعره ، وعلماء عصره لم يوجدوا الا ليناقشوا اقواله ويفردوا له الشروح
العديدة ، وشعراء العربية قاطبة لم ينظموا الا ليتخير من معانيهم الرائعة ما يحلو له أن ينظمه
ويضعه في صيغته النهائية فكأنما هم يهثون له « مشروعات قوانين » ليصدرها — بعد ذلك —
لناس مراسيم
وهو في اكثر المعاني التي يسطو عليها — كما يقول الثعالبي — : « بأخذها عباءة ويردها
ديباجاً ويرسلها مثلاً سائراً » . والحق أنك تقرأ شعر المتنبي فتحس كأن صوت القدر يملئ
على الناس قوانين الحياة املاء

أما أبو فراس فقد نشأ من طبقة الارستقراطية وبيت الملك — وهو على قرابته
من سيف الدولة — شاعر فياض بالشاعرية واسلوبه — في اكثر شعره — في أعلى طبقات البلاغة
وهو من أحب الشخصيات واطرفها ولشعره جمال رائع لعنايته بتخير اللفظ وحسن الاداء
وصدق العاطفة . وقد حكى النقاد بتفوقه على ابن المعتز في الشعر ، وصدقوا في حكمهم كل الصدق ،
فقد أفاد الاسر شاعرية إبي فراس وانطقه الالم بأروع وابدع ما يقوله شاعر مجيد^(٢)
قالوا : « وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترى
على مجاراته ، لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالاً ، لا إنغلاً
واخلالاً »

فأما أن المتنبي كان يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترى
على مجاراته ، فيرجع الى قرابة إبي فراس من سيف الدولة وما تجره عداوته على المتنبي من التكبكات .
فقد كان سيف الدولة — كما يقولون — « يعجب جداً بمحاسن إبي فراس ويميزه بالاكرام
على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في اعماله » . والمتنبي أحصف من أن
ينبري لمجاراة من هذا شأنه ، وأجدر أن يتحامى جانبه ويشهد له بالتقدم والتبريز

(١) ومن هذه القصيدة قوله — :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

وأن ترد الماء الذي شطره دم فتسقى ، اذا لم يسقم من لم يزاحم

(٢) وقع أبو فراس في قبضة الروم اسيراً مدة اربع سنوات ، وقال في اسره أحسن ما قرأناه له

من الشعر صدق عاطفة واحكام اسلوب ودقة أداء . وليس يتسع هذا المقام للاستشهاد بشيء من ذلك

وأما أن المتنبي « لم يمدح أبا فراس تهماً واجلاً » فهو كلام يجمل بنا أن نفهمه على وجه الصحيح ، فهو بلغة الساسة أشبه ، وماذا ينتظر معاصروه أن يعلل ترفعه عن مدح أبي فراس . وبم يحسبهم إذا سألوه : — « لم يمدح أبا فراس وقد مدحت من دونه من آل حمدان ؟ » . أكان يقول له : « إني لم أمدحه اغفلاً واخلاً » أم يقول لهم : « إن شعره لم يعجبني » . أم يصارحهم برأيه الذي اضطر إلى الإفشاء به — بعد ذلك — حين صرح الشر وانكشف الغطاء فقال : —

« أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم »
 ليس أمامه ما يزعمه إلا أن يقول إنه يتهميه . ولو أن سائلاً خيئاً همس في أذنه : —
 « وكيف مدحت سيف الدولة اذن ؟ ألا تهميه أيضاً ؟ »
 لما أجابه المتنبي حينئذ بكثرة من ابتسامه الهازيء العايب أو اعراضه المتخلص الهارب . وكيف رضى بهذا التعليل الذي يقع به الثعالي وغيره ، ونحن نرى المتنبي قد مدح من أسره حمدان من ثم دون أبي فراس مقاماً كما مدح سيف الدولة وهو رأس الأسرة الحمدانية وأجدر بالتهيب والاحلال أن كان المتنبي ممن يتطرق إلى نفسه تهيّب أو اجلال لكائن من كان لقد كان أبو فراس شاعراً ، وشاعراً فخلاً ممتازاً ، وحسبك بهذه الميزة سبباً ينفر المتنبي من مدحه . ولا تنس أن المتنبي كان يتطلع إلى حمل لواء الزعامة الأدبية في عصره ويرى أن ذلك أيسر ما يجدر به أن يفعله ، لأن نفسه الوثابة كانت تتوق إلى ما هو اسمى من زعامة الشعر واعظم خطراً ^(١)

فكيف يشيد بذكر شاعر كأبي فراس يزاحمه في زعامة الشعر ؟ ^(٢)
 الحق أن المتنبي وأبا فراس لم يكن من سبيل إلى التأليف بينهما ، فقد كان أبو فراس يرى في المتنبي رجلاً من السوق رفعة الشعر درجات فوق ما يستحق ، كما كان المتنبي يرى في أبي فراس أميراً ذكياً رفعت الامارة من شعره درجات فوق ما يستحق وأكسبته شهرة في الأدب لم يكن ليصل إليها لولا قرابته ومكانته من سيف الدولة . فكان ينطبق عليهما قول

(١) كانت نفس المتنبي تطمح إلى الملك أيضاً ، وقد أشار إلى ذلك مراراً نجتزئ منها بقوله خاطباً كافور الاخشيدي : —

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا

فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً لسائك الفرد الذي جاء عافياً

(٢) ولقد كاد يخلعه المتنبي فيمن أخل من شعراء عصره المرزبن وليس ادل على ذلك من نصدي جهرة كبيرة من الشارحين والناقدين والمادحين له حتى طبقت شهرته الآفاق وملأت الدنيا في حين لم يصل أبو فراس إلى شيء يذكر من هذه الحفاوة العجيبة

ابي الاصبع العدواني : — « نخالي دونه ، بل خلته دوني »

فأبو فراس يرى فيه ابن سقاء مزهواً بشعره شامخاً بأنفه الى السماء متعالياً في غير جدارة بالعلاء بالغاً من سيف الدولة مكانة لم يبلغها سواه ، والمتنبي يرى فيه شاعراً ينافسه ويفار منه ويحسده على مكانته ويدني خصومه من مجلسه ، فبأي لسان يمدحه المتنبي؟ وكيف يشبه له أبو فراس أو يصفيه الود خالصاً؟

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد خلق المتنبي بسبب تعاليه وصلفه — كما أسلفنا — كثيراً من الحساد والخصوم وكان يزيد في حسدهم له ما يرونه من أقبال سيف الدولة عليه ، فلم ينوا عن الوقعة والدس وتخذوا من إدلاله على سيف الدولة ^(١) مطعناً ينفذون منه إليه

فهذا أديب يكيد له عند سيف الدولة فيقول له — حين ينشده إحدى قصائده وهو قاعد — :
لو أنشدتها قائماً لأسمع ، فإن أكثر الناس لا يسمعون » لينبه سيف الدولة الى سوء ادب المتنبي ، فيجيبه المتنبي على هذا الدس الحيث ببديهة الحاضرة الموفقة ، أما سمعت أولها : —
« لكل امرئ من دهره ما تعودا » فيخرس حاسده بذلك ^(٢)

وهذا شيخ يحسد المتنبي على عطاء أجزله له سيف الدولة حين قرأ قصيدته التي فيها قوله
يأبها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لا قبلي
فلا يطبق مغالبة حسده بل يظهره أمام سيف الدولة ، فيمنحه من العطاء ما يخفف به موجدته على المتنبي

وهذا ابن خالويه — مؤدب سيف الدولة وأحد شيوخ المدرسة القديمة في عصر المتنبي —
لا يألو جهداً في تنقصه وثلبه ، فقد كانت عداوتهما مزدوجة ، فهي عداوة بين متنافسين وعداوة بين مدرستين كذلك . فقد كان ابن خالويه زعيم الجامدين في اللغة والاوزاع وكان المتنبي زعيماً من زعماء التجديد فيهما جميعاً . كان ابن خالويه يرى نفسه خادماً للغة الامين ، وكان المتنبي يرى نفسه سيدها والمتصرف فيها والمجدد في اساليبها وأوضاعها ^(٣) . كان ابن خالويه يُعني نفسه بالقياس وتتبع ما ورد عن العرب وما لم يرد ، حينما كان المتنبي مطلقاً نفسه من هذه القيود ، يختار منهما ما يلائم ذوقه من الصيغ اللفظية والبيانية ، هازئاً بانصار الجلود من

(١) كان المتنبي كثيراً ما يمتدح نفسه في القصائد التي يمدح بها سيف الدولة فأتان بذلك حساده وخصومه عليه (٢) قالوا : ان المتنبي أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها « لكل امرئ من دهره ما تعودا » فلما ناد سيف الدولة الى داره واستأذنه إياها أنشدتها قاعداً ، فقال بعض الحاضرين — يريد أن يكيد أبا الطيب — : لو أنشدتها قائماً لأسمع ، فإن أكثر الناس لا يسمعون ! » فقال أبو الطيب — :

أما سمعت أولها : « لكل امرئ من دهره ما تعودا ؟ »

(٣) كان المتنبي يتخذ ابن الرومي نموذجاً في التجديد والالباب بالالفاظ والمعاني

بما صير به واثقاً من سلامة ذوقه وصفاء طبعه، ينشد هم هذا البيت الذي يعبر عن نفسه أحسن تعبير:
 أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم
 وليست خصومة هؤلاء المقرين عند سيف الدولة للمتنبي بالخطب اليسير، فقلما اعتورت
 السهام غرضاً إلا كلمته حتى يهي ما اشتد من قوته - وقد شعر المتنبي بخطر حساده ومنافسيه
 وظهر ذلك في بعض قصائده، ومن ذلك قوله لسيف الدولة: —

أزل حسد الحساد عني بكتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً
 وقد انتهت هذه الدسائس كلها بالنتيجة الطبيعية، فأحفظت سيف الدولة عليه، وجعلته
 بعرض عنه — بعد اقبال — وانتهت هذه المؤامرات المتوالية بتغريب المتنبي، ونفوره من
 سيف الدولة وسفره الى كافور، هرباً من هذا الجو الموبوء بالدسائس والمكائد الخبيثة
 ويظهر لنا أن اعداء المتنبي افلحوا في تنفير أبي فراس منه قبل أن يفلحوا في تنفير
 سيف الدولة، وكان أبو فراس — كما اسلفنا — مستعداً لذلك. فلما امتلأت نفسه حقداً
 على المتنبي، تولى الكيد له عند سيف الدولة الذي يحبه ولا يرد له قولاً

قالوا: وكان أبو فراس يقول لسيف الدولة: « أن هذا المتسمى كثير الدلال عليك، وأنت
 تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد، ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين
 شاعراً يأتون بما هو خير من شعره^(١) ». وثمة امتلات نفس سيف الدولة بأمثال هذه اللواشايات
 فأعرض عن المتنبي وظهر اعراضه وانحاجلياً في ثلاث مناسبات: اولها: حين عاد المتنبي اليه بعد
 ذلك — وكان غائباً. والثانية: حين أنشده قصيدته الرائعة التي اولها « واحرق قلباه من قلبه شمع ».
 والثالثة حين ناظره ابن خالويه في مجلسه

(١) — اعراض الاول

قالوا إن المتنبي لم يكذب بل بلغه اعراضه ويعترف سره حتى دخل عليه وانشده قصيدته التي يقول
 وما لي اذا ما اشتقت ابصرت دونه تنائف لا أشتاقها وسبابها
 وقد كان يديني مجلسي من سمائه أحدث فيها بدرها والكواكب
 خانيك مسئولاً، ولييك داعياً وحسي موهوباً وحسبك واهباً
 أهذا جزاء الصدق، ان كنت صادقاً أهذا جزاء الكذب ان كنت كاذباً؟
 وان كان ذنبي كل ذنب، فإنه محاذ الذنب كل المحو من جاء تائباً
 قالوا: فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كما دته، فخرج المتنبي من عنده متغيراً
 [للكلام بقية]
 كامل كيلاني

(١) لملك تلمح في هذه الجملة رأي أبي فراس في المتنبي، وهو يؤيد ما ذكرناه من قبل

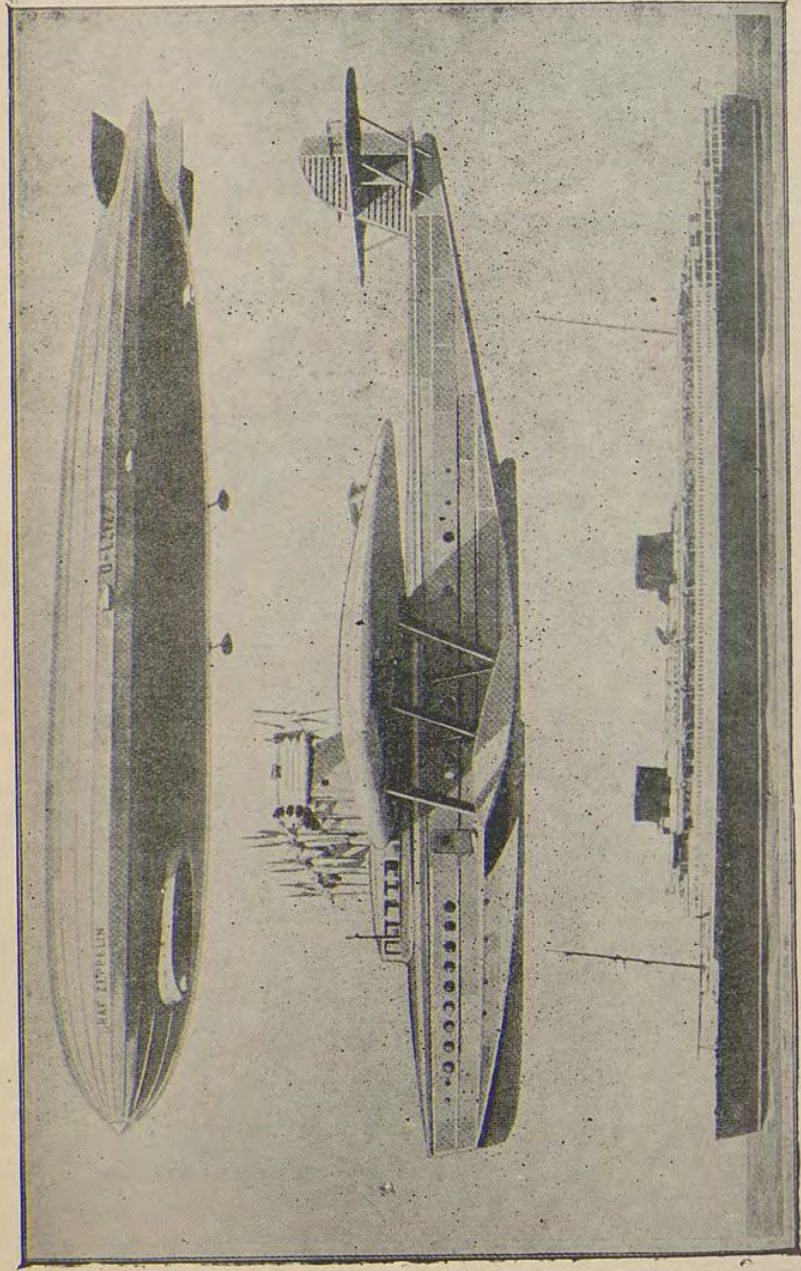


خيل الكهربية المتمردة

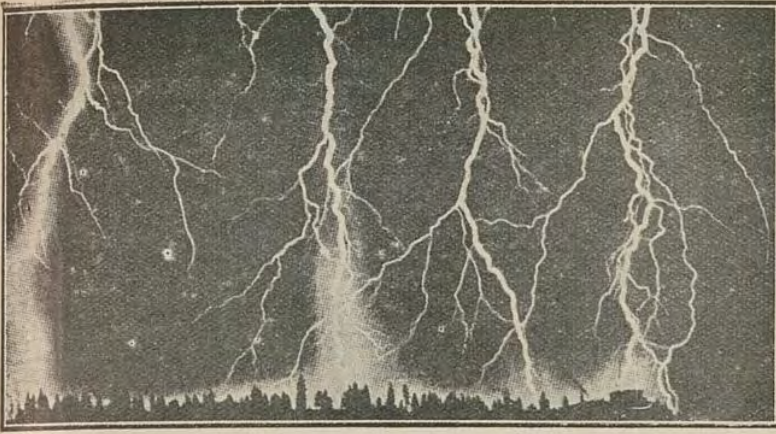
هل يستطيع العلماء ان يكبحوا جماحها ويتقوا اخطارها
الصواعق والبروق في خدمة الانسان

لمع البرق وقصف الرعد وانقضت الصاعقة فاصابت منزلاً مبنياً بالطوب والخشب فشقت جدرانهُ واطارت خشبه شظايا وكسرت زجاج نوافذهِ والقت الرعب في قلوب السكان. وانقضت صاعقة اخرى فاصابت عمود تلغراف فطحنته طحناً وغارت في الارض فغطت صدوقاً من صناديق التلفون فقطعت المواصلات التلفونية. واخرى في ناحية مجاورة عطت النور الكهربائي واخرى نزلت في مخزن من مخازن التبن فاحترق وارتفعت لهبهُ في الفضاء رغم المطر الشديد هذا بعض ما تفعله البروق والصواعق في ناحية من انحاء ارض كل ساعة من الزمان. فقد ذهب علماء الظواهر الجوية الى ان ٤٤ الفاً من العواصف البرقية تنور كل يوم على سطح الارض وان نحواً من مائة صاعقة تنقض في جو الارض كل ثانية من الزمان ان معرفة الانسان بالبرق والرعد وانقضاء الصواعق قد اتسع نطاقه اتساعاً عظيماً منذ قام فرنكلن الاميركي واثبت بطيارته ان الصاعقة انما هي في الواقع شرارة من « النار الكهربائية ». ومع ان العلماء والفلاسفة لم يوفقوا بعد الى معرفة حقيقة هذه النار الكهربائية فقد كشفوا كثيراً من الحقائق والنواميس التي تربط بتصرفها وبرعوا في توليدها والسيطرة عليها واستعمالها لمختلف الاغراض. انهم ينتقلون بها ويستتبرون بها ويطحنون بها ويطوقون الارض باخبارهم وصورهم بها

ولقد وقف مهندسو اميركا الكهربائيون وقهم وجهدهم في السنوات الخمس عشرة الاخيرة على درس الصواعق والبروق حتى كاد هذا الميدان من ميادين العلم يصبح خاصاً بهم. والسبب في ذلك اتساع الصناعات الكهربائية في الولايات المتحدة اتساعاً لم يسبق له مثيل من قبل. فالشركات الكبيرة تنفق السنة ١٦٠ مليوناً من الجنيهات لتوسيع نطاقها واذا تمّ لاميركا انشاء البرنامج الكهربائي العظيم — توليد الكهرباء في اماكن خاصة حيث توليدها سهل ثم نقلها على الاسلاك من هذه المراكز الى كل انحاء البلاد — وجب على علماءها ان يتدعوا طرقاً للمحافظة على الاسلاك التي تنقل هذه القوة الكهربائية العظيمة من انقضاء الصواعق عليها وتدميرها. لذلك نرى طائفة من المهندسين المختصين بالبحث الكهربائي يحاولون النفوذ الى اسرار الصواعق والبروق ليكشفوا عن سبيل لكبح جماح خيلها المتمردة وقد وقفوا في بحوثهم



منشآت ألمانيا الجارية . (فوق) البون غراف زبلين (وسط) الطائرة الجديدة التي
تسعى ١٢٠ وراكباً (تحت) الباخرة برمن وهي أسرع البواخر



صورة فوتوغرافية لبروق متعددة لمعت في آن واحد



شرارة برق مصطنع في المعمل
الكهربائي . وقد تمكن العلماء
من توليد شرارة طولها ٢٠ قدماً

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩

أمام الصفحة ٤٣٩

صورة فتغرافية لبرق طبيعي قوته
تفوق كل ما تولده معامل القوة في
أمريكا عشرات الاضفاف



الى حد كبير. فقد قاسوا الضغط الكهربائي العظيم الذي تولده الصواعق وصوروا البروق بآلة
تؤخر في أسرع من البرق نفسه. ثم آو الى معاملهم واخذوا يولدون صواعق مصغرة فيها ليدرسوا
مفاتها وميزاتها وليحاولوا ابتداء الطرق للسيطرة عليها كما يفعل علماء الحياة بالمكروبات على
اختلافها. فهم يعرفون الآن عن الصواعق حقائق كثيرة كانوا يحفلونها من عقد واحد. ولكن
هل يستطيعون على سعة علمهم وشدة براعتهم وجراثيم ان يكبحوا جماح صاعقة واحدة منها
قد يبدو هذا السؤال غريباً حين ننظر الى فتوحات العلم الحديث. ولكن الغرابة تقل
حين تعلم ما في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية العظيمة. فأكبر المعامل الاميركية
الوليدة للكهربائية هو المعمل القائم على ضفة شلالات نياغرا الذي يولد من الكهرباء ما قوته
مليون حصان واربعمائة الف حصان. واذا جمعت القوة الكهربائية التي تولد في معمل نياغرا
وسائر المعامل الموائدة للكهربائية في اميركا لم تبلغ مائة مليون من الاحصنة. ولكنك تجد
في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية ما يقاس بالوف الملايين من الاحصنة

فالعلماء الذين لا يميلون الى الغلو والاغراق في تقديرهم يذهبون الى ان متوسط القوة
في صاعقة واحدة لا يقل عن الف مليون من الاحصنة. وهذه القوة تفوق كل القوة
التي تولد في كل المعامل الكهربائية والالات البخارية والالات الاحتراق الداخلي في المعمورة
افرض اننا نستطيع ان نكبح جماح هذه الاحصنة المتمردة ونسلب عليها ونجرها
على الاسلاك طوع امرنا فتير بيوتنا ومعاملنا وتدير دولاب العمل في مصانعنا وتسير
نظاراتنا وتغذي الادوات التي تنظمها مخاطباتنا السلكية واللاسلكية افلا يكون هذا العمل
العظيم جديراً بعصر الكهربائية؟ فينقضي عهد الفحم والماء المنحدر ونصبح وفي استطاعتنا
ان نسمد قوتنا من البوارق. ولكن علينا قبل كل شيء ان نقبض على اعنة هذه الخيل المتمردة.
واذا فرضنا اننا نستطيع ذلك فهل نجني منها فائدة توازي العناء الذي تسكبه النفقات التي تنفقها
الباحثون في هذا الموضوع مختلفون. وسبب اختلافهم ان الزمن لازم في تقدير القوة
كلقوة نفسها. فالمعامل لا تستطيع ان تستعمل القوة الكهربائية الا اذا كان استعمالها مستمراً.
ان المعمل القائم عند شلالات نياغرا لتوليد الكهرباء يولد ما قوته مليوناً من الاحصنة
واربعمائة الف حصان توليداً مستمراً ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم. اما القوة المحصورة
في صاعقة فلا تستمر اكثر من جزء ضئيل من الثانية. فما هو مدى استمرارها؟ ليعين العلماء
ذلك يستطيعوا ان يعينوا مقدار القوة التي تستمد منها

وقد كان هذا العمل الى عهد قريب متعذراً. وكان العلماء مختلفين يترأوح تقديرهم لمدى البرق او
الصاعقة بين بضعة اعشار من الثانية وبضعة اجزاء من ملايين اجزائها. ولكن شركتين من

الشركات الكهربائية الأمريكية ووفقاً الى قياس مدى الصاعقة في صيف السنة الماضية بعدما صنع رجالهما مقياساً دقيقاً ابرته التي تتحرف عند انقضاء الصاعقة تيار من الكهارب منطلق في فراغ وهو سريع التأثير لزال الاحتكاك فيقاس به ما مداه عشرة اجزاء من مليون جزء من الثانية .. ومع ان قوة البرق والصواعق التي قيست في مكانين مختلفين كانت مختلفة جاءت نتيجة القياس في المكانين واحدة اذ ثبت للفريقين ان مدى الصاعقة يتراوح بين اربعين جزءاً من الف الف جزء من الثانية وخمسين جزءاً

وقد ثبت من قياس الشركة الواحدة ان قوة البرق بلغت اقصاها في نهاية الحصة الاجزاء الاولى من لمعانه ثم نقصت الى نصفها في نهاية العشرين جزءاً الاولى ثم زالت تماماً في نهاية اربعين جزءاً من مليون جزء المذكورة. فحسب المستر بيك مدير البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة ان شرارة برق طولها الف قدم تولد قوة ٤ كيلواط تستمر ساعة واحدة اي تستطيع ان تولد ما قوته اربعة احصنة وثلاث حصان مدة ساعة كاملة وهذا يكفي لاستعمال محمّرة الخبز الكهربائية يوماً كاملاً

ارأيت كيف تنقلص قوة ملايين الاحصنة حين يدخل عليها عنصر الزمان ! واذا اخذنا بقول علماء الظواهر الجوية ان مائة صاعقة تنقض كل ثانية في كل انحاء العالم ظهر لنا في البدء ان انقضاء الصواعق عمل مستمر ولكن متى علمنا ان كل صاعقة لا تستغرق اكثر من اربعين جزءاً من مليون جزء من الثانية ادركنا ان انقضاء الصواعق ليس فعلاً طبيعياً مستمراً . والمستر بيك يقدر ان كل القوة التي تولدها البروق والصواعق تولد مستمراً لا يزيد على القوة الكهربائية التي تتولد في معامل نياغرا

على ان مهندساً كهربائياً آخر من شركة وستنهوس استنتج بالحساب الرياضي من المعلومات التي جمعها شركته ان في كل صاعقة متوسطة قوة كهربائية تقدر بمائتي كيلو واط — ساعة اي بما قوته ٢٦٨ حصاناً مدة ساعة كاملة وهذه القوة تكفي لانهارة بيت مدى شهر كامل

اما الدكتور سمبسن الانكليزي من علماء مكتب الظواهر الجوية فيذهب الى ان قوة الصاعقة تفوق تقديري العالمين المذكورين وعنده ان القوة الكهربائية في صاعقة تساوي ٣٠٠٠ كيلواط — ساعة او قوة ٤٠٢٣ حصاناً مدى ساعة واحدة . فبرق واحد كل ساعة يولد قوة كهربائية تكفي ما يحتاج اليه مدينة سكانها مائة الف نسمة من القوة الكهربائية ليعتلف العلماء ما شاؤوا في تقدير القوة التي تضيع هباءاً حين لمعان البروق وانقضاء الصواعق وامكان حصرها واستعمالها في ادارة المعامل وانهارة المدن . ولكن لابد ان يجدوا سبيلاً اخرى الى الافادة من هذه القوة الطبيعية العظيمة . انهم يحملون منذ اعوام بحل الجوهر

الفرد واطلاق القوة التي تربط الكهارب بالبروتون. انهم يقولون ان كاساً من الماء تحتوي على قوة جوهرية تكفي لتسيير الباخرة لويثان من نيويورك الى انجلترا واعادتها. وبعضهم يرى ان البروق والصواعق قد تكون سبيلهم الى الفوز على الجوهر الفرد وتحليله واطلاق القوة التي فيه فمن المعلوم ان صاعقة منقضة تحدث اضطراباً عظيماً بين الدقائق التي تعترض سبيلها . فبتأين الهواء اي ان تيار الكهارب السريعة التي تنطلق من غيمة سلبية الى غيمة ايجابية نستخدم بدقائق الهواء فتمزقها وتطلق بعض كهاربها فينجم عن ذلك اتحاد بين عناصر الهواء على وجوه مختلفة ينتج عنه الاوزون والاكسيد النتروس والحامض النتريك . ويذهب بعض العلماء الى ان قوة الاصطدام بين الكهارب الصاعقة ودقائق الهواء يحول بعض اكسجين الهواء ونيتروجينه الى هليوم وهيدروجين . فاذا صح ذلك فان قوة الصاعقة التي تقدر بملايين الملايين من الاحصنة تدخل معقل الجوهر الفرد عنوة وتطلق قوته المذخورة فيه

ومباحث طائفة كبيرة من العلماء الكهربائيين متجهة الى هذا الموضوع فقد اعلن علماء معهد كارنيجي بوشنطن انهم صنعوا ادوات كهربائية تمكنهم من احداث شرارة كهربائية تماثل في ضغطها الكهربائي (Voltage) بروق السماء . وعينت طائفة من علماء الالمان من جامعة برلين بالذهاب الى جبال الالب السويسرية لمحاولة التقاط القوة الكهربائية من الفضاء حين لمعان البرق فامسوا مقاطعة على مقربة من لوغانو مشهورة بكثرة عواصفها ثم علقوا بين قتي جبليين سلكاً ضخماً في وسط شبكة من السلك مساحتها مئات من الامتار المربعة ووصلوا هذه الشبكة باسلاك الى بيت معدني اقاموا هم فيه لمراقبة المقاييس الكهربائية التي نصبوها فيه . وقد اسأف هؤلاء العلماء تجاربهم في هذا الصيف ولم تقف بعد على النتائج التي اسفرت عنها اما فعل العواصف المدمر فحدث عنه ولا حرج . فهي تقتل ٦٠٠ شخص كل سنة في الولايات المتحدة . وهي في بعض الولايات السبب الرئيسي لكثر الحرائق التي تقع فيها . والبروق تسبب ٣٠٠٠ حريق من حرائق الغابات وغيرها من الحرائق التي تحدث في آبار البترول . على ان اكبر جانب من الحسارة يقع على المعامل من جراء انقراض الصواعق على الاسلاك الكهربائية فمنع المعامل من مواصلة اعمالها وفي بعضها كصناعة اللستك لابد من هذا الاستمرار لنجاح العمل . وتدل الاحصاءات التي جمعت في ١٦٥ معمل ان عمل هذه المصانع توقف ٤٤٥٠ مرة بسبب تعطيل النظام الكهربائي الناشيء عن انقراض الصواعق . لذلك غني المهندسون الكهربائيون بدرس البروق والصواعق وغايتهم الاولى منع الضرر الناشيء عنها لاحتصرها واستعمالها على الوجه الذي اشرنا اليه . ويقول العارفون انه لا تنقضي سنوات قليلة حتى يصير في امكان المهندسين ان يقوا كل الاسلاك والاجهزة الكهربائية من الصواعق



كيف يحافظون على ثروتهم

الزراعية ويكافحون آفاتهما

تحذير موجّه الى الزراّع ووزارة الزراعة

زيارة واحدة الى بلنسية قلب المنطقة الأوربية التي تزرع الفاكهة وموطن البرتقال والتين والعنب تكفي لاقتناعنا بشدة الضرر الذي تلحقه الحشرات الفتاكة بالنباتات وتهدد به مصادر الثروة في تلك البلاد وغيرها

الشهر شهر مارس والأثمار التي لم يكمل نضجها بعد ملقاة على الأرض كوماً كوماً. وما بقي منها على الأشجار لونه أخضر شاحب يدل على المرض الذي نزل به، وعليه يقع وفيه ثقبون تشير الى أنه لاحق بما تقدمه. والجو مفعم بحفيف ملايين من الأجنحة وطنين الذباب وغيره من الحشرات الطائرة

هذا هو فعل ذبابة الفاكهة التي تعرف بذبابة البحر الأبيض المتوسط. وقد كان هذا فعلها من سبعين سنة الى الآن. فقد امتد ضرر هذه الحشرات الفتاكة الى بلدان أوروبا وأفريقية واتصل بالهند وأستراليا ووصل حديثاً الى الولايات المتحدة رغم الذرائع الفعالة التي توسلت بها حكومتها لمنعها فأخذت تنتشر في بساتينها وكان من أثرها ان جملة من البنوك الزراعية أفلست لأن عملاءها من أصحاب البساتين أصيبوا من هذه الحشرات في المقتل — في مصدر ثروتهم

على أن الحكومة الأميركية يقظة للخطر المحدق بزراعتها من هذا القليل. وقد خاض رجالها مع هذه الحشرات حرباً قد لا تقل شدة عن الحرب العامة. فهي تحاربها الآن بالغازات السامة والنار الآكلة والختادق والمصادرة وقد جردت لذلك نخبة علمائها ولا زال النتيجة معلقة في الميزان والمستقبل ملبداً بغيوم الفشل

من كان يدري أن حشرة صغيرة كذبابة الفاكهة ليست أكبر حجماً من الذباب العادي ولا هي مجهزة بأسنان قاضمة او مخالب فتاكة كبعض الحيوانات والحشرات، تلقي الذعر في روع حكومة قوية غنية كالحكومة الأميركية وشعب نشيط متيقظ كالشعب الأميركي. على أن هذه الحشرة الصغيرة شرهة كل الشره في امتصاص عصير الحياة من

الأمار وسريعة التوالد حتى يتكون من نسل ذبابة واحدة منها كتلة تفوق الأرض حجماً
إذا نركت تتكاثر بضع سنوات من غير ما يفتك بنسائها

شوهدت ذبابة الفاكهة المعروفة بذبابة البحر المتوسط اولاً في جزائر موريشوس
على شاطئ افريقيا الشرقي سنة ١٨١٧ وسنة ١٨٢٧ كانت قد اتصت بجزائر الازورس
وجزائر كناري وسنة ١٨٤٢ وصلت الى اسبانيا وحلت في بساتين البرتقال فيها . ولم
ينقض القرن التاسع عشر حتى كان قد انتشرت في كل البلدان التي تحيط بالبحر الأبيض
المتوسط من جبل طارق الى فلسطين ومن تونس والجزائر الى طولون وجنوب فرنسا
وابطاليا . وانتقلت مع الفاكهة التي تنقلها البواخر التي تمر البحار فوصلت الى غرب
أستراليا سنة ١٨٩٧ والى شرقها سنة ١٨٩٨ . واكتسحت البرازيل سنة ١٩٠٧ واتصلت
بجزائر هواي في وسط الاوقيانوسى الباسفيكي سنة ١٩١٠ والحال هبت الحكومة في كاليفورنيا
الى وضع الحوائل دون وصولها الى بساتين الفاكهة فيها ففازت في تحقيق غرضها

وخوفاً من ان تتصل ببساتين فلوريدا عهد الى وزارة الزراعة الاميركية في المراقبة
الشديدة لمنعها واصبح هذا العمل واجباً وطنياً في نظر الاميركيين . الا ان هذه الذبابة
كانت قد وصلت الى جزائر برمودا وهي الى الشرق من شاطئ الولايات المتحدة الشرقية
في اواسط القرن الماضي ولكن حكومة هذه الجزائر لم تسع سعياً ماً لمكافحتها والمرجح ان
وصولها الى فلوريدا كان عن طريق بعض المهربات من جزائر برمودا

كيف كشف عنها في اميركا

اتفق ان جماعة من الاصحاب وبينهم عالم من علماء الحشرات يدعى غودون كانوا
مسافرين في ٧ ابريل الماضي بولاية فلوريدا فاشترى سلاً من الليمون الهندي فلما فتح السل
استغرب الدكتور غودون ما رآه في الليمون الذي امامه من جفاف في ليه ووجود اقية
دقيقة متعرجة داخل قشره فخطر له ان ذبابة الفاكهة هي سبب ما شاهده فبعث في الحال امثلة من
الليمون الذي شاهده الى وزارة الزراعة بوشنطن لفحصه ولما علم رئيس قسم النباتات في ولاية
فلوريدا بذلك اسرع الى جمع امثلة من الذباب الذي يكثر في بساتين الليمون وارسلها بالبريد الجوي
الى وشنطن فتأكد علماء وزارة الزراعة ان الذبابة هي ذبابة الفاكهة الخطرة . وللحال دق
في اطراف البلاد ناقوس الخطر واتخذت الاحتياطات اللازمة لحصر لمنطقة التي ظهرت فيها
بؤاد الوباء . ولكن مقادير كبيرة من الفاكهة كانت قد ارسلت من هذه المنطقة الى جميع
اطراف البلاد بالسكة الحديدية وبسيارات النقل والسيارات الخاصة . فلما تناول العلماء
الفاكهة التي لا تزال على الاشجار وجدوها كلها مصابة ووجدوا كذلك الفاكهة المطروحة

على الارض مرتعاً اتخذته الذبان لالقاء بيضه فيه فنمت الحكومة في الحال اخراج الفاكهة من هذه المنطقة . ولم تنقض ساعات على تثبت الحكومة من وجود هذه الذبابة في فلوريدا وخروجها منها مع احمال الفاكهة الى غيرها من الولايات حتى ارسلت الرسائل البرقية الى وكلاء وزارة الزراعة في كل الولايات للبحث الدقيق عنها في البساتين وحصرها. فوردت انباء تشير الى ظهورها في ولايات اوهايو ولوزيانا ونيويورك ونورث كارولينا وتيسى . ولما كان من المتعذر حصر البلدان التي ذهبت اليها احمال الفاكهة من فلوريدا فقد تنقضي سنة قبلما تتمكن الحكومة من معرفة كل الاماكن المصابة الآن بهذه الآفة الفتاكة . وقد اجمع العلماء على امتداح اليقظة التي ابدتها الحكومة الاميركية وسرعتهما في اتخاذ التدابير لمكافحة الوباء

طرق مكافحتها

انحصرت المكافحة اولاً في المنطقة الموبوءة فحفرت الخنادق وطمرت فيها الاثمار والخضراوات المصابة التي التي فيها الذباب بيضه وغطيت بطبقة كثيفة من الحير والماء ثم بالزيت الحامى ووضع فوق كل ذلك غطاءً من التراب عمقه ثلاث اقدام . ولكن الاثمار التي كانت تسقط على الارض مصابة بهذه الآفة كانت اكثر مما تنسج له الخنادق على سرعة حفرها . وكان الهواء حافلاً بملايين من الذباب الذي اخذ يبحث عن مرتع آخر له لالقاء بيضه فيه بعد ما منع عن الاثمار التي كانت تطمر في الخنادق . كان الخطر محدقاً والزمن قصيراً والعلم ليس لديه وسيلة لمعالجة الحالة معالجة شاملة . فاشارت وزارة الزراعة باستعمال مادة حلوة فيها سم فتجذب الذباب اليها لحلاوتها فيأكلها فيموت . وكانت هذه الطريقة قد استعملت في جنوب اميركا ونجحت الى حد بعيد . وكانت المادة المستعملة نوعاً من الدبس تمزج به مادة زرينخية وترش على الاشجار وعلى الاثمار الملقاة على الارض

وأستعمل سيانيد البوتاسيوم المسحوق لتدخن به الاشجار . ثم نشرت على الارض ملاءات تغطيها فكان الذباب اذا استنشق الدخان يقع على الملاءات مغمياً عليه فيجمع ويحرق . وهكذا ترى ان المنطقة الموبوءة بذبابة الفاكهة اصبحت شبيهة بميدان من ميادين الحرب الكبرى — غمامات الدخان السام ترتفع في جوها وتدفع بين اشجارها ومئات السود يؤلفون فرقاً فرقا للقيام بحفر الخنادق وجمع الفاكهة وحرقها وطوائف من كشافة العلم متفرقة هنا وهناك للبحث عن المناطق المجاورة التي اتصل بها اثر هذه الآفة . ومن وراء هؤلاء كلهم جماعة العلماء بطبائع الحشرات وكانهم القواد في الحرب لا ينون عن ابتداء الخطط للهجوم ولا تأخذ عيونهم سنة الكرى . ومع كل ذلك خسرت بساتين فلوريدا ما قيمته ثلاثة ملايين جنيه في ثلاثة اشهر فقط اما ما خسرت سائر البلدان مدى قرن او بعض قرن فيفوق الحصر والتقدير

ومن المعروف لدى العلماء ان من الوسائل الفعالة لمكافحة الآفات الحشرية اختيار حشرة تلتهم الحشرة التي يراد مكافحتها وإطلاقها في البساتين التي تعيش تلك فساداً فيها. على ان في هذه الوسيلة خطراً كبيراً او تعرضاً لخطر كبير. ذلك ان الحشرة التي يؤتى بها للفتك بذباب الفاكهة مثلاً قد تنقلب عاداتها الغذائية فبدلاً من ان تلتهم الذباب تتحالف معه على التهام الفاكهة فيستفحل امرها وتتعدى مكافحة النوعين معاً. ثم ان الحشرة الجديدة لن تستطيع ان تهلك آخر ذبابة لأنها تنقرض قبل ذلك لقلّة الغذاء الذي يغذي به. فتعود الذبابات القليلة التي لم تنقرض الى التوليد والتكاثر.

وفعل الذبابة يكون على اشده قبيحاً تبلغ الذبابة اشدها اى حين تكون دودة شرهة تلتهم كل ما تقع عليه في طريقها. فان انثى الذبابة تحرق قشور الثمار والخضراوات الناضجة او التي قاربت النضوج وتدس تحتها بيضها. والذبابة الواحدة تستطيع ان تبيض اكثر من ٦٠٠ بيضة الى ٨٠٠ بيضة في اثناء حياتها. والجو الحار يطيل حياتها فيكثر ما تبيضه وبشد ذلك خطرها على الثمار. فقد عرف ذباب عاش حتى يجاوز عمره سبعة شهور

ومتى نقف البيض داخل القشرة تأخذ الدودة في امتصاص عصير الثمرة فتتقر امامها طريقاً لما وهذا منشأ الاقية المتعرجة التي تشاهد في داخل الثمرة المصابة. ويسهل القضاء على الدودة في هذا الدور بأخذ الثمار المصابة وحرقتها. وبعدها تقضي الدودة داخل الثمرة اثني عشر يوماً تشق طريقها الى الخارج وحجمها لا يزيد على حجم حبة حنطة فتقع على الارض وتمكث في التراب على عمق ثلاث بوصات احياناً الى ان تصير ذبابة طائرة. ومن اكبر الحوائل دون مكافحة هذه الحشرات مكافحة ناجحة سرعة اختفائها في التراب. فلا يكتفى حيثئذ بجمع الثمار المصابة الطروحة على الارض وحرقتها بل يجب معالجة التربة نفسها بالغاز السام او بالجير الحارق حتى ينف كل الدود الذي فيها قبل ان يصير ذبابة. ومتى انتقلت الدودة الى دور الفراشة وصارت ذبابة تبدأ الدورة من جديد فتخترق قشر الثمر وتدس بيضها تحته. والثمار التي قضى عليها الذبابة على غيرها هي الليمون الهندي والخوخ (الدراقن) والبرتقال والمango والكمثرى والكرز والتفاح والطماطم وغيرها وهي تفضل الثمرة الناضجة او القريبة النضوج على الثمار النجدة. اما الثمار التي قشرتها قاسية كالبطيخ والانايس فليست عرضة لفتكها. ولما كانت الزعة في مصر الآن متجهة الى الاكثار من بساتين الفاكهة فواجب على وزارة الزراعة والجمعية الزراعية المالكية والنقابة الزراعية ان تدبر هذا الموضوع حتى لا يكون غرس اشجار الفاكهة وسيلة لزيادة انتشار هذا النوع من الذباب بزيادة الغذاء الذي يغذي به وقد علمنا ان وزارة الزراعة تكافح هذه الحشرة مجاناً فحدير بالزرع التنبيه الى هذا الامر الخطير

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ وَتَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزواج والفحص الطبي

نشر هذا الفصل على ذكر التعليمات التي بعثت بها مصلحة الصحة الى المأذونين الشرعيين تطالب اليهم فيها تشديد النناية بالشهادات الطبية قبل منحهم الاذن بالزواج . فهذا عمل عمراني جليل ويجب التشدد كل التشدد في تطبيقه

هذه مقالة صريحة في موضوع عمراني حيوي ولا بد من مواجهة الحقائق في مثل هذه المواضيع . فكثيرون من الوالدين يرفضون أن يزوجوا بناتهم من رجال ادمنوا المسكرات مثلاً ولكن التقاليد المرعية تمنعهم أن يسألوا هل طالب الزواج مصاب بمرض خبيثٍ معدٍ . لذلك آثرنا نقل هذه المقالة المفيدة عن مجلة الدسكفوري العلمية ان الأحوال التي يطلب فيها من الشاب أن يفحص جسمه فحصاً طبيّاً دقيقاً وليحصل على شهادة طبية رسمية قليلة جداً أشهرها حين التأمين على حياته في شركة من شركات التأمين الكبرى فيفحصه حينئذٍ أحد اطباء الشركة . كذلك تطالب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطالب الانضمام الى مصاحبة من مصالحها . وهذا هو عمل القومسيون الطبي هنا . وفي بعض البلدان التجارية تطالب الشركات التجارية ذلك ممن يطالب الانضمام الى مكتب من مكاتبها البعيدة . وفي كل هذه الأحوال لا يحسب طاب الشهادة الطبية أو الفحص الطبي اهانة أو أمراً غريباً

وعلى الضد من ذلك نشاهد قلة الاهتمام بزواج فتیان هذا العصر وفتياتِه من الوجهة الصحي . فشركات التأمين لا ترضى ان تتعرض للتأمين على حياة رجل نحر في عظمه سوس

المرض والحكومات والشركات التجارية تطالب شهادة صحية لتؤمن على مصالحها إذ تعلم ان من يتولى السهر على تلك المصالح كفوء من الوجه الصحي . ولكن ما أكثر الرجال الذين تراهم مستعدين للتضحية بسعادتهم مدى الحياة لأنهم لم يهتموا بفحص صحتهم فحصاً طبيّاً دقيقاً والتأكد من أنهم صالحون للزواج

فمن الواجب أن تتخذ خطة جديدة في أمر الزواج . وكل الذين على اهتبه سواء كانوا رجالاً أو نساءً وكل الآباء يجب أن يطالبوا بحق لهم وهو الوقوف على حالة طالب الزواج الصحية وهل هو سليم من الأمراض المعدية على اختلافها . فما من شاب يجرب أن يخفي عن حميه حالته المالية مع ان الأسئلة التي توجه إليه في هذا الموضوع تحسب محلة بالباقة ولكن الأمور الصحية أهم بما لا يقاس من الأمور المالية

كثيرون لا يعيرون علم « اصلاح النسل » Eugenics اقل عناية لأنهم يرون ان قواعد التي تقضي بأن يكون المتزوجون من مستوى واحد في العقل والجسم والطبقة الاجتماعية وان عاطفة الحب الجنسي يجب ألا تكون الدليل الى الزواج وغير ذلك من الأمور التي لا يقبل بها العمران الآن . لكن لماذا تختلف على الأسماء والمسألة المهمة بسيطة جداً وهي ان علم الطب ارتقى ارتقاءً كبيراً وأصبح الطبيب البارع قادراً ان يشخص الأمراض المعدية بدقة تامة . وكثيرون من المصابين بهذه الأمراض لا يدرون انهم مصابون بها . لذلك يجب ان ينشأ رأي عام يقضي بفحصهم واذا كانوا مصابين يجب ألا يتزوجوا ما زالوا كذلك

فعلى والد كل فتاة أن يعرف هل زوجها العتيد مصاب بالسل مثلاً أو بمرض زهري . وذلك المعرفة في مصلحة ابنته وهي مما يسهل الحصول عليه

مكروب السل معروف شكله وكل بكتريولوجي يستطيع البت في هل هو في بصاق أحد أو لا . فاذا كان موجوداً فصاحب ذلك البصاق يجب ألا يتزوج لأنه اذا تزوج أعدى امرأته وأولاده ايضاً . والحوادث التي تؤيد هذا القول كثيرة

كذلك امتحان الدم يظهر بصورة لا تقبل الشك هل صاحب الدم مصاب بمرض زهري . ولا شك ان القاريء يستطيع ان يعدد الامثلة التي هدمت فيها سعادة عائلة اتصل بمكروب احد هذه الأمراض الحديثة الى افرادها لأن الوالد لم يهتم بفحص جسمه قبل اقدمه على الزواج

فالواجب يقضي إذاً على كل رجل شريف ان يكون على بينة من حالته الصحية قبل ان يقدم على الزواج . ولكن كثيرين من الرجال يصابون بمرض خبيث معد ولا

يدرون . لذلك يقع الواجب على والد الفتاة بأن ينبه صهره العتيد الى ذلك الأمر وان لا يكتفي بعد ذلك إلا بشهادة طبية رسمية . وذلك لا يعني أنه في حالة الإصابة يمنع عقد الزواج بين شاب وفتاة قد تحاببا بل يؤجل الزواج ما زال احدهما مصاباً وعلى المصاب ان يتعالج حتى ينال الشفاء التام وهذا ليس بالأمر المستحيل على الطب في هذا العصر وهناك مسألة الأمراض العقلية الموروثة وهي معقدة لا يسهل البت فيها كالسل وغيره . فقد تعلم فتاة ان خطيبها من والدين ماتا في بیمارستان المجانين وترفض الانفصال عنه وقد تكون في ذلك على حق ولكن خير لها ان تعرف ذلك قبل ان تعلن عزمها النهائي فان كون والديه مجنونين لا يستلزم انتقال الجنون اليه وهذا تشارلس لام احد كبار الكتاب عند الانكليز كان ابن معتوهين وأخاً لمعتوم

كذلك قد يظهر الفحص الطبي ضعفاً في القلب وقد يصاب صاحب القلب الضعيف بما يقعه عن العمل كل حياته . فيقول قائل ان زواجاً أبطل لهذا السبب يكون إبطاله مدعاة للخجل فنقول ان الاهتمام بمثل هذه المسألة يوازي الاهتمام بمسألة ثروة الخطيب على الأقل لم نذكر حتى الآن فوائد فحص المرأة فحصاً طبيّاً قبل زواجها لأن الرجل في الأسرة عليه المعول في اعاتها ولذلك يجب ان نغير صحتة التفاتاً كبيراً لكن على المرأة ان تعرف بعض الحقائق عن حالتها الصحية لئلا يكون زواجها مجلبة للتعب والألم والشقاء . فبعض النساء تعسر عليهن الولادة لسبب في تكوين اعضاء الولادة . وهناك بعض الأمراض الوراثية التي لا تنتقل إلا بالنساء أشهرها النزف الدموي ولكنه نادر جداً لا يهمننا بحثه هنا

فالحاجة اذاً جليلة غاية الجلاء وقد يأتي يوم يصبح الزواج المنعقد بين اثنين احدهما مصاب بمرض معد جريمة يعاقب عليها . والوالد الذي يهمل البحث عن صحة صهره العتيد باخلاص مسؤول لدى ابنته التي يحق لها ان تعتمد عليه في ذلك

العناية بالاطفال

صحة الطفل اساس المدينة

كريم — سمعتك تقول مرةً ان اساس المدينة قائم او يجب ان يكون قائماً على صحة الطفل وان ما تبذله الحكومات والجماعات والعلماء من مجهود في سبيل تحسينها وازدياد نضارتها إنما هو في الواقع تحسين في مظاهر المدينة وثبتت لدعائمها واني اقرّك على هذا الرأي واعتقد بصوابه ولكنني أنكر بشدة مذهب القضاء والقدر الذي لا يزال مع الاسف

نقطة أصيلة في نفوس معظم الامهات ممّا يرهن على أن هذا المجهود من الحكومات والجماعات والاطباء العلماء ضئيل يحتاج الى التوسع فيه ومضاعفة الأيدي العاملة على إذاعة مراميه من غير هوادة أو تردد

الدكتور — اما عقيدة القضاء والقدر فالأفضل ألا نذكرها في حديثنا لا بقليل ولا بكثير لقلقلة اصولها بنشر المعارف وتعليم الوالدات كيف يربّين اولادهنّ تربيةً صحيحةً الاساس سليمة من شوائب العادات السخيفة والعقائد الواهية
كريم — حسناً واذا خرجنا بمدوح الى النزهة فما هي الاحتياطات التي يجب اتخاذها ؟
الدكتور — ان لا تعرّضه للهواء العاصف وان تكون قدماء مغطيتين وان لا يقع على عينه نور الشمس في حالتي اليقظة والنوم

كريم — ما هي الفوائد التي يجنيها مدوح من النزهة ؟
الدكتور — انت تعلم ان الهواء النقي لا يوجد الا في الخلاء وهو ضروري لصحة الجسم وتقوية الدم وتنشيط دورته وحاجة الجسم اليه مثل حاجته الى الغذاء سواء بسواء
كريم — ما هي النتيجة التي تظهر على الاطفال اذا تعرضوا للهواء الطلق ؟
الدكتور — تتحسن قابليتهم للاكل وينتظم عمل الهضم وتتورد حدودهم
كريم — هل ثمة فائدة ما في ان يُعرّض الطفل للهواء كما تقدم ذكره محمولاً على ذراعي المربية وهو لا يزال دون الستة اشهر من العمر ؟
الدكتور — كلاّ يفضل كثيراً ان تتم له هذه النزهة وهو مسطح في عريّة اليد متدثر بغير معرض للبرد وعصف الهواء

كريم — اهانك ما يمنع ان ينام الطفل وهو في النزهة ؟
الدكتور — كلاّ فان الطفل وهو نائم ليس باكثر تعرّض للبرد منه وهو مستيقظ وترى الاطفال الذين ينامون في أثناء هذه النزهة اسلم بنية واقل استعداداً للزكام وغير الزكام من الذين لا يخرجون الى النزهة ولا يتسنّى لهم النوم في الخلاء
كريم — ماذا يصنع للاطفال الذين يصابون بالزكام بسهولة او كيف نقيهم من هذا الداء ؟
الدكتور — يجب ان يترّبوا على نظام صحي وان لا يلبسوا الثياب الثقيلة وان يناموا في غرف حرارتها معتدلة كما تقدم ذكره

وزن الطفل

ثم انتفت الى السيدة وطلب منها ان تقف على الميزان وحدها ثم هي وطفلها وبعد ان بُدئ نقل جسم الطفل وكتب له الدواء وزود والدته بالتعليمات قال لكريم : لا شك ان

الازدياد الى ان يبلغ الطفل ستة اشهر من العمر وثم يقل ازدياد وزنه الى ٦٠-١٢٠ غراماً كل اسبوع حتى آخر العام الاول

كريم — هل ازدياد وزن الطفل الذي يتغذى من اللبن الاصطناعي معادل لازدياد وزن الطفل الذي ينشأ على رضاع الثدي ؟

الدكتور — قلما يكون ذلك في الشهر الاول واما بعده فقد يصبح ازدياد وزن الاول مطرداً واذا حصلت له العناية التامة ازداد نموه عند انتهاء العام الاول عن نموه الثاني الذي ينقص وزنه بسبب الفطام في ذلك الوقت

كريم — لماذا لا يزداد وزن الطفل في الاسبوع الاول بعد ولادته ؟

الدكتور — لان معدته بحاجة الى وقت ما قبل ان تألف لبن البقر وتسيع هضمه ولا يلزمها في البدء الا القليل منه فقط كي لا يسوء هضمها ويختل نظام سيرها وفيما يلي جدول يبين معدل نمو الاطفال عند الولادة الى السنة الخامسة :-

عند الولادة يتراوح الوزن من ٧ الى ٩ ليبرا . والطول من ٢٠ الى ٢١ بوصة ودائرة الصدر من ١٣ الى ١٣ ١/٢ بوصة ودائرة الرأس من ١٣ ١/٢ الى ١٤ بوصة

وفي السنة الاولى يتراوح الوزن من ٢٠ الى ٢٣ ليبرا والطول من ٢٨ ١/٢ الى ٣١ بوصة ودائرة الصدر من ١٨ الى ١٩ ١/٢ بوصة ودائرة الرأس من ١٨ ١/٢ الى ١٩ بوصة

وفي السنة الثانية يتراوح الوزن من ٢٥ الى ٢٩ ١/٢ ليبرا والطول من ٣٢ ١/٢ الى ٣٦ بوصة ودائرة الصدر من ١٩ الى ٢٠ بوصة ودائرة الرأس من ١٩ الى ١٩ ١/٢ بوصة

وفي السنة الثالثة يتراوح الوزن من ٣٠ الى ٣٥ ليبرا والطول من ٣٦ الى ٣٩ ١/٢ بوصة ودائرة الصدر من ١٩ ١/٢ الى ٢١ ١/٢ بوصة ودائرة الرأس من ١٩ ١/٢ الى ٢٠ بوصة

وفي السنة الرابعة يتراوح الوزن من ٣٤ الى ٣٩ ١/٢ ليبرا والطول من ٣٩ الى ٤٢ ١/٢ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠ الى ٢٢ بوصة ودائرة الرأس من ١٩ ١/٢ الى ٢٠ ١/٢ بوصة

وفي السنة الخامسة يتراوح الوزن من ٣٨ الى ٤٤ ليبرا والطول من ٤١ ١/٢ الى ٤٥ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠ ١/٢ الى ٢٢ ١/٢ بوصة ودائرة الرأس من ٢٠ الى ٢٠ ١/٢ بوصة .

وقد ظهر ان معدل وزن الاناث يقل عن معدل وزن الذكور بنصف ليبرا واما طولهن فيقل عن طولهن بمقدار يتراوح حسب الاعمار بين ١/٢ و ١ بوصة .

كريم — اذا كان وزن الطفل عند الولادة ٧ ١/٢ ليبرا فماذا يجب ان يكون في خلال العام الاول ؟

الدكتور — يجب ان يكون من ١٢ — ١٣ ليبرا عند بلوغه الستة اشهر ومن ١٨ — ١٩ ليبرا عند بلوغه التسعة اشهر . وبوجه الاجمال يمكننا ان نقول ان وزن الطفل الصحيح

هذه خبر الطرق للتثبت من صحة الطفل وحقيقة سيرها

كريم — وهل لو وزن الطفل شأن يعدو عن معرفة كم رطل او كيلو وزن جسمه ؟
الدكتور — لا ريب ان وزن الطفل له شأن لا يقف عند هذا الحد بل يتعداه فيستدل به على صحة الطفل ونموه ويحسن بكل والدته ان تعنى بوزن طفلها في سنته الاولى وان تحتفظ سجلاً خاصاً تدون به وزنه ومن مراجعتها هذه السجل وما دون فيها من ارقام تقف على حالة ولدها الصحية وعلى مقدار تدرجه مدارج النمو

كريم — كم مرة يجب ان يوزن الطفل ؟
الدكتور — مرة كل اسبوع في خلال الستة اشهر الاولى ومرة كل اسبوعين في السنة اشهر الثانية ومرة كل شهر بعد ان يتجاوز العام الاول

كريم — ما هو معدل ازدياد وزن الطفل في سنته الاولى ؟
الدكتور — ينقص وزنه غالباً في الاسبوع الاول ويتراوح هذا النقص بين ١٢٠ و ٢٤٠ غراماً واما بعد ذلك فيزداد زيادة تتراوح بين ١٢٠ و ٢٤٠ غراماً ايضاً ويدوم هذا الحجم السليم البنية يصبح في الخامسة أشهر الاولى ضعفي ما كان عليه عند الولادة وثلاثة اضعافه عند انتهاء العام الاول .

كريم — هل يزداد وزن الاطفال الاصحاء ازدياداً منتظماً في السنة الاولى ؟
الدكتور — يكون ازدياد وزنهم منتظماً في الغالب إلا في بضعة أسابيع بين الشهر السابع والعاشر حيناً يبطل بالمرّة ويكون ذلك عند بدء ظهور الاسنان او في الايام الشديدة القئط .

كريم — هل يدل الازدياد السريع في الوزن على صحة جيدة ونمو منتظم ؟
الدكتور — كلا فقد يزداد وزن الاطفال الذين يغذون اللبن الصناعي مثلاً دون ان يزدادوا قوة وعافية وذلك لاسباب اذكرها فيما بعد

كريم — هل يدل وزن الطفل في السنة الثانية على حالته الصحية كما يدل عليها في السنة الاولى ؟
الدكتور — لا يكون ازدياد وزنه منتظماً بعد السنة الاولى وعدم انتظامه راجع الى اسباب معلومة تتعلق بفصول السنة والى اسباب لا تزال مجهولة

كريم — متى يجب ان يكون اليافوخ متلاصقاً ؟
الدكتور : يحدث ذلك غالباً في الشهر الثامن عشر ونادراً قبل الشهر الثالث عشر او الرابع عشر واما في الاطفال الاصحاء فقبل بلوغهم العام الثاني

الدكتور شخاشيري

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً لهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعده ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنناظره نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الاجاز تستنار على المطولة

حجة دمشق

وصلتنا هذه القصيدة العامرة مع خطبة تاريخية نفيسة موضوعها « الرازي » بعد ما طبعت اكثر ملازم المقتطف فرأينا ان نثبت القصيدة هنا مرجئين نشر الخطبة الى الجزء الثاني

أأليك ام لله كان ما بي دار العلوم وكعبة الآداب
أأليك ام لله كان ما بي امّ المشارق منزل الاجاب
بك زج بولس في السجون لعهد -- حارثك الكبير وفر بعد عذاب
واليك ساق ابو عبيدة فيلقاً للفتح فيه خلص الاعراب
فلال عيسى فيك ذكرى ذكرها حي مداه نهاية الاحقاب
ولال احمد انت غرة فتحهم من عهد نجمة قطبه الخطاب
الامان فداك ان نفذ القضا بمكاره كلج الوجوه صعب
اخلاص كل منهما لك كافل وجد الكنيسة فيك والمحراب

لله غوطتك الفريدة انها شتى الجمال وقصد كل طلاب
وشي الزمرّد في اعالي نبتها تمتد فوق اباطح وهضاب
وتثير ياقوت الثمار اصوله تسقى بفيض لحينها الذواب
بردى ومن يذكر عصابة جلق يذكر بني صياقة انجباب
بردى يصفق منذ حسان ومن ينزل به ينزل علي الترحاب

بردى امية انشأت في ارضه للعرب عرشاً مسبطاً جناب
والفخر والامجاد في شرفاته والذهر بعض عبيده بالباب
غنى ابن عائشة وانشد معبد فيه بذكر بثينة ورباب
دالوا. ليزكر كل ذي لبث بان المجد ليس بقينة ورباب

ما غيوا في الشرق حتى اطاعوا في الغرب ما لا يتلى بغياب
عصر المعارف والفنون ولا مع — الآثار والتأليف والآداب
لله آثار هناك مجيدة بل اي انقاض واي خراب
لتكاد تستمع ابن رشد مفتياً فيها امام جماعة الطلاب
وتكاد تستمع ابن زهر شافياً يحدو اليه العيس كل مصاب
وترى ابا العباس في مسباره عين البصير واصبع المرتاب
وتكاد تستمع في زواياها صدى انشاد واحد عصره زرياب
زرياب فأتان ارضها وسمائها شيخ الصناعة سيد الاطراب
وتكاد تستمع ابن يطار دق — ين دمشق يروي قصة الاعشاب

ارثا امية معرض بكلهما يدعو الى الاكابر والاعجاب
قد اثبتا صدق الوداد وجددا بين البنين وشائج الانساب
سمعا امية اندلوس وشاهدوا في الشرق ما يقضي بكل عجب
عادت نضارة ملككم بمعارف قد جددت للعلم اي شهاب
بعث نضارة ملككم بصناعة قد جددت للعصر اي اهاب
في عرض معرضها نفائس جمّة اخاذة بمجامع الالباب
يهتز فوق حريرها متلماً موج وما هو فيه غير سراب
ان المعارف ركن كل تمدن والسد فيه دون كل تباب
ان الصناعة ركن كل تمدن والسد فيه دون كل يباب
ان تختلف احزابكم في مأزق فعلى الصناعة كتلة الاحزاب
او تفرق نوابكم في مشكل فعلى المعارف وحدة النواب

أأكابر الاعيان فنية جلق وافاضل الادباء والكتاب

اوليتموني من جميل ضيعكم ما ليس يحصي حاسب بحساب
آثار جدكم سناها ساطع ما بين باب بريدكم والجابي

لا زلت جلق نبت كل كريمة للشام ركناً ثابت الاسباب
وكفالك فخراً اذ نزيلك يوسف وشارك فيه مدفن الفارابي

الدكتور

لوريا كلية الطب بباريس يوسف فرج حريز

من المصيب

للاستاذ بندلي جوزي

لا يسعني الا ان أشكر للكاتب عبد اللطيف الطياوي صاحب الرد على بعض افكار
ابديتها في مقالتي الاولى عن الخراج والجزية في الاسلام حسن ادبه ولطف عبارته ووقوفه
في رده عند النقد العلمي وامساكه « عن القراءة في القلوب » وسوء الظن الى غير ذلك مما
لا علاقة له بالنقد العلمي الصحيح. واني اؤكد لحضرته باني لا اقصد من كل ما اكتبه الا
الحقيقة على قدر ما تتكشف لي وتساعدني معارفي وحالة العلم على ادراكها. واني اكره
الجدل الباطل ولا اتعاض عن الحقيقة ان بدت لي في ابحاث غيري وليس لدي من الوقت
ما اصرفه في سبيله وهذا سبب امساكي عن الرد على اكثر ما نشرته مجلاتنا من النقد او
التقريظ السطحي لكتابي « من تاريخ الحركات الاشتراكية في الاسلام » وهذا ايضا
ما يدفعني الآن الى الرد على بعض اعتراضات الكاتب المذكور

ليسمح لي الكاتب الفاضل قبل ان انظر في اعتراضه الجوهري الوحيد ان ألفت نظره
الى بعض نقط ثانوية خارجة عن الموضوع الخلاف في بيننا وبعيدة عن الحقيقة. من ذلك انه
ينسب الي التطرف في التفسير للتاريخ الاقتصادي وهذا غير صحيح والا لحصرت كل اسباب
سقوط الدولة العربية في سوء سياستها الاقتصادية. وانما قلت ان هذه السياسة كانت « من اعظم
اسباب سقوطها » وفي ذلك تنبيه الى ان لهذا السقوط عوامل اخرى لم تكن بي حاجة الى
ذكرها. وهنا يجدر بي ان اقول لحضرة المنتقد ان التفسير الاقتصادي للتاريخ هو اليوم التفسير
الشائع في كل العالم المتمدن وبين العلماء على الاخص

ومنها قوله بعد ان اورد عبارتي عن خوى القرآن « بان الشطر الاول ليس بالجديد

عند الواقفين على آراء المستشرقين « وهو ايضاً غير صحيح لان اكثر المستشرقين على خلاف ذلك أي أنهم ينظرون الى القرآن نظرهم الى كتاب احكام وسنن مفصلة - وانا اعدّه - الا بضع سور منه - كتاب مبادئ واصول عامة وفي ذلك من الدفاع عن روح القرآن ومقامه ما لو فكر فيه حضرة المنتقد لما قال ان في عبارتي « من الغلو والبعد عن البحث العلمي المدعوم بالبراهين ما يجعلها غير جديرة بالمناقشة »

ومنها سؤاله كيف جوّزت لنفسى ان اقول ان « النبي العربي لم يفكر قط في بناء مملكة ضخمة » الخ وان اجزم جزماً بأنّ في معضلة خطيرة مثل هذه دون بحث او مناقشة « وجوابي على ذلك اني لم اذكر هذا الموضوع الا عرضاً في مقدمة مقالتي لانه بعيد جداً عن مضمون المقالة كما لا يخفى على القارئ ولم يكن بي حاجة الى الخوض فيه وابراد آراء العلماء لان في ذلك خروجاً عن موضوع بحثي ولا لي الا ان رغبة في ذلك لاني اخشى ان لا تتفاهم مع صاحب الرد فانا احاول ان ابني الحوادث التاريخية على نوااميس طبيعية يقبلها العقل وحضرته بيل الى الما وراء الطبعي كما يؤخذ من بعض عباراته . وليسمح لي ان احيله اذا احب التوسع في هذا الموضوع والوقوف على آراء اشهر المستشرقين فيه الى مؤلفات الامير كايثاني *Annali de Islam 725* والاساتذة *Grimm* « محمد » (جزء اول) و *Wellhausen* « الدولة العربية وسقوطها » و *Goldziher* « ابحاث اسلامية » (ج اول ص ٧٣ —) و *Lammens* « معاوية » (ص ٤٣٤ —) وغيرهم . ولیمذري ان اقصر كلامي على بعض ملاحظات تتعلق بأسلوب البحث اكثر منها بموضوعه

قال صاحب الرد « ولعله (الضمير يرجع اليّ) تابع في ذلك السير *W. Muir* والبرنس *Caetani* — وهنا ذكر آراء الكاتين المذكورين (لكنه لم يذكر اسمائهما ولا صفحاتهما) وختم عبارته بقوله « فاذا كان الاستاذ قد جاراها في هذا الزعم او انه توصل الى النتيجة ذاتها بنفسه فمن الواجب العلمي ان يذكر آراء هذا الرأي عدة آراء تناقضه فذكر على سبيل المثال منها آراء الدكتور غولدزير والسير ارنولد « فاقول لحضرته اني اعتدت اذا اقتبست رأياً او عبارة ان اذكر مصدرها بالتدقيق كما يرى القارئ في جميع كتي ومقالاتي العلمية وانه ليسرني جداً ان فكري الذي يعترض عليه حضرة عبداللطيف الطياوي جاء موافقاً لآراء الكتبة المذكورين آنفاً وبينهم غولدزير ايضاً الذي لا اعلم لماذا استثناء حضرة المنتقد من جملة علماء الفرقة الاولى الذين ينكرون على النبي العربي رغبته او تفكيره في بناء مملكة واسعة الاطراف تشمل العالم القديم المعروف فقد ذكر العالم الاخير في كتابه *Muhammed*

Studien (ج ١ ص ٧٣ ٧٤) وكتاب آخر « قراآت في الاسلام » ص ٣٤ من الترجمة الروسية الباب الثاني ان الفكر الذي يدافع السيد الطيباوي اختلقه الاعاجم او على الاقل بالغوا فيه وساعدوا على نشره بين الناس ليساواوا بينهم وبين العرب وقد تناولته الشعوبية ايضاً واعتمد عليه في مقاومتها للعصبية العربية وسيادة العرب المطابقة. امّا T. W. Arnold فاني لم اقرأ له شيئاً ولا ارشدني صاحب الرد الى كتاب له معلوم لاطالعه ولا هو ذكر صفحات الكتاب . . .

وبعد هذا التمهيد وبعد ان حذرني من سوء عاقبة التناسي ونبهه الى ان باب البحث « مفتوح على مصراعيه لمن يود ان يدرس بانصاف وتجرد عن كل غرض » اخذ يبني اعتراضه الجوهرى الوحيد على فكري المذكور ويؤيده بالبراهين التاريخية وغيرها فقال : « وفي معتقدنا ان القرآن اصدق نص تاريخي يمكن الاعتماد عليه كل الاعتماد عند البحث في حياة الرسول » وهذا الاعتقاد هو اعتقادي ايضاً واعتقاد اكثر مشاهير المستشرقين في الوقت الحاضر . ولو وقف حضرة المنتقد عند القرآن وحده ولم يعدده الى الحديث الذي لم يعد احد اليوم يعتمد عليه — بعد ابجاث غولدزير ولا منس — عند البحث في حياة الرسول لكانت حجته اقوى لأن الحديث يناقض بعضه بعضاً واكثره كما هو معلوم موضوع لغايات جدلية او مذهبية ناهيك عن ان اكثر الاحاديث التي ذكرها حضرة صاحب الرد هي من المرسل واسانيدها ضعيفة او مشكوك فيها كما ذكر الاحاديث التي تمزى الى الموالي وابي هريرة وابن العباس

فاذا اهملنا هذا المصدر المشكوك فيه بقي لدينا القرآن والشواهد التاريخية والاول اهم في بيان افكار النبي والدلالة على ما كان يرمي اليه من الأغراض السياسية وغيرها. ومن يطالع الكتاب العزيز « بانصاف وتجرد عن كل غرض » ويمعن النظر في الايات التي ذكرها صاحب الرد ويقابلها على غيرها ثم يراجع بعض التفاسير القديمة لا يسعه الا ان يؤمن على ما قلته في مقدمة مقالتي عرضاً من ان النبي لم يفكر قط في بناء مملكة واسعة كمملكة اسكندر والرومان الخ وان ابعد ما كان يرمي اليه ان تنتشر دعوته بين الأمة العربية وان تتوحد هذه الأمة سياسياً ودينياً وادارياً ولا يقدر في ذلك ما جاء في بعض الايات من العبارات المعممة في الظاهر للدعوة كقوله « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون » او قوله « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » لأن المراد هنا « بالعالمين » « وبالناس كافة » العرب فقط كما يظهر من

مناظرة هذه الآيات على غيرها من الآيات التي يسن فيها النبي نظره الأساسي الى دعوته وهو أنه بعث للعرب خاصة وان كتابه عربي ميين وان الله بعث ويبعث الى كل امة رسلا وانبيا من بينها حتى لا تكون لها حجة يوم القيامة الى غير ذلك مما بسطناه في مقالة خصوصية في هذا الموضوع نشرناها سنة ١٩٠٧ باللغة الروسية

ولكن هب ان نظرية النبي هذه قد تطورت مع الزمن وتحت تأثير ما احرزه من النجاح وهو ما لا ينكره اليوم احد وانه صار قبل وفاته يدعو « الناس كافة » الى الدخول في الاسلام افينتج ياترى من هذا انه كان ينوي ايضاً ان يشيد مملكة ضخمة نفق بين اضلاعها العالم القديم كله و« ان نشر الدين . . كان يتلوه عادة ملك سياسي لا صلة مباشرة له بالدين » كما يحاول ان يقنعا صاحب الرد ؟ نعم قد يكون ذلك لو سلمنا ان الاسلام لم يكن ليتشر الا بالجهاد وان دعوة النبي كانت قائمة عليه فقط وهو ما لا يقول به اليوم احد من كتبة المسلمين حتى ولا صاحب الرد الذي أحس بغلظه فزاد على الجهاد « الموعظة الحسنة وغيرها من ضروب الدعوة » ثم فسر كلمة جهاد بمعناها الاصلي لا معناها الاصطلاحي الفقهي كما يستفاد من عبارته « ان النبي كان يرى من الواجب عليه كرسول لبن الله ان يجاهد في سبيله لنشر الدين بين جميع الناس »

ان هذه الاعتبارات وان كثيراً غيرها مما لا يتسع المقام لذكرها تجعل آيات القرآن المذكورة غير حاسمة في موضوع الخلاف وكأني بصاحب الرد قد انتبه لذلك فسد الى التاريخ آملاً ان يجد فيه ما يؤيد نظريته الا انه لم يوفق — كما يظهر لي — الى ذلك لان ما استشهد به من الحوادث والاخبار التاريخية لا يفي بالغرض كما يرى لما يلي .

قال حضرته « واما التاريخ فيثبت ما جاء بالقرآن والحديث فالاصول ؟ العربية تجمع على ان النبي انفذ جيشاً تحت قيادة زيد بن حارثة الى مؤتة وهي تجمع كذلك على ان النبي قد بنفسه جيشاً الى تبوك والظاهر ان الرسول كان يمهّد السبيل لفتح عام لولا ان قبضه الله الى جواره » نعم ان هذه الاخبار صحيحة ونحن اول من آمن بها وصدق الا اتنا لا نستطيع ان نستنتج منها ما استنتج صاحب الرد لا تنال علم اليقين انه لم تكن بين الغزوات المذكورة وبين الفتوحات العظيمة التي قام بها خلفاء النبي بعد وفاته صلة مباشرة لان الغرض منها كما يقول كاتباتي كان امّا النهب (غزوة مؤتة سنة ٨ هـ) واما الدفاع (غزوة تبوك سنة ٩ هـ واما الاثار (غزوة اسامة سنة ١١ هـ) لا نشر الدين ولا « لتهييد السبيل لفتح عام »

« كما يظهر » لصاحب الرد والا لو كان الغرض منها نشر الدين فقط أو تمهيد السبيل لفتح عام لذكره المؤرخون واصحاب السير

واضعف من ذلك في الدلالة على صحة نظرية صاحب الرد برهانه التاريخي الثاني وهو قوله « ان النبي ارسل الى كسرى وقيصروا المقوقس والحارث امير غسان — ملوك العالم المعهود حينئذ وحكامه — يدعوهم فيها الى الاسلام » اذ المحقق اليوم عند مشاهير المستشرقين الذين طرّقوا هذا الموضوع ان هذه الارساليات من وضع كتبة الدور الاول لخلافة بني العباس بدليل ما فيها من التناقض والاغلاط التاريخية والسياسية والعنفسية والمنطقية وغيرها مما يجده القارئ المستزيد في كتاب الامير كايتاني (ص ٧٢٥ — ٧٣٧) والاستاذ Grimm المذكور سابقاً يؤيد ذلك ان ابن اسحاق صاحب اول واصلق سيرة النبي لم يذكر هذه الارساليات كما يستفاد من كلام ابن هشام الذي غير وحذف ما شاءت هواؤه من تأليف سلفه فإنه لما ذكر الارساليات لم يستشهد بابن اسحاق كعادته بل ساق الكلام عن نفسه وفوق ذلك فان الارساليات — ان سلمنا جدلاً ان النبي ارسلها عام ٦ للهجرة وهو في الحديبية اي قبل ان يوحد الامة العربية وينشر دعوته ولو في القسم الشمالي من الجزيرة وبعد ما لقيه من ابني سفيان والملا المكي من الكيد والمقاومة وما اصابه وقتل من الفشل الذي اضطر معه ان يعود الى المدينة ولم يقض واصحابه شعائر الحج — لا تدل الا على شيء واحد وهو ان النبي اخذ من ذلك الوقت يفكر في نشر دينه بين الامم المجاورة لبلاده بالاقناع والموعظة الحسنة لا في جمع هذه الامم تحت لوائه الابيض وتشديد امبراطورية ضخمة كما يريد صاحب الرد . على اني ارجح مع المستشرق Grimm ان فكرة انشاء دين جديد عالمي « للانس والجن » لا تظهر الا في العصر الاول للهجرة اي بعد الفتوحات الكبيرة التي فتحها بنو امية . فان صح هذا الرأي او بالاحرى هذا الافتراض كان ظهور الدعوة الدينية تابعا لظهور الامبراطورية العربية لا سابقا لها او عبارة اخرى ان الفتوحات الواسعة التي قام بها العرب في العصر الاول للاسلام هي التي اوحت هذه الفكرة لا ان الحروب ... التي هب الخلفاء الى اثارها على الامبراطوريتين القديمتين كانت من مظاهر هذه الدعوة » كما يرى صاحب الرد على اتنا لانبث الآن في هذه المسألة تاركين البحث فيها الى فرصة اخرى اذا حملنا على ذلك

باكو

الاستاذ پ . جوزى

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

بحث في التبغ وضرائبه

للمبر مصطفى الشهابي

مدير الاملاك بدمشق

«زراعته في الشام» ليس موضوعات هذه المحاضرة البحث في الارض الصالحة للتبغ وكيفية بذر زوره في المبت ونقل النباتات (الشتل) الى مستقرها وتهيئة التربة بالحرق والتسميد والبعد الذي يجب ان يترك بين النبات وكيف تزداد في التكوين او تنقص اي يجعل الشغ ثقيلًا أو خفيفًا وكيف يزداد الاحتراق في السيكرة او ينقص ثم كيف يحني المحصول ومتى وكيف يجفف ويعالج حتى يحتمر فان هذه الابحاث المهمة توجد في كتب الزراعة وقد ذكرتها بإيجاز في «كتاب الزراعة العلمية الحديثة» والذي يهمننا الان هو معرفة اقاليم الشام التي يزرع التبغ فيها وهل توجد في تلك الاقاليم الاصناف التي عرفت بلذة دخانها كاصناف التركية واشباهها ام لا. فاقاليم الشام من حيث زراعة التبغ على قسمين قسم يمكن زراعته فيه بلا اسقاء وآخر لا ينمو التبغ فيه مالم يسق

فالقسم الأول يقتصر على سواحل الشام والاقاليم القريبة من الساحل كجبال النصيرية ولبنان وفلسطين وجبل عجلون ذلك ان الامطار فيها غزيرة قلما ينقص ارتفاعها في السنة على ٥٠٠ مليمتر وقد يزيد الى ٨٠٠ في بعض السنين عدا ان الهواء يكون رطباً لقرب البحر كما تكون النداء كثيرة ولهذا يكون بالامكان زرع التبغ في البعل من الأرض حيث يجد ذلك النبات الماء الكافي لنموه. اما القسم الثاني فهو عبارة عن سائر انحاء الشام ومنها السهول الداخلية وهي اهم اقاليم الشام واعظمها شأنًا فهناك لا يوجد التبغ بلا اسقاء لقلة الأمطار وجفاف الهواء. واجود التبغ في بلاد الشام هو الذي يحصل في جبال النصيرية كالكليبي والناصوري والمهلوي ويليهِ الدوراني في البائر والبوجاق وكرد طاغ والساحلي في اللاذقية واطرافها واللبناني والعربي في لبنان وفلسطين والاسود وابو ريحه في اللاذقية وفي كفر سوسة من قرى دمشق. ويقدر معدل محصول اللاذقية وجبال النصيرية بمليون كيلوغرام من ورق التبغ الجاف وكذا معدل المحصول في لبنان. والذين اعتادوا تدخين التبغ التركي

كتبغ البلقان والبافرة والسمصوني وينججه واشباهها لاسيما اذا كان صافياً لم يغش بأضافة اصناف رديئة اليه يدركون على الفور الفرق الكبير بينه وبين اصناف التبغ الشامية. ذلك ان التبغ التركي يكون خفيفاً وذالون اصفر ورائحة خصوصية دقيقة لا ترى في معظم التبغ الذي يزرع في انحاء العالم. ولطالما تساءلنا مع كثير ممن يهتمون بهذه الامور الاقتصادية عن الاسباب التي تمنع حصول تبغ جيد في بلاد الشام يضاهي التبغ التركي بجودته ولماذا لا ينتج في بلادنا من بزور الاصناف البلقانية تبغ يساوي تبغ تلك البلاد في مقدار النيكوتين واللون والاحتراق والرائحة الزكية خاصة. ويجب ان نعترف بأن العلم لم يكشف بعد عن حقائق هذه الاسباب وكل ما يمكننا ان نقوله هو ان لبلاد البلقان وشمال الروم جملة مزايا من حيث حرارة الجو وهطول الأمطار والرياح والرطوبة ونوع التربة تجعل التبغ الذي ينتج فيها ممتازاً يفوق مثيله في باقي البلدان. ومن الغريب اننا اذا اخذنا اصنافاً مختلفة من الحنطة مثلاً وزرعناها في شتى الاقاليم حيث تختلف الاحداث الجوية كل الاختلاف ثم عمدنا الى محصول كل من هذه الاصناف فصنعنا منه خبزاً فان طعم الخبز يكون واحداً تقريباً في الاصناف كلها ومن النادر جداً ان نجد شخصاً يتمكن من تفريق الاصناف بعضها عن بعض بسبب اختلاف طعم الخبز فقط. اما في التبغ فالامر على عكس ذلك فانا لو زرعنا بزوراً من صنف واحد ولكن في اقليمين مختلفين وتعدنا نبات كل صنف - بالناية نفسها من حيث جعل بناء التربة واحداً وتهية الأرض والمسافة بين النباتات والتسميد والاسقاء والعزق والحني ومعالجة الاوراق الى آخر ما هنالك من الأعمال الزراعية والصناعية فان المحصول لا يكون واحداً في خصائصه بل يكون لكل اقليم تبغ يختلف عن تبغ الاقليم الثاني بالرائحة واللون والاحتراق. وكل من يدخل يستطيع ان يفرق بسهولة تبغ الاقليم الأول عن تبغ الاقليم الثاني. ولهذا الاسباب تجد ان التبغ البلقاني والتركي لا يوجد في بلاد الشام اي ان هذه البلاد ليست صالحة لانتاج تبغ يضاهي بجودته تبغ البلقان والروم لان عامل الجو والتربة ليس كفيلاً بذلك ومع هذا فان التبغ الذي تيمه تربتنا يمكن تجويده حتى يصير مقبولاً في الجملة ومتى اعتاد الانسان تدخينه يستغنى به عن التبغ التركي طرائق حباية رسومه ❀ قلت ان الحكومات في انحاء العالم لما ايقنت بعدم الفائدة من اضطهادها المدخنين رأت ان من الحكمة السماح باستعمال التبغ على ان يكون من وراء ذلك مورد مهم يقتضي به بيت المال ولهذا تجد معظم حكومات العالم تحبي من التبغ على اشكال شتى ضرائب عظيمة جداً وهي تبرر عملها بكون التبغ لا يعد من حاجات الانسان المبرمة وكل من لا يريد دفع هذه الضرائب عليه بأن يقلع عن عادة التدخين. وفوق ذلك

لما كان الافراط باستعمال التبغ يضر بصحة مستعمليه فان ثقل الضريبة يدعو الى التقليل منه والدول على قسمين قسم احتكر زراعة التبغ وصناعته وتجارته وآخر ترك للشعب حرية التصرف بهذه الامور. فمن القسم الاول فرنسا وأوسترية واسبانيا والبرتغال ورومانيا ويوغوسلافية والدولة العثمانية. ومن القسم الثاني انكلترة والمانيا وبلجيكة وهولاندة ومصر وغيرها. ففي فرنسا احتكرت الحكومة زراعة التبغ وتجارته منذ ايام نابليون سنة ١٨١١ ولا تزال على ذلك الى اليوم ولديها مصلحة واسعة من مصالح الحكومة تسمى « المديرية العامة لحصر الدخان » وهي تابعة لوزارة المالية. وهذه المديرية هي التي تأذن للفلاحين بزرع التبغ وتراقب النبات طيلة حياته وتشتريه من الفلاحين بعد ان ينضج لقاء اثمان قطعها وزارة المالية وهي التي تبتاع التبغ الاجنبي لخلطه بتبغ البلاد وتظهر في اعمال المعامل التي تصنع فيها السيكارات وسائر ما يصنع من ورق هذا النبات كما تظهر في فتح الدكاكين التي تباع تلك المصنوعات فيها. اما من الوجهة المالية فان ادارة الضرائب غير المباشرة هي التي تهتم بأمر البيع واستيفاء اثمان المبيعات

واحتكار اوسترية للتبغ يرجع الى اكثر من قرنين وقد كانت الحكومة باعت حقها من شركة تدعى شركة حصر الدخان كما كانت الحال عليه في الدولة العثمانية او كما هي الحالة عليه في سورية في يومنا هذا. ثم في سنة ١٨٧٣ اخذت تلك الدولة على عاتقها امر النظر في شئون زراعة التبغ وتجارته. وفي سنة ١٨٥٠ امتد الاحتكار الى حكومة المجر ولما رأت تلك الحكومة شدة مقاومة الزراع والتجار سمحت لكل زارع بمائتي متر مربع من الارض بزرعها تبغاً لحسابه. واحتكرت دولة ايطالية التبغ سنة ١٨٦٩ فباعت الامتياز بادئ بدء من شركة ثم انتزعت منها سنة ١٨٨٣ واستثمرت التبغ مباشرة. اما اسبانية فقد سارت على عكس الدولتين المذكورتين فهي قد احتكرت التبغ مباشرة ثم رأت نفسها غير قادرة على ضبطه ففتحت احدى الشركات امتيازاً بحصره

ومجارة التبغ ومصنوعاته حرة في انكلترة لكن زراعته ممنوعة وكل من يزرعه يكون عرضة لضبط المحصول عدا انه يغرم غرامة فاحشة. ولكن لافراد الشعب حرية ادخال ورق التبغ والسيكارات من البلاد الاجنبية وحرية تأسيس معامل لصنع السيكارات وفتح دكاكين دون ان تراقبهم الحكومة البتة. وتكون فائدة الدولة في استيفاء ضريبة كمركية على ورق التبغ او على مصنوعاته عند ما تدخل البلاد الانكليزية. وهذه الطريقة هي كما ترون سهلة لا تكلف الحكومة نفقات طائلة في سبيل مراقبة زرع التبغ وصنع السيكارات ويبيعها كما هي الحال في الدول التي احتكرت هذه الامور. ويفيد انكلترا ان تكون الطريقة المذكورة

متبعة لأنها جزائر يصعب على المصدرين ادخال التبغ اليها بدون ان يصطدموا بعلم المكس
اما الدول التي يسهل اجتياز حدودها فانها تخسر خسارات عظيمة اذ الجأت الى هذه الطريقة
وزراعة التبغ حرة في المانية وكذا صناعة السيكرات وبيعها . والحكومة تستوفي
ضريبة عن زروع التبغ إما بنسبة وزن المحصول او بنسبة المساحة المزروعة . وتستوفي أيضاً
المكس عن ورق التبغ والمصنوعات التي تدخل البلاد الالمانية . وفي الروسية نرى ان زراعة
هذا النبات وصناعة مصنوعاته والأجبار بها هي حرة ايضاً والحكومة تستوفي المكس عما
يشتري من البلاد الاجنبية كما تستوفي ضريبة تسمى «باندرول» عما يصنع في البلاد الروسية
وهذه الضريبة تستوفيها الحكومة على الشكل الآتي وهو انها تضطر اصحاب معامل التبغ
والسيكرات على وضع مصنوعاتهم في غُلف تبيعهم اياها ويكون ثمنها عبارة عن ضريبة
نسبية تتبدل حسب اثمان تلك المصنوعات

اما في الدولة العثمانية (وهي التي يهمننا البحث فيها اكثر من سائر الدول) فإن احتكار
التبغ ومصنوعاته بدأ في سنة ١٨٨٤ ميلادية او سنة ١٣٠٠ رومية اذ منحت الدولة احدى
الشركات الدولية امتيازاً بحصر الدخان لمدة ثلاثين سنة ثم مددتها حكومة الاتحادين ١٥
سنة فصارت مدة الامتياز تنتهي في ١٤ نيسان (ابريل) من السنة الحاضرة . لكنه بعد ان ساحت
البلدان العربية عن الدولة العثمانية على اثر الحرب الكبرى رفضت حكومات فلسطين والعراق
وشرقي الاردن الاعتراف ببقاء امتياز الشركة المذكورة كما القته تركيا نفسها في بلادها . وكل
هذه الحكومات اطلقت الحرية في زراعة التبغ واخذت تستوفي المكس عن تبغ البلاد
الأجنبية وضريبة على محصول التبغ الذي يزرع في ديارها . اما في سورية ولبنان قد ظلت
سلطة شركة حصر الدخان كما كانت ايام الدولة العثمانية . وصر اخيراً قرار من المفوضية العليا
الفرنسية بتمديد مدة الامتياز ثلاثة اشهر اي الى ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٩ ريثما يثبت في
السياسة التي يجب اتخاذها تجاه زراعة التبغ وصناعة السيكرات والأجبار بها في سورية ولبنان
واهم شروط هذه الشركة تحتكر صناعة السيكرات وتجارتها في البلاد العثمانية لقاء مبلغ
سنوي تدفعه الحكومة وتمنع زراعة التبغ الا في بعض الولايات والألوية التي لم يجدوا زراعتها
فيها . وقد كانت ولايات الشام وحلب وبيروت ولواء القدس من جملة الأماكن التي لا يجوز
زرعه فيها ماعدا اللاذقية وجبلة وصهيون وصيدا وصور . وبأمكن اصحاب التبغ الذي ينتج
في البلاد العثمانية ان يبيعوه على عهدتهم في الديار الأجنبية لكنهم يمنعون عن الأجبار به
في داخل البلاد وهم اذن مضطرون الى بيعه من شركة الريجي دون غيرها لقاء اثمان تحددها
كما تشاء . وتدعي الشركة ان تلك الأثمان تكون عادلة في الجملة ولكن شتان بينها وبين

محصول التبغ الأهلي في الاسواق التجارية . وهذا الفرق بين المبلغ الذي تفرضه الشركة على ارباب زراعة التبغ ثمناً لمحصولهم وبين الثمن الذي يباع به ذلك المحصول في السوق التجاري هو السبب الأعظم لوجود الناس انخذوا يبيع الدخان خلسة مهنة لهم وصاروا يطمعون من حين الى آخر مع محافظي الشركة وعمالها حتى سالت الدماء مراراً عديدة وحتى صار عدد القتلى في الدولة العثمانية السابقة منذ منحت الشركة امتيازها الى اليوم يعد بالالوف . ولا يستعربن احد ان تسوء الحال الى هذا الحد وان يخاطر عدد عظيم من افراد الشعب بحياتهم واموالهم في سبيل بيع التبغ خفية ذلك ان الفرق بين الثمن الذي تشتري به الشركة التبغ والثمن الذي تباع به هو عظيم جداً قد يبلغ ٦٠٠ — ١٠٠٠ في المائة احياناً مثله ان الشركة تدفع اليوم الى الفلاحين في اللاذقية وجبال النصيرية ٤٠ — ٥٠ قرشاً سورياً ثمناً متوسطاً للكيلو غرام الواحد من ورق التبغ الجاف على حين ان الورق نفسه يباع في الاسواق التجارية خفية بخمسة مجديات اوستة اي بخمسة امثال الثمن الذي تدفعه الشركة الى الزراع تقريباً فمن البديهي اذن ان يكون عدد المتصددين للبيع الخفي كبيراً وان يشاركهم بعض بائعي تبغ الرجي في عملهم لان تلك الشركة لا تمنحهم من ارباح ما يبيعونه من التبغ والسيكارات سوى ٩ في المائة من اثمانها ومن يمكنه ان يكتفي اليوم بهذا الربح الضئيل لا سيما اذا كان عليه نفقات كبيرة يضطر الى انفاقها واذا كان دكانه في مكان يقل به المشترون . وتقول شركة حصر الدخان انه لا يمكنها شراء تبغ البلاد الشامية بأكثر من الاثمان التي يتباع بها اليوم لان ثمن الكيلو غرام الواحد من التبغ التركي الجيد لا يساوي في الجملة اكثر من ليرة سورية وهو الثمن الذي تشتريه به وتبيع لبنان واللاذقية واطرافها فويراها غير مرغوب فيه في بلاد الشام وقد اعتاد الشاميون تدخين تبغ الشركة المركب في مجموعته من ٣٠ في المائة من تبغ اللاذقية وجبل النصيرية و ٧٠ في المائة من التبغ التركي فلا يجوز ان تدفع للفلاح الشامي ثمناً كبيراً لتبغ الرديء مع العلم بان التبغ التركي يفوقه كثيراً بلذة دخانه . وتقول انها اذا جعلت ثمن تبغ اللاذقية ولبنان كبيراً ترداد زراعته وضطر الشركة الى شراء كل المحصول دون ان يكون بمكاننا تصريفه لان الشام اعتاد تدخين التبغ التركي في المقادير التي تباعها الشركة اياها اما البلاد الاجنبية فهي لا تلتذ بتبغ اللاذقية ولبنان يتضح مما ذكرنا ان حكمة شركة الرجي للمسئلة على هذا المنوال تدعو الى تشجيع زراعة التبغ في بلاد الشام لا سيما في سواحلها حيث تجود زراعته دون اسقاء . ومما لا ريب فيه انه لو كان بيت المال واحداً في سورية ولبنان وجبال النصيرية لكانت اصلح طريقة لاستيفاء رسوم التبغ هوان يجعل زراعته وتجارته وصناعة السيكرات منه حرة وان تستوفي

الحكومة ضريبة على محصول التبغ البلدي ومكساً على ما ينقل الى البلاد من التبغ الاجنبي اما في الحالة الحاضرة فاللبنانيون وسكان اللاذقية وجبال الناصرة يرون ان من فائدة الشعب والحكومة معاً ان تطلق حرية زرع هذا النبات وحرية الاتجار به على الوجه المذكور. وفي سورية الداخلية ينقسم اصحاب الرأي قسمين قسماً يرى ان حرية زراعة التبغ وتجارته تدعو الى ربح الشعب ارباح مهمة هو في حاجة اليها لينتفعش اقتصادياً، وقسماً يرى ان شدة الحرية تسبب ضياع مبالغ طائلة على بيت المال لأنه من الصعب على الحكومة ان تتمكن من ضبط حدودها الواسعة لاستيفاء المكس عما يُنقل الى الداخل من تبغ لبنان واللاذقية والديار الاجنبية. واذ اُتبع رأي الفريق الثاني يكون امام الحكومة احدى طريقتين وهما اما احتكار زراعة التبغ وتجارته مباشرة على ان تنشئ مصلحة لهذا الغرض كما في فرنسا وغيرها واما منح امتياز بذلك لأحدى الشركات لقاء مبالغ معينة تدفع الى بيت المال على ان تكون الشروط غير مضرّة بأرباب الزراعة بل داعية لتوسيع زراعة التبغ في هذا البلاد فالطريقة الاولى تكلف الحكومة نفقات طائلة عدداً ان الحكومات قلما تكون صالحة لأعمال الاحتكار من الوجهة الاقتصادية وهي قد تكون اشد وطأة على اصحاب التبغ من الشركات بما لديها من الوسائل كالشرطة والدرك. اما الطريقة الثانية وهي الحكرة بواسطة الشركات فانها طريقة انفع لبيت المال لكنها في الوقت نفسه انفع للاجانب اذا كان اصحاب اسهم الشركات من غير ابناء البلاد. ومهما تكن الطريقة التي تتبع فمن الضروري ان ترتكز قاعدة اقتصادية مهمة وهي توسيع زراعة التبغ في بلاد الشام حتى يسقل مقدار التبغ التركي الذي ندخه الى ادنى حد مستطاع فنحن ندخن اليوم في داخل الشام وحده نحو مليون ومائة الف كيلو غرام من التبغ التركي سنوياً وثمن هذا المقدار يذهب من جيوبنا ضياعاً. وندخن اربعمائة الف كيلو غرام من تبغ اللاذقية وجبال الناصرة بواسطة شركة الريجي ونحو مليون كيلو غرام من تبغ تلك المنطقة مع تبغ لبنان وهذا المقدار الاخير يباع خفية ويكون توسيع زراعة التبغ على الصورة الالية وهي اذا اطلقت حرية زراعة ذلك النبات وتجارته يجب ان تكون الضريبة على محصول الشام صغيرة بعكس المكس على ما يدخل من البلاد الاجنبية. اما اذا اتبعت طريقة الاحتكار فمن الواجب تقدير اثمان رابحة لمحصول الشام الذي يتبعه الحكومة او شركة الحصر من ارباب الزراعة وان تقدر هذه الاثمان بواسطة رجال لا ينتمون الى الحكومة ولا الى الشركة. ثم يجب ان يقلل الشراء من التبغ الاجنبي حتى يعتاد ابناء الشام تدخين التبغ الذي تُنتجه بلادهم. فتمنى ان يوفق المعالجون لقضية الريجي الى ضمان فائدة بيت المال من جهة وفائدة ارباب زراعة التبغ وتجارته من جهة ثانية والسلام

بنك التسويات الدولي

أهم النتائج التي أسفر عنها مؤتمر الخبراء الذي انعقد هذا العام انشاء هذا البنك . فكل المقترحات الاخرى ليست جديدة بل هي تعديلات لمشروع داووز في حين ان مشروع انشاء البنك هو المقترح الوحيد الذي يصح تسميته بالجديد. ولذلك لفت اليه الانظار ويتنظر ان يكون عاملاً قوياً في انشاء تعاون دولي مالي . ولم يتبق على الخبراء الا تقديم اقتراحاتهم فيما يتعلق بدقائق المسألة للجري عليها عند اجراء التسوية . وكانت أول خطوة نصح باتخاذها الغاء اللجنة الخاصة بالتعويضات لأنها اظهرت تحاملاً على المانيا واقتت على ناقها مسئولية وقوع الحرب وقررت ان من الواجب الزامها بالتعويض . وسيكون البنك الجديد بعيداً عن السياسة وينحصر عمله في المبالغ السنوية التي تسدها المانيا ثم وزع ما يجمع على الدول المستحقة . كذلك سيكون من مهمة البنك تسليم البضائع التي وافقت المانيا على تقديمها لمدة عشر سنوات للحلفاء كجزء من التعويض

وقد يتساءل البعض عن السبب في انشاء بنك للقيام باعمال من السهل انهاءها بين المانيا واعدائها السابقين مباشرة. والجواب ان تجارب الاعوام السالفة اوحى بوجوب انشاء هيئة مستقلة لمخلى المانيا تدريجاً من التبعة وتوفر عليها عملية التوزيع . ومن السهل تفهم الفائدة التي تنتج من وجود وسيط لا صبغة سياسية له لانهاء هذا الامر الذي قد يؤدي الى سوء تفاهم بلامسوغ . فقد كانت الفكرة في البدء موجهة الى انشاء مجلس امانة لادارة موضوع دفع التعويضات ولكن اتضح بعد ذلك ان الحكمة تقضي بانشاء بنك ليكون رابطة دولية اقتصادية لهله يحقق الحلم الذي طالما تحلى لكثيرين من الساسة

كانت البنوك التابعة لمتخالف الدول قبل الحرب غير مرتبطة بعضها ببعض وكان يقوم بعملية الاتصال بينها افراد من كبار المالىين ولما كانت الحركة المالية بعد الحرب تستدعي إيجاد بنك مركزي ليقوم بعمليات التصفية فقد اقترح بعضهم في مؤتمر جنوى عام ١٩٢٢ وجوب اجتماع رؤساء البنوك التي تصدر البنكنوت بين آن وآخرو ولكن لم يوضع هذا الاقتراح موضع العمل طيلة هذه المدة في حين ان التعاون الاقتصادي بين الدول اصبح محسوساً رغم حدوثه بصفة غير رسمية وعلى يد بضعة افراد . فمن الطبيعي ان يحاول رجال المال تنظيم هذا التعاون بعد ان أحس العالم أجمع بوجوبه . ومن الفوائد المنتظرة من انشاء هذا البنك مدة البنوك بقروض وقت الحاجة . وهناك عمليات دولية كثيرة يسهل اجراؤها عن طريقه لذلك فيكون من السهل تنظيم حركة الذهب واقلال الكمية المتداولة منه بواسطة وله

فوائد ثانوية لابدَّ ان تنتج عن ايجاد اداة مالية دولية. لذلك رحب المشتغلون بالامور المالية بالبنك الذي طرحه للبحث مشروع يونغ

وسيكون لمجلس ادارة هذا البنك الحق في اجراء تعديلات في لائحته الداخلية حتى لا توضع هيأته الادارية تحت رحمة تشريع اية دولة من الدول أو تحت رحمة تشريع مقنع توجده هيئة دولية تحاول تطبيق ما تراه في صالحها. واما الضمان فقام على ان اعضاء المجلس سيكونون من غير السياسة المشتغلين بالشؤون الاقتصادية ولن تعين الحكومات المديرين حتى لا تتبع عند اختيارهم نغرة سياسية او وطنية. وكذلك لن يمثل هؤلاء المديرين هيئات ذات مصالح خاصة تحرضها على اجتناء الربح لأن المهم هو ان يكون رائد مجلس المديرين خدمة السلام العام والصالح العام قبل كل شيء. ولذلك اقترح ان يمثل هؤلاء المديرون بنوك الاصدار في مختلف الممالك فهذه البنوك هي اقل تأثراً بالسياسة وأقل اهتماماً بالربح من غيرها من الهيئات. وأظهر المشروع وجوب وجود سبعة رؤساء للبنوك المركزية الخاصة بالدول السبع المتصلة بالمشروع وهي فرنسا وألمانيا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة ولما كان اجتماع هؤلاء الرؤساء بين آن وآخر متعذراً اقترح ان يعين كل رئيس منهم وكيلاً عنه ليقوم بهذه العملية ومن ضمن المقترحات انه يصح لبنك فرنسا وبنك ألمانيا انتخاب عضو جديد عند حلول ميعاد تسليم سنويات التعويضات الألمانية وذلك للمساعدة على التوزيع وأيضاً للاشراف على التسليم والتسليم فيكون مجلس المديرين والحالة هذه مكوناً من اربعة عشر عضواً (يضاف اليهما عضوان عند الحاجة) ولكن يصح ان يزيد عدد اعضاء هذا المجلس اذا وافقت بنوك الاصدار الموجودة في الممالك الاخرى على الاشتراك في البنك ولن تكون الزيادة اكثر من تسعة مديرين جدد ينتخبهم الاربعة عشر عضواً من قائمة تحوى اسماء مرشحي بنوك الاصدار التي ستشارك في مشروع البنك. وبذلك لن يزيد مجلس المديرين عن ٢٣ (او ٢٥) مديراً يكون لهم سلطة مطلقة ولهم حق تعيين الموظفين واصدار القرارات وتعديل النظام

وستكون مدة التعيين خمس سنوات تنتهي بعدها مدة المجلس بالتتابع لكن يصح اعادة انتخاب من انتهت مدته ثانية. اما الذي يضع نظام البنك مبدئياً فهي لجنة تنتخبها بنوك الاصدار للدول السبع ويمثل كل بنك عضوان واذا لم يتيسر لبنك انتخاب عضوين يصح لبقية الاعضاء انتخاب شخصين من المملكة التي يعجز بنكها عن الانتخاب

وسيكون رأس مال البنك عند التأسيس ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار سيدفع منه ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ دولار فقط ولكن ستكون الاسهم مسئولة عن القيمة التي لا تدفع وستكون قيمة السهم واحدة في مختلف الممالك السبع وستجري عملية الاكتتاب بواسطة بنوك الاصدار فيها. واذا ما

انضمت ممالك اخرى سيكون نصيب الممالك الاصلية ٥٥٪ من الاسهم ولن يكون للسهم حق في التصويت بل سينتقل حق التصويت الى بنوك الاصدار الممثلة للمملكة التابع لها حامل السهم (مع ملاحظة نسبة ٥٥٪) فوالحالة هذه لن يكون للمساهمين عمل الا الاستثمار ولن تزيد الفوائد التي ستدفع على الاسهم عن ١٢٪ بأى حال وسيضاف ما يتبقى الى احتياطي البنك والى احتياطات بنوك الاصدار التابعة للدول الداخلة في الموضوع ما عدا المانيا وسيقتطع ٧٥٪ من الارباح لهذه العمالية واما الباقي وهو ٢٥٪ فستضاف لحساب المانيا لتسديد المطلوب منها في السنوات التالية بشرط ان تودع المانيا في البنك المذكور مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مارك ذهب بفائدة لمدة طويلة

وللبنك الحق في قبول الودائع وفي الاقراض وفي الاستثمار وبالاختصار في عمل كل ما فعله بنوك الاصدار عادة ولكن لا يسمح له بالطبع باصدار بنكوت باسمه وسيطلب منه انشاء احتياطات مشابهة لتلك التي يحتفظ بها بنك الاصدار ولان البنك سيعاون على اقلال كمية الذهب المتداول سيلزم على الاحتفاظ بجملة احتياطياته ذهباً وعليه ان يحتفظ بما قيمته ٤٠٪ من الودائع عن ١٥ يوماً او اقل اما عن الودائع لمدة تزيد عن ١٥ يوماً فعليه ان يحتفظ بما قيمته ٢٥٪ منها . سيقول البعض ان انشاء هذا البنك سيخلق مزاحماً لغيره من البنوك ولكن اساس الفكرة هو ان لا يزاحم لان هذه المزاحمة تضر الفكرة ذاتها وكذلك سيتم على البنك ان لا يتعامل في السوق المالي في اي بلد كان الا بعد موافقة بنك الاصدار التابع لهذا البلد اذ في ماسبق ان مديري بنك التسويات يمثلون البلدان المذكورة وسيكونون دائماً على اتصال به وبالطبع سيعارضون كل محاولة ترمي الى الضغط على سوقهم المالية

اذن فللبنك المقترح انشاء مرميان احدهما اساسي وهو توزيع التعويضات الالمانية وأهم فائدة تنتج من قيامه بهذه العمالية هو نقل مسألة التعويضات من ايدي الساسة الى ايدي المالمين الأكثر ميولاً من الساسة للاصطباغ بالصبغة الدولية وبذلك تتمحي روح الغناد. كذلك في حالة اضطراب المانيا الى عدم تسديد كل المطلوب منها ييدي مجلس المديرين حكمه ويتلافى هذا التقصير باصدار سندات مضمونة من الحكومة الألمانية (قصيرة الأجل) وأما المرمى الآخر فهو تنظيم اجتماعات لمثلي بنوك الاصدار لحل المسائل المالية الدولية العويصة في جو هادى ليتيسر إيجاد دواء لأدوائها وكذلك سيعمل البنك على تقوية الرابطة المالية بين الدول ويمحي الغيرة التي كثيراً ما منعت الدول من مساعدة بعضها البعض في الملمات الأمر الذي نتجت عنه كوارث دولية عديدة

معرض الصناعة الوطنية برمسوق

لا ينمو الكائن الحي نمواً صحيحاً تكتمل فيه اسباب القوة والجمال الا اذا كان يملك في كيانه قوة حيوية تمكنه من تناول عناصر الحياة من جوه وأرضه ليحولها دماً وغضروفاً وعصباً او عصيراً وورقاً وثمرأ . اما انه يعتمد الى الدم يقدمه حي قوي شفقة واحساناً او الى جلد يؤخذ من غير الكائن نفسه فأمر لا يلجأ إليه الا في حالة مريض قد اشقى ولقد اثبت الفلاسفة من افلاطون الى سبنسر ان الامة كلن حي فمالزم للكائن الحي من اسباب النمو وعناصر الحياة يلزم لها . انها لا تكون قوية الا اذا توافر لها في جوها وأرضها ونفوس ابنائها وعزائمهم عناصر النمو الحيوي الصحيح لكي تبقى حية على الدهر ترد عنها العوادي قوى العزم والتوليد والابداع الكامنة في كيانه . والنمو لا يكون صحيحاً الا اذا جاء من الداخل . فكرة الثلج التي تتضخم وهي تتدحرج من قمة جبل مكسو بالثلج تنمو ولكن نموها خارجي ، وهو غير النمو الحيوي الصحيح في الأحياء والامم . ولكن البزرة الصغيرة التي تطمر في التربة الصالحة فتستمد منها عناصر الغذاء تنمو ونموها حيوي لأنها تحول كل عنصر من عناصر الهواء والتراب الى مادة حية هي مادتها لذلك اخذتنا نشوة من السرور الذي يعجز القلم عن وصفه حين هبطنا عاصمة الأمويين وزرنا معرض صناعاتها الوطنية فدهشنا لما رأيناه فيه من آثار الدقة والاتقان في مختلف الصناعات — من صناعات المنسوجات الحريرية الى صناعة الجلود الى صناعات المفروشات الخشبية — وهي تضاهي ابداع ما شاهدته في الغرب دقة في الصنع ورخصاً في الثمن وان نقصت منه استكمال عناصر الذوق الفني — الى صناعة الادوات النحاسية التي اشتهرت بها دمشق الى صناعات الخزف « السيرمايك » . ولا ننسى صناعة المنسوجات الصوفية فانها على حداتها تبشر بمستقبل باهر . سررنا باثار الاتقان هذه لانها تدل على ظواهر النمو الحيوي الصحيح الذي تجري صهاؤه في عروق الامة السورية الكريمة ، هذه الامة التي لم تقعد لها محن النهضة السياسية عن القيام بهضة صناعية لا بد منها لكل استقلال يستحق ان يدعى كذلك . فكل بلاد لا تستطيع ان تخرج لشعبها جانباً مما يحتاج اليه ليستفي عن بعض الوارد اليه من الخارج وليسد به الدين الذي يترأ كم عليه بسبب هذه الواردات لبلاد سائرة الى الافلاس ، والاستعباد الاقتصادي في هذا العصر شر انواع الاستعباد وركنها الاقوى . لم نسر هنا باثار الاتقان البادية في معرض الصناعات لانا لم نشاهد ما عايناه او ما يفوقها في معارض الغرب ولكن مشاهدتها اثار شعور الرجل الذي يرى بين يديه كائناً يتعهد بعنايته ويقطر عليه دم قلبه لانه موقن انه سائر في طريق النمو الى مرتبة الكمال

مكتبة المقتطف

الحياة العقلية

اودروس في علم النفس

تأليف البروفيسور ودورث استاذ علم النفس في جامعة كولمبيا . ترجمة الاستاذ احمد ساح الحادي
مدير الكلية العربية في القدس واستاذ التربية فيها — صفحاته ٧٠٥ من
القطع الصغير بحروف بنط ٢٤ ورسوم توضيحه كثيرة

لعل هذا الكتاب الممتع من افيد الكتب التي اخرجتها المطابع العربية هذه السنة .
فالموضوع الذي يعالجه هو موضوع الساعة بين الفلاسفة والمفكرين . لان علم النفس منذ
استقل واستوى مع سائر العلوم على اساس تجريبي اتصل بشؤون الحياة العملية اتصالاً وثيقاً
كالتعليم والتهديب والصناعة والصحة والتجارة والآداب . ومؤلف الكتاب من اعلام
الاميركيين في تهذيب هذا العلم الفتي وتوضيح معالمه ونشر اصوله وحقائقه على الطلاب .
وناقله الى العربية عالم مفكر عاجل شؤون الحياة العقلية نظراً وتجريباً وكاتب مجيد امين في
نقل المعاني بليغ في ادائها . وشركة مكملان التي تولت الاتفاق على طبعه بالعربية لم تدخر
وسعاً في اخراجه في حلة قشبية وبحرف كبير واضح لا يتعب عيون الطلاب وعهدت في ذلك
الى مطبعة المعارف فقامت بالعمل على اتم وجه ووافاه . وازاد الاستاذ الناقل الى الكتاب
معجماً للالفاظ والعبارات البسيكولوجية والفسيولوجية الواردة في متن الكتاب وما ترجمها
به فكان ذلك عملاً علمياً جليلاً للمشتغلين بهذا العلم من كتاب وقرّاء . ومن الالفاظ
الجديدة التي اعتمدها في هذا الكتاب وبودنا لو تعم لفظة «رجع» بدلا من «رد الفعل»
ففي اللفظة الجديدة معنى رد الفعل وتفوقها في انها لفظة مفردة يسهل تثنيها وجمعها والنسبة
اليها . وهي علاوة على ذلك جديدة لا يلتبس معناها الجديد بمعنى لها قديم مشهور . وحيدا
لوجارى المؤلف غيره في ترجمة *Gray matter* بالمادة السنجابية بدلا من المادة السمراء لان
اللفظة الاولى اشتهرت بين دارسي علم الفسيولوجيا

أما مباحث الكتاب نفسه فيعذر علينا التبسط فيها وكل فصل يصح ان يقال فيه ماقاله
الرئيس ولسن في فصل « العادة » في كتاب علم النفس الذي وضعه الفيلسوف ولیم جيمس
قال : « كل مثقف يجب ان يستظهر هذا الفصل » او ماهو بمعناه . فنشكر لناقل هذا الكتاب
البذل التي اسداها الى العلم في الشرق بنقل كتاب مفيد هذا النقل الامين البليغ

ادارة الصفوف

وللاستاذ الخالدي كتاب آخر مفيد كل الافادة لا بد ان يجد فيه المدرسون في انحاء البلدان العربية مرشداً الى افضل طرق التعليم والتهذيب . وقد اعتمد مؤلفه الفاضل على كتاب وضعه الاستاذ بجلي في ادارة الصفوف ولكن بعد ما طبق المبادئ والاصول على ماتحتاج اليه المدارس الشرقية من الاسئلة والامتحانات . وفيه فصول تناولت احدث المباحث التعليمية وتطبيقها كمقاييس الذكاء واختبارات في سرعة القراءة والفهم ونظام العرفاء . وفي الكلمة التي افتتح بها الكتاب يبشرنا الاستاذ بان هذا الكتاب هو الاول من سلسلة ينشرها قسم الترية في الكلية العربية بالقدس . وما من رجل يغار على الشرق ويرجو له التقدم والفلاح الا ويرحب بمثل هذه الكتب المفيدة التي تقوم فيه طرق الترية والتعليم

الجيولوجيا

تأليف الدكتور حسن بك صادق — وكيل مصلحة المناجم والمحاجر — صفحاته ٢٣٤
مزدانة بالصور — وفي آخره خريطة جيولوجية ملونة للقطر المصري
في مكان آخر من هذا الجزء بحثنا بحثاً موجزاً في غاية الجيولوجي واسالييه في الكشف عن الحقائق حملنا على كتابته ونشره ظهور هذا الكتاب الجيولوجي المتقن الذي وضعه عالم من نخبة علمائنا حاز لا على الدرجات العلمية بانكلترا متمرس بهذا العلم من وجهته العملية في مصلحة المناجم والمحاجر وكاتب يعرف كيف يقرب الحقائق من الازهار بنثر صافي الديباجة خال من التكلف والتعقيد . لذلك قررت وزارة المعارف العمومية استعماله للتدريس في المدارس الثانوية وحسناً فعلت . ومما يزيد رونق الكتاب وفائدته اشماله على مئات من الصور جانب كبير منها صور مصرية اخذها المؤلف بنفسه لتوضيح مبادئ الجيولوجيا العامة للطلبة المصريين بامثلة من بلادهم

حياة المسيح لبايني

تأليف جيوفاني بايني — ترجمة الارشمندريت انطونوس بشير

بايني مؤلف ايطالي في الطبقة الاولى بين الكتاب ولد سنة ١٨٨١ وشُغف بالادب من صغره . فكتب في المجالات وحرر مجلة اسمها « الصوت » بالاشتراك مع صديق له فالتف حولهما نفر من ابرع كتّاب ايطاليا . وكان في عقيدته محيراً مشككاً وطالما كتب ناقداً هازئاً هادماً فما وافت سنة ١٩٢١ حتى ادهش أصدقاءه ومريديه بكتاب انقلب فيه

الساخر الهادم رجلاً مؤمناً يميل الى التأمل والتصوف — هذا هو الكتاب الذي بين أيدينا الآن

كثرت الكتب التي كتبت عن المسيح في العقد الاخير . بايني . لدوغ . جبران خليل جبران وغيرهم . ولكل كتاب غرض وطريقة . جبران شاعر فيلسوف نظر الى المسيح بعبق وسبعين شخصية حقيقية وخيالية عاصرت السيد وعاشت معه . فهو بلسان الشاعر بنكم أنا وبلسان الخطيب أنا آخر . بلسان مريم المجدلية حيناً وبلسان صيادٍ او تلميذ او عشار حيناً آخر . وهكذا يجلو لنا شخصية السيد المسيح من نواحيها المتعددة . إما لدوغ فأكثر ميلاً الى التاريخ والتحليل البسيكولوجي . واما كتاب بايني فصوت خارج من قرارة النفس لان الرجل كان كافراً فاهتدى . وكان محييراً فاستقر . وكان شاكياً فآمن . وفي كل ذلك كانت شخصية السيد المسيح الباهرة هي التي احدثت فيه هذا الانقلاب . فصورته إنما هو صوت حيله الفلق المضطرب المحيّر بين الشك واليقين والاحاد والامان . لذلك نال هذا الكتاب رواجاً لم ينله كتاب من نوعه وترجم الى لغات عدة . ورأى الاستاذ نعوم مكرزل صاحب الهدى النيويوركية ذلك فضنّ به ان يبقى مطويّاً عن ابناء العربية فاشار على الارشندريت انطونيوس نشير صاحب مجلة الحالات بترجمته ففعل وقد قامت بطبعه مطبعة مكتبة العرب بالبحر الجبلية لصاحبها يوسف توما البستاني

الدليل العام للقطر المصري والخارج

لسنة ١٩٣٠

لقد اصبح اصدار دليل جامع كهذا الدليل عملاً شاقاً بقدر ما هو عمل مفيد . فجمع الحقائق والاسماء والعناوين ونمر التليفونات من قطر كالقطر المصري سكانه اربعة عشر مليوناً ثم تبويبها وترتيبها ووضع فهرس لها واخراجها في مجلد يضم النفي صفحة كبيرة عمل دونه خبط القتاد . ولكنه عمل مفيد لأن موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم والتجار والاطباء والصحافيين يحتاجون اشد الحاجة اليه . ماذا تطلب ؟ عنوان فلان في مكتبه او بيته وسمرة تلفونه ؟ كليهما ؟ لك ما تريد افتح باب الصحف ان كان صحافياً او باب التجار ان كان تاجراً او باب الاطباء والصيدالة اذا كان طبيباً او صيدلياً تر الاسم والعنوان وسمرة التلفون . فوزارات الحكومة كلها مبوبة تبويماً متقناً وفيها اسماء الموظفين جميعهم واعمالهم وأما كن سكنهم . والمديريات كذلك . والمجلد يحتوي على طائفة كبيرة من الصور وعما يدعش له أنه صدر يوم تأليف الوزارة العدلية محتويّاً على بيان كامل لأعضائها . فنهى الشركة القائمة بهذا العمل وتتمنى لدليلها ذيوماً هو جدير به

مطبوعات أخرى

المرعشي صفحاته مائة من قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

(التربية الوطنية) للدكتور المرعشي وهو قسما
الاول يتناول المبادئ العامة التي ينطوي عليها
الاجتماع البشري وارتقاؤه ونظمه السياسية والثاني
خاص بالقطر المصري وتاريخه السياسي من اقدم
العصور الى الآن لان « الوطنية » واغراضها لا
تتحقق الا بدراسة تاريخ البلاد الخاف بالمعظمة والجهد
وهذا الكتاب ايضا طبعة ثانية وصفحاته ٢٣٩
قطع المقتطف مزدانة بالصور

(الحولية الخلدونية) كتاب جامع لشتى النبد
والحقائق والسير تنشرها مجلة التربية والتعليم في بنداد
وقد سميتها « الخلدونية » نسبة الى الفيلسوف
الاجتماعي « ابن خلدون » والنبد كلها مصورة حتى
تتجسم الحقائق بالصور احيا نأقتني عن شرح طويل
كما ترى في صفحتي « الاقدم والاحدث » وفصل
الاكتشافات والاخترعات وعجائب الدنيا السبع

(الاسلام) دين الانسانية. رسالة انكليزية
في ٢٢ صفحة صغيرة وضعها الاستاذ محمد علي احد
مترجمي القرآن الشريف الى اللغة الانكليزية. وللرسالة
مقدمة بقلم الاورد هدي. وتطلب من مطبعة التجارة
بلاهور الهند

(نبي الاسلام) وهذه رسالة انكليزية اخرى
للمؤلف نفسه جاء فيها على سيرة الرسول الكريم
وحوى تعاليمه على ذكر انقضاء ١٤٠٠ سنة على
« المحن الكبير الى الانسانية »

(الصلاة في الاسلام) للمؤلف نفسه. صفحاتها
٢٠ من القطع الصغير

(لبنان وسوريا) قبل الانتداب وبعده بحث
يتناول حوران وجبل الدروز وجغرافيتهما وتاريخهما
الحديث والانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا
حتى آخر عهد الجنرال غورو بقلم الشيخ بولس
مسعد وقد نشر تباعاً في المجلة السورية

(جمعية الشبان المسلمين) هذه مجلة اسلامية
علمية تهذيبية تصدرها جمعية الشبان المسلمين مرة
في الشهر ومحررها نخبة من اعضائها برئاسة
الدكتور يحيى احمد الدرديري. وفي مقالات
الجزء الاول سيرة اديسن. والحركة الفكرية في
المغرب الاقصى. ومصر الاقتصادية في الصحف الغربية
وغيرها من المباحث التاريخية والادبية والدينية

(اليزيدية) رسالة موجزة في ٤٤ صفحة من
القطع الصغير وضعها السيد عبد الرزاق الحسني
ونشرها مجلة « المرشد » العراقية وجعلتها هدية
لمشتركها

(الاغاني الشعبية) مجموعة من الشعر العامي
الطريف الذي ينظمه سكان الارياض في العراق
ويستطيع قارئها ان يدرس فيها حياة الاعراب
الاجتماعية الادبية والسياسية. جمعها وشرحها
السيد عبد الرزاق الحسني وطبعت بمطبعة النجاح
ببنفداد

(صديق المائلة) مجلة شهرية تبث في الشؤون
الصحية. مركز ادارتها رقم ٣ بهيدان سوارس
وعنوانها صندوق بوسنة رقم ٦٠٠

(الجميات التعاونية) ونظامها في مصر. هذا
افضل كتاب وضع في التعاون في مصر. وقد
اشرنا اليه قبلا في المقتطف عن ظهور طبعته الاولى
ونقلنا فصلا منه. وضعه الدكتور توفيق حامد

باب المسائل

فتحتنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسأله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلنا لسبب كاف

(١) اكتب كتاب العصر واشهرهم

بغداد . من هم اكتب كتاب العصر
الاجاء وهل هم اشهر الكتاب

ج . اذا اطلقنا على لفظة الكتابة اوسع
معانيها وجب ان نطوي تحت لفظة « كتاب »
الفلاسفة والعلماء والصحافيين والروائيين
والشعراء . ولكن اذا اردنا بالكتابة حصر معناها
بالاداة الفنية التي يستعملها بعض الناس لوصف
الحياة ونقدتها انحصرت دائرة نظرنا في كتاب
الروايات والقصص والدرامات . فاذا قصرنا نظرنا
على هؤلاء عرضت لنا عقبة جديدة وهي ان من
الكتاب من يكون مشهوراً في بلده مجهولاً
في غيرها . فتوماس هاردي كان الى حين
وفاته اكتب كتاب الانكليز ولكن موضوعات
رواياته كانت انكليزية ريفية لا يعنى بجوادثها
غير الانكليز وان كانت اغراضها الادبية
والفلسفية والاجتماعية عامة كالحياة نفسها .
لذلك سنقصر اختيارنا على الكتاب الذين
لم شهرة عالمية او على الاقل شهرة في اعظم

بلدان اوربا واميركا . ونبدأ بالانكليز فنتخار
برناردشو الذي دعاه اميل لدنچ « اكتب
كتاب العصر » وولز وغلزوري . ومن الفرنسيين
رومان رولان وپول بورجيه واندريه مورو .
ومن الالمان توماس مان واميل لنوج . ومن
الطليان بيراندلو ودانتزيو والكاتبه جرازيا
ديلدو . ومن الاميركان سنكلر لويس واوجين
اونيل . ومن النمسيين ارثر شتزلر . والروس
مكسيم غوركي والبلدان السكنديناوية نوت همسن
وسغرد اوندست وسلمو لجرلوف . والبلجيكي
موريس مترلنك . ولعل برناردشو وولز ولدوغ
ورومان رولان ودانتزيو وغوركي . ومترلنك
اشهرهم واكتبهم . وقد ذكرنا اميل لدوغ واندريه
مورو بين هؤلاء الكتاب مع انهما ليسا
روائيين بحصر المعنى . لانهما عرضا لكتابة السير
على طريقة جديدة فأبدعا فيها ايما ابداع .
فكتب الاول سير بسمارك وغيلوم والمسيح
ويتهوفن وكتب الثاني سير شلي ودزرائيلي
فجمعاً فيا كتباه بين التاريخ المحقق والقصة

الأخاذة . ويصح أن نضيف اليهما لن
ستراشي الانكليزي وغمالايل برادفورد
الاميري فانهما من اعلام هذا النوع من
الكتابة وان كانا اقل شهرة عالمية من
زميلهما . وسنعرض لهذا البحث في مقالة
فتوفيه من حق قدر ما يتسع له المقام لأن
ذكر اسماء الكتاب لا يفيد شيئاً اذا لم
نذكر طرفاً من سيرهم وتقديراً لنتائج قرائحهم
ولكن هل اكتب الكتاب هم اشهر الكتاب؟
لا ريب في ان بين الكتاب المشهورين طائفة
من اكتب كتاب العصر كبرناردشو وولز
ولدوغ ومترنك . كذلك بينهم كتاب لا
ينطوي سفر حياتهم حتى ينطوي سفر ذكرهم .
ومحن لارتابان في زوايا الادب المهمة كتاباً
من الطبقة الاولى . على ان هؤلاء اصبحوا
قلالاً في هذا العصر . فاصحاب دور النشر
يبحثون في كل البلدان عن كل كاتب جديد مبدع
لينشروا له كتبه رغبة في الربح منها اذا
ذاعت شهرته ويستعملون لذلك كل اساليب

الترغيب والدعاية والاعلان

(٢) اقدم الكتب العربية

نيويورك . ما هي اقدم الكتب العربية
وما هي اسماء مؤلفيها وأين تباع وما هو ثمنها
ج . ان اردتم كتب الخط فأقدمها على
ما نعلم هي الصفحات التي نشرتها السيدتان
اغنس سمث لويس والدكتورة مرغريت
دنلوب جيسن سنة ١٩٠٨ في رسالة لهما .
والصفحات منقولة عن صورة شمسية لأقدم

الهندسة لافليدس طبع فيها سنة ١٥٩٤
(٣) زراعة قصب السكر
مصر . من اول من زرع قصب السكر
في القطر المصري وفي اي زمن كان

ج . قصب السكر ينبت برياً ولا بد من ان
يكون الناس انتبهوا الى حلاوته من قدم الزمان .
والظاهر ان اهالي الهند استخرجوا السكر من
قبل زمن التاريخ . وفي تاريخ هيرودتوس اشارة
صريحة اليه . وذكر سترابون المؤرخ ان في
الهند قصباً يستخرج منه العسل . وكان سكر
الهند يرسل الى اوربا في القرن الاول من

التاريخ المسيحي واسمهُ باليونانية سكارى من
سوكرا باللغة السنسكريتية. وقد ذكر الصينيون
انهم تعلموا استخراج السكر من الهندود في سنة
٧٨٠ ق.م والظاهر ان العرب نقلوا زراعة قصب
السكر الى مصر واوربا بعدما فتحوا بلاد الفرس
ويقال ان الصينيين تعلموا تكرير السكر من
المصريين. وكان لقصب السكر زراعة واسعة
في مصر في زمن صلاح الدين الايوبي

(٤) بلدة الكبد

بحر الغزال. ماسبب بلدة الكبد
ج. قد يكون سببهُ احتقان في الكبد
ناجم عن الماء كولات الضارة او المشروبات
الروحية او الملايريا او الاقامة في البلدان
الحارة. ومن اسبابه عدم وصول الغذاء الى
الامعاء لضعف الامعاء في الاثني عشري واقنية
الصفراء. اما الادوية التي تزيد افراز
الصفراء فهي كثيرة ويجب ان يصفها
طبيب بالمقدار القانوني. ومنها بعض المياه
العذنية كماء هونيادي وماء كرلسباد. فهذه
المواد تؤثر في الكبد نفسه وتزيد افراز
الصفراء. وقد لا يكون لآخذها اقل فائدة
بل قد ينتج عنه ضرر وخصوصاً متى كان
السبب انسداد اقنية الصفراء فيفضل حينئذ
اخذ المسهلات ولا سيما الكالومل فانه لا
يزيد افراز الصفراء ولكنه يفتح لها سبيلاً
(٥) اصل المسيحيين السوريين

دمشق. هل اصل دم المسيحي السوري والروم
الارثوذكس في سوريا من اليونان والفينيقيين
ج. لقد كان في سوريا سكان من الاراميين

وغيرهم قبلما دخلها الفينيقيين فاختلطت انسابهم
بانساب الفينيقيين ثم بانساب الامم التي تسلطت
على سوريا من اليونان والرومان والاقباط
والعرب والترك. ولم يكن هذا الاختلاط على
درجة واحدة في كل سورية. ولكننا لا
نظن ان الدم اليوناني كثير في سورية كالم
الفينيقي والاثني اقل من الدم الارامي القديم
وقد يكون اقل من الدم العربي الغساني في
جهات دمشق وحوران. وهذا كله رأي
وتقدير لان تحقيق هذه المسائل من الامور
الصعبة المعقدة. راجعوا مقالة هذا الجزء الاولى
(٦) الخراج في الثدي ومنه

س... كتبت اليها سيدة تقول انها
اصيبت بخراج في ثديها لما ارضعت طفلها
الاول وانها على وشك ان تضع طفلاً ثانياً.
فاذا يجب ان تفعل لتسقي الخراج في ثديها
قبل الولادة وحين الرضاع

ج. اسباب الخراج في الثدي ترجع الى
مصدرين اولاً العدوى من مصدر داخل كجذور
الاسنان او اللثة او اللوزتين. والثاني العدوى
من مصدر خارجي. فالأمر مهم غالباً العناية
بحلمة ثديها في اثناء الرضاعة وبعدها فتمسحها
بيديها من غير غسلها وتنظيف اطرافها او
تضع قماشاً غير معقم او تطيل مدة الرضاع
فتتشقق الحلمة وهكذا تتطرق المكروبات
الى داخل الثدي فتحدث الخراج. فالواجب
على السيدة المحترمة العناية بأسنانها ولوزيتها
وغيرها من اماكن العدوى المركزية قبل
الولادة وحفظ حلمتي الثديين من العدوى بعدها

بَابُ الْاَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

خطوات الطيران في الصيف

الغراف زبلين

اصبح البلون الالماني المسيّر غراف زبلين من اشهر السفن الهوائية التي امتطت اجنحة الهواء . ففي السنة الماضية طار من المانيا الى اميركا حاملاً للمرة الاولى في تاريخ البلونات المسيّرة نفراً من الركاب ومقداراً كبيراً من البريد . وفي اوائل هذه السنة رحل رحلته المشهورة الى بلدان الشرق الادنى ثم عقبها برحلة اخرى في ابريل الى البلدان التي حول الجانب الغربي من البحر المتوسط فزار فرنسا واسبانيا والمغرب الاقصى فاجتاز مسافة ٣٤٠٠ ميل في ٥٧ ساعة . وفي مايو زار فيينا عاصمة النمسا . وفي ١٦ مايو حاول ان يطير الى اميركا ثانية حاملاً ماثقله طنن من الرسائل والاكياس البريدية فاضطر ان يرجع على اعقابيه وهو لا يزال طائراً فوق شواطئ اسبانيا لان عطلاً اصاب محركاته الاربعة وكان قائده يأمل ان يصل به الى مقره في فريدر كسهافن ولكنه اضطر ان ينزل الى الارض في

بلدة كورس الفرنسية بعدما وقف محركان من محركاته عن الدوران في ١٧ مايو وكان قد قضى سابحاً في الجو ٣٨ ساعة ونصف ساعة بمحرك واحد . فلبث في كورس حتى جاءت المحركات الجديدة . وفي اول اغسطس رحل رحلة اخرى الى الولايات المتحدة فوصلها في ٩٣ ساعة فاختصر بذلك نحو عشرين ساعة من الوقت الذي استغرقته رحلته الاولى اليها . ثم عاد من اميركا الى فريدر كسهافن عن طريق باريس فبلغها في ٥٥ ساعة . وكانت هذه السفرة بين اميركا وفريدر كسهافن المرحلة الاولى من طيران الزبلين حول الارض وهو الطيران الذي يظل مذكوراً به ابدا الدهر . فانه بدأ رحلته هذه في ٨ اغسطس سنة ١٩٢٩ في لاكهرست باميركا واتهى فيها في ٢٩ اغسطس اي ان رحلته حول الارض استغرقت ٢١ يوماً ساعات الطيران الفعلي منها ٤٨٨ ساعة وست دقائق او ١٢ يوماً وست دقائق . وكانت مراحل هذه الرحلة كما يأتي . من ليكهرست باميركا الى فريدر كسهافن مسافة ٦٢٠٠ ميل اجتازها في

٣٦٠ ميلاً في الساعة

في السابع من شهر سبتمبر الماضي تبارت انكلترا وإيطاليا في سباق الطيارات البحرية لاجراز كاس شنيدر ففاز في المباراة الطائر الانكليزي اذ بلغ متوسط سرعته نحو ٣٢٩ ميلاً في الساعة او نحو ٥٣٠ كيلو متراً . وتلاه بعد ايام الطائر الانكليزي اورلبار فبلغ متوسط سرعته على مسافة ثلاثة كيلو مترات في خط مستقيم ٥٧٥ كيلو متراً او ٣٦٠ ميلاً في الساعة اي ستة اميال في الدقيقة وهي نصف سرعة الصوت تقريباً . وكانت اسرع سرعة بلغت الطيارات التي دخلت المباراة الاولى من هذا النوع سنة ١٩١٣ لا تزيد على ٤٥ ميلاً وربع ميل في الساعة فبلغت الآن بعد ست عشرة سنة ثمانية اضعافها

التحليق في الجو

حلق الملازم بولوسوسك الاميركي في ١٠ مايو الماضي الى علو ٣٩١٤٠ متراً وتلاه الهرولي نونوفن الالماني بعد اسبوعين فخلق الى علو ٤١٧٩٥ قدماً وقد طلب كلاهما ان يعتبر الارتفاع الذي بلغه قصب السبق في هذه الناحية من الطيران

جبارة الجو الجديدة

على غلاف المقتطف هذا الشهري القارىء صورة طائرة مائة المانية تم بناؤها حديثاً وجربت على بحيرة كونستانس . وقد بلغت من الضخامة والقوة ما لم يسبق له مثيل في تاريخ الطيارات . ففيها ١٢ محركاً تسييرها قوتها ٦٣٠٠

٥٥ ساعة و ٢٤ دقيقة . من فردريكسهاغن الى طوكيو باليابان مسافة ٦٨٠٠ ميل اجتازها في ١٠١ ساعة و ٥٣ دقيقة . من طوكيو الى لوس انجلوس مسافة ٥٥٠٠ ميل اجتازها في ٧٨ ساعة و ٥٨ دقيقة . من لوس انجلوس الى لاهيرست ٥٣٠٠ ميل اجتازها في ٥١ ساعة و ٥١ دقيقة . وكان من ركابه في هذه الرحلة اللابدي درمندهاي الصحافية المعروفة في هذا القطر والسر هيوبرت ولكنز الرائد القطبي المشهور

عيد بلريو الفضي

في ٢٥ يوليو احتفل في انكلترا وفرنسا بانقضاء ٢٠ سنة على فوز بلريو الطائر الفرنسي بعبور المانش على متن طيارته وذلك في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٩ . ففي ذلك اليوم التاريخي المشهور قام بلريو بطيارته من كاله متجهاً الى دوفر وهي على ٢٢ ميلاً منها فنزل فيها بعد نصف ساعة . وفاز بجائزة مالية قدرها ٢٥ الف فرنك . اما في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٩ فقد امتطى بلريو — وقد اصبح الآن من صانعي الطيارات في فرنسا — طائرة من الطيارات الحديثة التي تصل بين باريس ولندن واعاد بطيارته فوق المانش ذكرى ذلك اليوم الخالد في تاريخ الطيران حينما سخر منه الناس لما انبأ عن قرب انتظام المواصلات الجوية بين فرنسا وانكلترا . وقد احتفلت به مدرسة السوربون تقديراً لعمله الجليل

١٩٢٧ يحاولون الفوز بهذه الامنية فلم يقدر لهم الفوز الا في صيف هذه السنة اذ قام اثنان من طياريهما جان اسولان ورنيه لفقر على متن طيارتهما العصفور الاصفر — من بلدة اولد اورتشرد بولاية ماين الاميركية في ١٤ يونيو الماضي متجهين الى اوربا فاضطرا الى الانحراف عن خط لندبرغ المستقيم لاشتداد العواصف في وجههما فالتجها الى اسبانيا واضطرا الى النزول فيها على شاطئ كومياس بقرب سانتندر . ومما جعل رحلتهما شاقة اكتشاف فتى اميركي محتبئ في الطائرة بعد ما صارا فوق البحر فزاد ثقل الطائرة عن المقرر وتعرضت للخطر غير مرة

وتلا ذلك فوز طائرني اميركيين — روجر ولمز ولوس يانسي — باجتياز التلتيكي على متن طيارتهما « باث فيندر » ولكنهما اضطرا كز ميليها الفرنسيون ان ينزلا على مقربة من المكان الذي نزل فيه لنفاد البترول مع ان غرضهما كان الوصول الى رومية من غير ان يقفا في الطريق . على انهما استأنفا الطيران الى رومية في اليوم التالي فوصلاها سالمين

وحاولت جماعات مختلفة من الطيارين البولونيين والفرنسيين الاسوجيين والاسبان اجتياز التلتيكي من الشرق الى الغرب ففشلت كلها . وقد ظلت طيارة الاسبانين — نومنشا — ستة ايام طافية على وجه الماء على مقربة من جزائر الازورس الى ان عثر عليها الطراد الانكليزي ايفل وجميع رجالها احياء

حصان وفيها متسع لمائة راكب او اكثر جلوساً ونياماً عدا قائدها وملاحها ومكان لمقادير كبيرة من الامتعة واكياس البريد وقد وردت الانباء البرقية بأن الانكليز اتموا صنع البولونيين الضخمين اللذين ينوون تسييرها الى الهند من جهة الى كندا من جهة اخرى وهما (١٠٠) و (١٠١) وجربوا احدهما فنجحت التجربة . فسعة كل منهما خمسة ملايين من الاقدام المكعبة من الغاز وفيه مكان لمائة مسافر مع امتعتهم ولمقدار كبير من الرسائل . وطول البالون الواحد ٧٢٠ قدماً وقطره ١٣٢ ومقدار ما يرفعه في الجو ١٥٦ منها ٣٤ طناً يتقاضى عليها اجرة كركاب وبريد . وقوة محركاته اربعة آلاف حصان وسرعته ٧٠ ميلا في الساعة ويستطيع ان يسير ٣٥٠٠ ميل بحمل كامل من غير ان ينزل الى الأرض . وفيه غرفة طعام تتسع لخمسين راكباً وفيه خمسون غرفة نوم في كل منها سريران وغرفة متسعة للجلوس والمطالعة والرقص

عبور التلتيكي

كان طيارو فرنسا الشجعان في طليعة الطيارين الذين حاولوا ان يعبروا الاقيانوس التلتيكي على متن طياراتهم . ولا يزال القراء يذكرون ما اثاره فقد نتجسر وكولي من الحزن والاسى لما نزلت بهم الطائرة في عرض الاوقيانوس التلتيكي ولم يعرف مستقرها . وما زال الفرنسيون من سنة

دوقة بدفورد

في الاسبوع الاول من شهر اغسطس الماضي فازت الدوقة بدفورد الانكليزية بالطيران من انكلترا الى الهند ذهاباً واياباً في ثمانية ايام . وكان لفوزها هذه رنة في محافل الطيران العالمية . والى القارىء بيان الرحلة ومراحلها: الجمعة ٢ اغسطس من لمبني بانكلترا الى صوفيا عاصمة بلغاريا ١٣٥٠ ميلاً . السبت ٣ اغسطس من صوفيا الى حلب ٨٥٠ ميلاً . الاحد ٤ اغسطس من حلب الى بوشير على خليج فارس ١٠٩٠ ميلاً . الاثنين في ٥ اغسطس من بوشير الى كراتشي بالهند ١٠٦٠ ميلاً

ثم عادت بالطريق نفسها في اربعة ايام فوصلت كرويدون في ٩ اغسطس . وكانت تبدأ رحلتها كل يوم عند بزوغ الفجر . واطول مدة ظلت مخلقة في الجو كانت ١٥ ساعة وقد ارسل اليهما ملك انكلترا برقية تهنئة

١٧ يوم في الجو

فاز في اوائل الصيف طياران اميركيان بالقاء في الجو ٢٤٦ ساعة وكانا في اثناء ذلك يملان احواض طيارتهما بانابيب تمد اليها من طائرة اخرى مخلق فوقها . وتقدر المسافة التي قطعها في اثناء ذلك بنحو ١٧ الف ميل اي نحو ثلاثة ارباع محيط الكرة الارضية . ولكن في ١٣ يوليو امتطى طياران اميركيان آخران طائرة من صنع كرتس وروبرتسن

وحلقا بها فوق مدينة سانت لويس فظلاً محلقين ١٧ يوماً ملئاً احواض طيارتهما ٤٧ مرة في اثنائها فلما نزلوا الى الارض كان المحرك لا يزال دائراً وانما نزلوا لتلبية لطلب المستر روبرتسن مدير المعامل التي صنعت طيارتهما وشملها برعايته

الأستاذ بافلوف

لم تقض الشيوعية في روسيا على البحث العلمي كما يُظن . بل هي في كثير من نواحيه تقود العالم اليوم . فالاستاذ بافلوف الفيزيولوجي الروسي المشهور بحسب زعم علماء الفسيولوجيا في جميع الأمم . منح سنة ١٩٠٤ جائزة نوبل الطبية لمباحثه في فسيولوجية الهضم . وعني حديثاً بدرس أثر المراكز العصبية العليا — المخ والنخخ — في سبل الدعا وبأبداع لذلك طريقة بأربعة رفعتُه الى المقام الأول بين علماء الأرض . لذلك احتفلت امم الأرض ببلوغه سن الثمانين ودعي الى الولايات المتحدة لالقاء خطب فيها وترجمت مجموعة خطبه الحديثة الى اللغة الانكليزية ونشرت في الشهر الماضي

ولد في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٩ وتلقى العلوم العالية في جامعة بطرسبرج (لنتغراد الآن) ثم اشتغل بالمباحث الطبية وأبدى براعة خاصة في المباحث التجريبية . فأرسل الى المانيا وبقي سنتين يدرس في معامل لدوغ وهيدنهان ثم عاد الى روسيا فشغل

فشاهد اولاً السر امبروز فلمنع ثم شوهده
الاستاذ اندريد ثم الماحور تشرش محرر مجلة
الريالست . فكان الحضور يرون حركات
هؤلاء الرجال وسكناتهم واضحة كل الوضوح .
وقد اتى السر امبروز فلمنع خطبة موجزة
بين فيها ارتقاء اللاسلكي والفوائد الجملة التي
تجني من التلفزة في المستقبل . وشركة باردي
تذيع كل يوم من تلفازها المرسل ما يستطيع
صاحب كل تلفاز لا قطع ان يتمتع برؤيته .
ومما يدعو الى الاعجاب ان شركة باردي لم تصنع
حتى الآن الا خمسة تلافيز لاقطة . ولكن
ان نفراً من الهواة بنوا تلافيز لاقطة جرياً
على التعليمات التي تنشرها مجلة « التلفزة »

واستعملوها يوم التجربة العامة فنجحت

ولا نغفل في هذا المقام ذكر النبأ الذي
اطلعنا عليه في مجلة العلم العام الاميركية ان
طريقه استتبعت لجعل التلفزة بالالوان الطبيعية

عيد الفلكي هول

في ١٥ اكتوبر الماضي احتفل علماء
الفلك بانقضاء مائة سنة على ولادة الفلكي
الأميركي اصف هول مكتشف قمر المريخ
فوبو وديموس . ولد في ١٥ اكتوبر
سنة ١٨٢٩ في بلدة غوش بولاية كونكتيكت
ويُتَم وهو في الثالثة عشرة من عمره فترك
مدرسة القرية الابتدائية ليستغل بالتجارة
على انه كان ذكياً مجتهداً فلم يترك ساعة من
ساعات فراغه الا دأب على العلم فحذق

مناصب تعليمية عالية فيها والتف حوله جماعة
من الطلاب يصح ان نسميهم مدرسة بافلوف
الا ان لجريهم على اساليبه العلمية في البحث .
ودارت مباحثه الأولى (ابتداءً من سنة
١٨٧٨) على فسيولوجية الدورة الدموية .
ولما دعي سنة ١٩٠٦ الى لندن لالقاء خطبة
هكسلي التذكارية رحب به الانكليز اعظم
ترحيب . وسنة ١٩٠٧ انتخبوه عضواً
اجنياً في جمعيتهم الملكية وسنة ١٩١٥ منحوه
وسام كويلي لمباحثه في فسيولوجية الهضم

تجربة التلفزة

يعرف قراء المقتطف ما هي التلفزة .
هي الرؤية عن بُعد فكان بصر الانسان
قد زاد بها قوة ونفوذاً فيرى ما هو حادث
في اماكن تبعد عنه ولا يصل اليها ببصره -
يرى الحوادث في ابان حدوثها منقولة اليه
على اجنحة الاثير . ومن اشهر المستبطين
في هذا الفرع من الفنون اللاسلكية المستر
باردي الانكليزي . وقد سبق لنا وصف اسلوبه
وما بني عليه . وسنعود الى ذلك في فرصة اخرى
انما يهمنا الان ان نبلغ القراء ان المستر
باردي جرت تلفازة تجربة علنية عامة في ٣٠ سبتمبر
الماضي . فأقام في محطة الاذاعة التلفاز المرسل
واقام في فندق سافوي بلندن ومركز البريد
العام والمعرض اللاسلكي باولمبيا وفي منزله
الخاص تلافيز لاقطة ودعى الى هذه الاماكن
المتخلقة طائفة من رجال العلم والصحافة والصناعة

حتى تطابق تموج الأمواج الأثيرية التي تذيبها محطات الاذاعة في منطقة نيويورك ويقوم أحد الأعمدة العادية المقامة عليها الاسلاك اللاقطة للأمواج اللاسلكية بالتقاط الانعام فتلتقطها أجهزة الاستقبال كالمعادن. وهناك سلسلة من الرقاصات اللاسلكية متصلة بالأجهزة المستقبلية وبالدمائم الفولاذية للصروح أيضاً تطلق أمواجاً كهربائية جديدة تخترق الدمائم الفولاذية وتصل الى جميع أنحاء الصرح وما على الضيف الذي يرغب في التمتع بالملاهي اللاسلكية الا أن يضع ذكر «كوبس» جهاز الاستقبال المودع في حجرته في بؤرة النور الكهربائي فيصل التيار الكهربائي بالجهاز فيدور ثم يوجه (الزبل) اسلاك الجهاز الى المحطة اللاسلكية التي يتوق الى سماع أنغامها. ولما كان موقع الفندق النيويوركي الذي تم فيه هذا الاختراع غير شائق بطبيعته فقد كان اقبال الزلاء عليه من قبل ضئيلاً بحيث لم يكن يشغل من غرفه بالضيوف اكثر من ١٠ في المائة من عددها. ولكن بعد توزيع الأغاني اللاسلكية على حجره غص بالناظرين فيه من كل حذب وصوب. وقد اوضح أن نفقات توصيل الانعام الى الغرف بالوسيلة المتقدمة تقل ٩٠ في المائة عنها اذا تم التوصيل بالاسلاك ولذلك يقول الدكتور ساتيرلي إن جهازه هذا سيركب في نحو ١٠٠ صرح في جميع أنحاء الولايات المتحدة

الرياضيات ودخل جامعة مشيغن لتلقي العلوم العالية فيها. وسنة ١٧٥٧ عين مساعداً في برصد جامعة هارفرد وكان راتبه الاسبوعي ثلاثة ريلات اي نحو ٢٤٠ غرشاً في الشهر. وسنة ١٨٦٢ انتظم في سلك المرصد البحري بوشطن وفي السنة التي تلتها عين استاذاً للرياضيات في البحرية الاميركية. وسنة ١٨٧٥ عهد اليه في ادارة تلسكوب كاسر قطر ٢٦ بوصة فكشف به في ١١ اغسطس ١٨٧٧ عن قمر المريخ وكان كبر قدر تنبأ بوجودها. ففتحته الجمعية الفلكية الملكية وسامها الذهبي. وبعد ما استقال من منصبه في البحرية الاميركية عين استاذ الفلك في جامعة هارفرد وذلك سنة ١٨٩٦ فظل يشغله الى ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٠٧

اللاسلكي في الفنادق الاميركية

تقوم الآن الدمائم الفولاذية الضخمة التي تكون منها اصلاص صروح اميركا الفولاذية التي تسمى «ناطحات السحاب» مقام جهاز لاسلكي متقن لنقل الانعام الموسيقية والأغاني بالأمواج الكهربائية اللاسلكية الى غرف الفنادق لاطراب النازلين فيها. ومخترعا هذه الطريقة هما الدكتور ساتيرلي الخبير في اشعة رنتجن بأميركا والمهندس لويس كالوزسي النمساوي تكيف الأجهزة اللاسلكية المركزية الرئيسة المعدة لتلقي الاغاني والانعام في الفندق

مؤتمر الدواجن الدولي

يعقد في يوليو ١٩٣٠ مؤتمر دولي للدواجن في القصر البلوري بلندن وقد اجابت ٣٤ امة من الامم التي وجهت اليهم الدعوة بقبولها الاشتراك فيه

ضوء الشمس في خمرة البيرة

اصبحت خمرة البيرة من المواد الغذائية التي تعالج بضوء الشمس الصناعي الذي يتولد من المصابيح الكهربائية القوية وغدا القرص الواحد من الخمرة السابقة الذكر يحتوي على فوائد صحية تعادل ما يكتسبه المرء من التعرض لأشعة الشمس مدة تتراوح بين ساعتين وثلاث ساعات . لأن المادة المفيدة التي تحتويها الخمرة بعد معالجتها بالمصباح الكهربائي المولد للأشعة التي فوق البنفسجي وهي الفيتامين الدالي (نسبة الى حرف الدال في الابجدية) تشبه الفيتامين الذي يكتسب من زيت كبد الحوت (الكلاه) . ومع ان الرأي العلمي القاضي بالحصول على ضياء الشمس بطريقة غير مباشرة حديث العهد ، فقد بادرت طائفة من الشركات التي تصنع المواد الغذائية الى تركيب المصابيح الكهربائية ذات النور المائل لنور الشمس لمعالجة ما تصنعه من المواد الغذائية . وأساس هذا الرأي ان العنصر المسكون للعظم (أي الفيتامين الدالي) إذا حرمه امرولا في غذائه العادي أتيح له تعويضه بإياه

إمّا بالتشمس في الشمس وإمّا بالتعرض لنور المصابيح الكهربائية التي ينبعث منها ضياء يكاد يضارع ضياء الشمس الطبيعي واما بأكل الماء كولات المعالجة بضوء الشمس الصناعي ذلك ان أشعة النور التي فوق البنفسجي الموجودة في نور الشمس وفي نور بعض المصابيح الكهربائية هي العامل الاصيل في الطرق الثلاث وقد تستهدف المواد التي تحت الجلد والتي في الاطعمة أيضاً لتغير كيموي واضح بتأثير الاشعة فيتحول الارجوستيرول في الاطعمة الى فيتامين دالي وحينئذ تتجلى قوتها المنعشة اما اثبات كون التغذية بالاغذية المشبعة يؤثر في الجسم كتأثير الشمس الطبيعي او الصناعي فيرجع تاريخه الى عام ١٩٢٤ حينما غذى الدكتور هاري ستينوك الاستاذ بمدرسة ويسكونسن الجامعة طائفة من فئران كان قد حبسها في مكان مظلم محبوب مشمسة فشفاهها من الكساح

واما اضافة خمرة البيرة الى قائمة الاغذية المشبعة تشميساً صناعياً فليس الا خطوة جديدة الى الامام في سبيل « ادخار ضياء الشمس في القوارير » وبذلك يتاح المرء الذي لا يستطيع الإقامة على ساحل البحر أو على الجبال الحصول بلا شك على فوائد الشمس الصحية وهو في بيته عن يد خبراء العلم الذين تمكنوا من ادخار ذلك الضياء في الغذاء الذي يتناوله

التليفون اللاسلكي في الطائرات

اخترع المسيو مارسيل منجييه المهندس الفرنسي جهازاً لاسلكياً جديداً يولد أمواجاً كهربائية قصيرة المدى يستطيع بها الطيار المحادثة اما تليفونياً واما تلغرافياً مع اصدقائه الذين على الأرض . ومتى وصلت الرسالة الى سطح الأرض والتقطتها الاجهزة المعدة للاستقبال أعادت تصديرها بقوة كهربائية جديدة تنبعث منها الى الجهات المرسله اليها الرسالة وذلك على اسلاك التليفون . ويزعم المخترع انه يتيسر له بجهازه هذا المحادثة التليفونية الى بعد يتراوح بين ١٢٠٠ ميل و ١٥٠٠ ميل وارسال الاشارات التلغرافية الى بعد ٦٠٠٠ ميل

مرض ميكانيكي

عرض حديثاً في شيكاغو حامل ميكانيكي لرضاعة الطفل يوفر على الأم مشقة القبض على (الرضاعة) ربماً ينتهي الطفل من رضاعه ويتكون هذا الجهاز من ذراع مرنة مثبتة بقاعدة ثقيلة (مثل قاعدة المصباح الكهربائي الذي يوضع على المكاتب وذراعه) وفي طرف الذراع مشابك تقبض على القارورة فيمكن توجيهها الى أي اتجاه . حتى اذا ما فرغ الطفل من رضاعه رفعت القارورة وحينئذ يمكن ثني الذراع المرنة الى اسفل فيتيسر ايداعه في حيز صغير حتى يحتاج اليها مرة أخرى

نجاح مؤلف

وضع كاتب الماني يدعى ارخ ماري رمارك رواية موضوعها « سكينه مخيمه على الميدان الغربي » وصف بها احوال الحرب كما رآها وعانها جندي بسيط فالت رواجاً عظيماً في المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة . فقد اطلعنا في مجلة اللترري ديجست الأمريكية ان مجموع النسخ التي بيعت من هذا الكتاب بلغ ١٥٧١٠٠٠ منها ٨٠٠ ألف في المانيا و ٢٤٠ ألفاً في اميركا و ٢١٩ ألفاً في فرنسا و ١٩٥ ألفاً في انكلترا . وقد قدرنا المؤلف ربح من كتابه هذا بما لا يقل عن مائة الف جنيه ! فتأمل

عالم هندي

نقلت الينا مجلة ناشر خلاصة خطبة علمية للعالم الهندي الاستاذ موكرجي في موضوع كيموي عويص هو موضوع الصفات الكيماوية والطبيعية للذرات الكوليدية وهو فرع جديد من فروع الكيمياء . وأشارت الى ان خطبة الاستاذ المذكور ومباحثه تدل على الخطوات الواسعة التي خطاها البحث العلمي في الهند « وانه لو اتيح لنخبة علماء اوربا واميركا سماع خطبته هذه لاصغوا لها بعناية ولذة » وهذا ثناء نفاخر به وتمنى ان يكثر امثال الاستاذ موكرجي في بلدان الشرق

الجزء الرابع من المجلد الخامس والسبعين

صفحة

مقومات الامم في نظر العلم . للسراثر كيث (مصورة)	٣٦٥
يوييل النور الكهربائي (مصورة)	٣٧٢
إلمامة تاريخية ساذجة بعصر ابي بكر الصديق . للدكتور احمد فريد رفاعي	٣٧٦
شترزمان . لكريم ثابت افندي (مصورة)	٣٨٤
درة من درر الفلسفة الحديثة . لبرتراند رسل الفيلسوف الانكليزي (مصورة)	٣٨٩
الذكرى : للشاعر لامرتين	٣٩٧
التجارة عند الامم القديمة . للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	٣٩٨
وداعاً يا رفيقي القديم (قصيدة) . للدكتور احمد زكي ابوشادي (مصورة)	٤٠٥
شاعر اسباني كبير . لفوزي معلوف افندي (مصورة)	٤٠٦
اعداء العلم . للاستاذ الدكتور هل	٤١٤
الادب والعلم في الجزائر . لمحمد سعيد الزاهري افندي	٤٢٠
غاية الحيولوجيا ومباحثها واساليبها	٤٢٨
بين المتنبي وابي فراس . لكامل كيلاني افندي	٤٣٢
خيل الكهربائية المتمردة (مصورة)	٤٣٨
كيف يحافظون على ثروتهم	٤٤٢

—++—

باب شؤون المرأة وتديبر المنزل * الزواج والفحص الطبي . العناية بالأطفال	٤٤٦
باب المراسلة والمناظرة * تحية دمشق (قصيدة) . من المصيب . للاستاذ بندلي جوزي	٤٥٢
باب الزراعة والاقتصاد * بحث في التبغ وضرائبه — للامير مصطفى الشهابي —	٤٥٩
بنك التسويات الدولي — لعمر عنات افندي — معرض الصناعة الوطنية بدمشق	
مكتبة المقتطف	٤٦٩
باب المسائل * وفيه ٥ مسائل	٤٧٣
باب الاخبار العلمية * وفيه ١٨ نبذة (مصورة)	٤٧٦